

موسوعة

الأمن والاستخبارات في العالم



تأليف د. صالح زهر الدين

ملف الاستخبارات الإسرائيلي

منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

**موسوعة
الأمن والاستخبارات في العالم**

د. صالح زهر الدين

ملف الاستخبارات الإيرانية

الجزء السادس

المركز الثقافي اللبناني

المركز الثقافي اللبناني

للطباعة والنشر والتاليف والترجمة والتوزيع

٠٢/٧٥٣٦٢ - ٠٥/٤٦٨٨٨ - ٠٥/٤٦٧٧٧
بِيْرُوْت - هَافِنْسَه

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٠٣

لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب في أي شكل من الأشكال
بدون إذن خطى من الناشر.

**ملف الاستخبارات
الاسرائيلية**

الدبلوماسية اليهودية والارهاب الصهيوني في العالم

اختلف الباحثون حول طبيعة «الدبلوماسية»؛ منهم من قال أنها علم، وبعضهم قال أنها فن، وأخرون قالوا أنها تقنية، وقليلون أجمعوا على أنها كل هذه الصفات دفعة واحدة، ونحن منهم. ولذلك كانت الدبلوماسية علمًا وفنًا وتقنية، ولا تزال.

إلا أن «دبلوماسية» اليهود، تختلف عن كل دبلوماسيات العالم، باعتبارها دبلوماسية من نوع آخر، ومن طبيعة أخرى، وفي سبيل هدف - ربما - يتيم، في نهاية النصف الثاني من القرن العشرين. وهي في القاموس الصهيوني تحصر بكلمة واحدة هي «الارهاب»؛ ويكتفي أن الانجيل المقدس وصف اليهود باللصوص.

وإذا كانت البشرية، على امتداد تاريخها الطويل، قد شهدت أنواعاً من الارهاب متعددة، لكن الارهاب الصهيوني يبقى متميزاً في هذا الإطار، ومتطوراً في الوقت نفسه تبعاً لطبيعة العصر. ويذهب بعض المفكرين إلى القول أن كلمة ارهاب بمعنى *Terrorisme* لم تبلور، في مضمونها الحديث، إلا في القرن الثامن عشر. ففي ضوء تطور الثورة الفرنسية وتدابير قادتها المتعاقبين، ظهرت ابتداء من العام 1794 كلمة *Terrorisme*، المشتقة من كلمة رهبة *Terreur* المشتقة بدورها من أصل لاتيني هو *Tersere* و *Terrere* ومعناهما جعله يرتعش ويرتجف. وكان قد جاء تعريف *Terreur* في قاموس

الأكاديمية الفرنسية العام ١٦٩٤ بما يلي : رعب، خوف شديد، اضطراب عنيف تحدثه في النفس صورة شرّ حاضر أو خطر قريب.

وبنوع من التفصيل الدقيق لهذا الموضوع، قدّم «جوليان فرويند» محاولة للتعريف، فاعتبر أن «الارهاب يقوم على استعمال العنف دون تقدير أو تمييز، بهدف تحطيم كل مقاومة، وذلك بإنزال الرعب في النفوس». ويضيف بأنه «لا يرمي فقط، وكما يفعل العنف، إلى القضاء على أجساد الكائنات وتدمير الممتلكات المادية، بل يستعمل العنف بشكل منسق ليخيف النفوس ويرهقها؛ أي أنه يستعمل جثث العنف ليزرع اليأس في قلوب الأحياء».

هذا وتاريخ البشرية حافل بعمليات الارهاب، إن كان ذلك على المستوى الفردي أو المؤسسي أو الحكومي (الدولتي)، مع الفوارق - طبعاً - بين حدث إرهابي وآخر. ولن نغوص عميقاً في خضم هذا الموضوع، حيث تتنصب أمام أنظارنا إبادة «الهنود الحمر» في موطنهم الأصلي أمريكا على يد «المتحضرين البيض». وكذلك القبلة الذرية على مدينة هيروشيما اليابانية في ٦ أغسطس ١٩٤٥ ، وبعدها أيام ثلاثة قبلة ناغازاكي، وإبادة الآلاف من البشر خلال دقائق معدودة، وإحلال الدمار والخراب في كل زاوية من زواياها، إضافة إلى إفساد التربة لعشرات السنين اللاحقة، وقتل الحياة فيها. ومن المؤكد أن العالم لن ينسى من استعمال السلاح الذري «الإرهابي» لأول مرة ضد الجنس البشري في التاريخ.

وكذلك آلاف الأطنان من القنابل والمتغيرات على فيتنام، التي أنزلها الاستعماريون الفرنسيون والأميركيون، ولم يحصدوا سوى الهزيمة.

ومن منطلق استرداد «الهيبة الأميركية»، وأثار للهزيمة في فيتنام، أرسلت الولايات المتحدة أحدث آلات الموت والدمار إلى لبنان، والألاف من جنود البحر «الماريتس»، خدمة لحلفائها الصغار والكبار من محترفي الإرهاب. ولم يكن حظها بأحسن مما أصابها في الهند الصينية؛ كما عمدت إلى تلغيم

موانئ نيكاراغوا عام ١٩٨٤ ، وإرسال «المَكُوكات الفضائية» المحمّلة بأسلحة تدميرية من النوع الذي يفتح الباب أمام حرب الفضاء الكوني ، أو ما يسمى بـ «حرب النجوم» أو «حرب الكواكب» التي يمكن فيها تدمير الكوكب الأرضي .

وما عجز عنه الإرهاب البريطاني في الهند ، أنجزه الإرهاب الأميركي بأحدث وسائله المتقدمة ، لسبب بسيط هو «خطأ في التقدير» لم يفطن له الكمبيوتر الأميركي ، عندما حدث «غلط كيميائي» في مصانع أميركية لانتاج الغازات في الهند ، في شهر ديسمبر سنة ١٩٨٤ ، أدى الى إبادة جماعية لألف المواطنين وإصابة عشرات آخرين بالعمى والشلل ، قبل أن يتضح السبب الحقيقي ، وهو أن الشركة المذكورة متخصصة بانتاج الغازات السامة وتحت اسم مدني ؛ وقد تكون «متخصصة» في مشاريع الـ «سي . آي . إيه» ضد الشعب الهندي لقهره وإذلاله .

وطبيعي أن يكون العالم بأسره في أواخر القرن العشرين ، مهدداً بالدمار والفناء الشامل ، ومرهوناً بـ «كبسة زر» يتحكم فيها مصابون بداء «جنون العظمة» حيث يقول جورج شولتز : «القوه والدبلوماسيه تسيران معاً دائماً ، جنباً الى جنب (...). ان دبلوماسيه لا تساندها القوه لا تكون فعالة».

إن هذا التلميح الى «الإرهاب الأميركي» لا يعني أن الدول الاستعمارية الأخرى (خصوصاً فرنسا وبريطانيا) كانت بعيدة عن انتهاج هذا الاسلوب ، بل كانت تتنفسه يومياً وبصورة غير منقطعة على الاطلاق ، ولو أصبح «النموذج الأميركي» طليعياً في هذا المجال .

ولما كانت اسرائيل ترسانة عسكرية ، وقاعدة أميركية متقدمة جداً في منطقة الشرق الأوسط ، فليس من الغرابة أن «تسرب إعلامياً» ارهابها النووي تمهدأ لتسويقه في ساعة الصفر (كما حدث في أواخر عام ١٩٨٦ عن طريق الخبر النووي الإسرائيلي مردحاي فانونو).

فالارهاب الصهيوني هو الارهاب الأميركي ذاته.. إنَّه «الارهاب الدولي»، المصدر شرعاً، من دولة الى دولة، ويتطور أكبر وأعمق وأشمل. وما لم يستخدم في الهند الصينية، استخدم في المنطقة العربية - وفي فلسطين منها تحديداً - على أيدي الصهاينة، ويتطبيق جيد وفق فهم واستيعاب لا يأس به، ليكون على مستوى أهمية الارهاب نفسه والغاية من ورائه، بعد أن تعرَّزت الروح الشوفينية والعسكرية والتعصب الديني في نفوس اليهود وانعكست بدورها على الحياة السياسية والاجتماعية.

ومن هنا، وفي معرض الاشارة الى مذابح الصهيونية وجرائمها في فلسطين، وأنباء مناظرته مع سفير اسرائيل في كندا، أكد المؤرخ البريطاني الكبير «أرنولد تويني» بقوله أن: «المجرم لا يمكن أن يكون مجرماً أكثر من مئة بالمائة». كما ذكر في كتابه أيضاً «اليهود والغرب الحديث» أن «جرائم اسرائيل هي أقمع من جرائم النازية».

ويبقى السؤال الكبير: كيف نشأ الارهاب الصهيوني؟ وما هي مقوماته؟.

في الحقيقة، استلزمت فكرة قيام الدولة الاسرائيلية، تواجد مؤسسات ومنظمات عديدة تقوم كل منها بمهام مختلفة، ولكنها متضافة. فقد سارعت المنظمة الصهيونية العالمية بإنشاء الوكالة اليهودية، والصندوق القومي اليهودي (كيرن كايمت) لشرف على عمليات الهجرة والاستيطان لموجات اليهود التي تم تهريبها الى داخل فلسطين. وكان من الواجب - وفق الرؤية الصهيونية - أن تتوارد مؤسسات تستوعب وتنظم جهود الآلاف من المهاجرين اليهود. فما كانت السنوات الأولى من عشرينيات هذا القرن تأتي، حتى كانت الأرض الفلسطينية تموح بمنظمات سياسية ومؤسسات اقتصادية ونقابات للعمال ومزارع وقرى لها خصائص عسكرية.

وبكل ذلك كله، فقد فرض المشروع الاستعماري سيطرته على أجزاء من الأرض الفلسطينية اعتماداً على مؤسسات ومنظomas عسكرية تم بناؤها في

السنوات الأولى من القرن العشرين؛ وتأسست وفق ذلك مؤسسات ومنظمات عسكرية كانت مهمتها حراسة المزارع والتجمعات اليهودية؛ وسرعان ما تطورت حتى تحولت إلى منظمات كبيرة لها استراتيجية وأسلوب تفكيرها الذي يميزها عن التطور الطبيعي للجيوش الثورية في مراحل التحرير الوطني. فهي تختلف عن كل الجيوش الوطنية في طبيعة المهمة المنوطة بكل منها. ففي حين تكون مهمة الجيوش الوطنية والثورية تحرير تراب الوطن والدفاع عنه، فإن مهمات المنظمات العسكرية الصهيونية هي طرد سكان الوطن الأصليين، وسرقة الأرض وتفریغها من أي مظاهر قومي لأصحابها، وإنشاء مؤسسات اقتصادية لتنظيم النهب والاستزاف المادي لتلك الأرض.

والجيش الذي تكون مسؤoliاته محصورة في تلك المهام، فإن طبيعته هي طبيعة استعمارية استيطانية تجعله طرفٍ نقيس مع أي جيش وطني يسعى لتحرير وطنه... .

ومن هنا فإن العنف والارهاب يصبح هو الاسلوب الوحيد، والتفكير الوحيد لدى المنظمات العسكرية الصهيونية؛ وحتى بعد قيام الدولة فإن العنف والارهاب يتتحول الى طابع عام للكيان الصهيوني الراهن في تفكيره. وسياسته وأدبه وفنونه، حتى يتتحول المجتمع كله الى منظمة عسكرية كبيرة لها كل مواصفات مؤسسات الارهاب.

والحقيقة أن التنظيم العسكري الإسرائيلي يحتل وضعًا غريباً وشاذًا. فالمجتمع الإسرائيلي يوصف عادة بأنه «أمة تحت السلاح».

ويقول «برنارد فرنسي» في كتابه «الجيش والسياسة في الشرق الأوسط» أنه اذا كان من الممكن أن تلقب هذه الدولة أو تلك بأنها مجتمع يحكمه العسكريون، فإن المجتمع الإسرائيلي بأسره هو «ثكنة مسلحة»، وهو أشبه ما يكون بـ«اسبطة» الاغريقية وهذه ليست مجرد مبالغة. بل إن إسرائيل هي مجتمع عسكري، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، وكل شيء في الدولة هو لخدمة الحرب.

● ففي عام ١٩٠٧ أنشأ المستعمرون اليهود في فلسطين أول قوة مسلحة منظمة، حملت اسم «منظمة الحرس اليهودي - هاشومير»، وقد أشرف عليها «حزب بو عالي صهيون».

وكان شعار المنظمة «سقط يهودا بالدم والنار.. وسيبعث بالدم والنار». وقد ألفها الارهابي العريق دايفيد بن غوريون. وكان يهود مستعمرة «باتح تكفا» عام ١٨٧٨ يزلفون الطليعة التي لجأت الى استعمال السلاح... وكان من أبرز قادتهم الصهيوني الهنغاري «جشوا ستامبر».

هذا وقد حددت الهاشومير منهجها برفض الحراسة السلبية للمستعمرات، بل ممارسة العنف ضد السكان العرب حتى يمكن خلق ما يسمى بـ«اليهودي العنفي» المتجرد من مشاعر الخوف أو العجز عن طريق إحياء روح الأساطير الشعبية اليهودية القديمة.

وبذلك أمكن للصهيونيين إنشاء «نواة لقوة عسكرية» هدفها الحقيقي هو «خلق أمة يهودية في البلاد تحكم نفسها وتحقق ارادتها بالقوة والعنف، تعتمد على نفسها ولا تعتمد على المرتزقة».

بعد ذلك حددت منظمة الهاشومير ملامح ايديولوجيتها على أساس النقاط التالية :

١ - ألا يقتصر دور «هاشومير» على توفير الحماية المادية للمستعمرات اليهودية، بل عليها أن تغرس في السكان الاحساس بواجبهم في الدفاع عن أنفسهم.

٢ - أن توفر النواة العسكرية القادرة على توسيع نطاق الوظائف الدفاعية في المجتمع اليهودي.

٣ - أن تحكر «هاشومير» حق الاشراف على الدفاع عن المجتمع اليهودي في فلسطين.

٤ - كذلك يجب أن تعمل «هاشومير» (كتيبة مسلحة) محترفة

ومتخصصة في الدفاع عن «البيشوف» (اليهود من سكان فلسطين).

يتوضح من خلال ذلك أن فكرة العنف والارهاب سيطرت منذ البداية على وجدان الحالوتسيم (أي الرؤاد الأوائل) الذين «اكتشفوا» فلسطين. فالرائد لم يكن فلاحاً وحسب، بل كان أيضاً هاشومير - حارس - الذي يدافع عن الأرض التي سرقها. وحيث أن الإرهاب كان سلاحاً أساسياً ومباشراً «لتحرير الأرض» من السكان الأصليين، كان من الضروري تأسيس منظمات لها طابع مزدوج زراعي وعسكري، حتى تترجم الرؤية الصهيونية نفسها إلى الواقع.

● ومثل الاندماج البريطاني على فلسطين الفرصة المناسبة التي ساهمت في انقلاب منظمة «هاشومير» إلى منظمة «الهاغانانا» عام 1919، حسب ما ذكره مناحيم بیغن في كتابه: «الثورة: قصة الأرجون». وكان يرأس «الهاغانانا» في طور تشكيلها المحامي الصهيوني البولوني «ولهلم ريبيل»، واتخذت شعاراً لها «فلسطين لليهود». وفي هذا الإطار، كتب جوزيف وايتز، المدير المسؤول عن الاستيطان الصهيوني، في يومياته: «يجب أن يكون واضحاً بيتنا أن لا مكان للشعبين معاً في هذه البلاد... ولن نتمكن من الوصول إلى هدفنا في أن نصبح شعباً مستقلاً في هذا البلد الصغير مع وجود العرب بيتنا».

وقد أثر على تكوين الهاغانانا، في الواقع، وعلى ذهنية المنخرطين فيها، اختيار أمكنته المستعمرات اليهودية التي كانت خاضعة لأهداف استراتيجية وسياسية محددة؛ ولم يكن العامل الاقتصادي هو العامل المؤثر في اختيار المستعمرات فحسب، ولكن أكثر من ذلك وبصورة رئيسية حاجات الدفاع الملحة والاستراتيجية الشاملة للاستيطان التي كان هدفها الرئيسي ضمان وجود سياسي يهودي في جميع أنحاء البلاد، والدور الذي يمكن يوماً أن تلعبه مثل هذه المستعمرات في المستقبل، وخاصة في مواجهة حاسمة لابد من وقوعها يوماً في نظر المخططين للاستيطان الصهيوني. وهكذا أنشئت

المستعمرات على مختلف أنواعها منعزلة الواحدة عن الأخرى بالمسافات الجغرافية والعرقية والجوارق الطبيعية . والنتيجة أن كل مستعمرة يهودية جاءت قلعة حصينة للهاجانا . وكان يرافق التخطيط الاقتصادي والزراعي التخطيط العسكري . . . وكانت موازنة الهجرة تعنى بالسيف والمحراث معاً، وتومن احتياجاتها .

وقد أدخلت هذه الحاجات عدة عناصر جديدة في تفكير الهاجانا العسكري وتنفيذ خططها . ويشمل وضع استراتيجية متماسكة شاملة تأخذ بعين الاعتبار الحاجات العسكرية في مختلف أنحاء البلاد . مقدرة على التحرك السريع ، استعمال أكبر للأسلحة الآوتوماتيكية الخفيفة . وفوق ذلك كله ، أدى تطور الهاجانا إلى إقامة قيادتين سريتين : قيادة مدنية عليا ، وقيادة عسكرية عليا ، لها رئاسة أركان كاملة ؛ وتحضن القيادات إلى التنظيم الصهيوني المتمرد في الوكالة اليهودية المسماة أيضاً بالمنظمة الصهيونية العالمية .

وبعد أن كبر حجم منظمة الهاجانا ، غدت المنظمة العسكرية المسيطرة ، وأصبحت تتشكل من القوات التالية :

- ١ - قوة الدفاع الثابت: وتضم سكان المستعمرات إضافة إلى سكان الأحياء اليهودية في المدن .
- ٢ - قوة القتال: وتضم شرطة المستعمرات .

٣ - قوة البالماخ: وهي قوات الصاعقة . أنشئت سنة ١٩٤٢ بقيادة الارهابي الصهيوني «اسحق ساديه» .

واجتاز أفرادها تدريباً خاصاً ، شاقاً وعنيفاً ، خصوصاً على أعمال النسف والتدمير والهجوم الصاعق . وقد تخرج منها كل من موشي دايان واسحق رابين وحاييم بارليف والكولونيل موشي كرمل واسرائيل غاليلي وغيرهم . . كان مقر الهاجانا في تل أبيب . وكان لها معسكرات تدريب خاصة

باليهود في فلسطين. وتضم قيادتها هيئة مخابرات جيدة التنظيم، وبارعة التنفيذ. وقد استطاعت هذه الهيئة أن توفر للهاغانَا عوامل الأمن والاستعداد والمواجهة في الهجوم. وقد ارتكبت هذه المنظمة الكثير من المذابح الجماعية في فلسطين.

● أما منظمة «الأرغون تسفائي ليؤمي» ومعناها «المنظمة العسكرية لشعب اسرائيل»، فقد تأسست سنة ١٩٣٥ على يد فلاديمير جابوتنسكي الذي يعتبر بمثابة الأب الروحي للإرهاب الصهيوني. وساعد في تشكيلها وتنفيذ خططها كل من «دافيد رازين»، و«ابراهام شتيرن»، الذي أسس فيما بعد المنظمة التي حملت اسمه، وهي منظمة «شتيرن». هذا وقد اتخذت منظمة الأرغون شعارها: «يد مرتفعة تمسك ببنادق ذات حربة مشرعة كتب عليها: هكذا فقط».

وبعد مقتل جابوتنسكي، استلم قيادة الأرغون الراهن «مناحيم بیغن» المحامي البولوني الأصل. كما كان لها شعبة مخابرات سرية تعرف باسم «الفرقة السوداء».

ومنظمة الأرغون (بالتعاون مع الهاغانَا) هي التي ارتكبت مجزرة قرية «دير ياسين» في ٩ أبريل ١٩٤٨ ، التي وصفها بتفاصيلها الدقيقة رئيس بعثة الصليب الأحمر الدولي في فلسطين «جاك دي رينيه» الذي كان محظوظاً لإفلاته حياً، فقال بعد أن توجه بسيارته بتاريخ ١٠ أبريل ١٩٤٨ إلى أحدى القرى العربية الصغيرة خارج القدس، وواجه في طريقه مجموعة من منظمة يهودية تدعى «أرغون»:

«كانوا جميعاً أحداثاً، حتى أنه كان من بينهم صغار السن. ذكوراً وإناثاً مدججين بالسلاح: مسدسات ومدافع رشاشة وقنابل يدوية وخناجر بعضها لا يزال يقطر دماً. عرضت على فتاة جميلة صغيرة السن بنظرة إجرامية خنجرها والدم يقطر منه. عرضته على كأنه أكليل غار».

وقد وصف أحد قادة الأرغون هذه المذبحة بقوله: «قمنا بتنفيذ عملية

تنظيف»؛ ولكن عملية «التنظيف» هذه، نفذت بالمدافع الرشاشة ومن ثم بالقنابل وأنهيت بالخناجر، على حد قول مندوب الصليب الأحمر، الذي أضاف بأن «بعض مقاتلي الأرغون قطعوا أوصال ضحاياهم بالخناجر قبل أن يقتلوهم».

حتى أن السلطات البريطانية سجلت بدورها هذه التفاصيل بدقة متناهية؛ كما سجلت ما شاهده مساعد مفتش الشرطة العام «ريشارد كاتلنغ» الذي قام بالتحقيق بالحادث، فقال: «نزعت أساور وحلقات النساء من أذرعهن وأصابعهن بوحشية متناهية، وقطعت أجزاء من آذانهن لانتزاع الأقراط منها».

لقد حول الإرهاب الصهيوني قرية «دير ياسين» إلى «مسلخ بشري» بكل ما تعنيه هذه الكلمة؛ وقد قوم مناحيم بيعن نتائج هذه الوحشية بقوله: «تملك العرب هلع لا حدود له بعد سماعهم القصص «المضخمة» عن «مذبحة الأرغون»، وبدأوا في الهروب للنجاة بأنفسهم. وسرعان ما تطور هذا الهروب إلى فرار جماعي جامح لا يمكن السيطرة عليه». وكان الهم الصهيوني يتركز على ضرورة «تجذير» العرب بأراضهم وديارهم، وليس اجتناث جذورهم وتشريدهم بقوة الحديد والنار.

وذكرت «الموسوعة الفلسطينية» في هذا الصدد أنه قد «اتفق السفاح الإسرائيلي «مردخاي كوفمن» قائد قوات عصابة الأرغون في القدس مع «ديقيد شالتائيل» قائد قوات عصابتي الهاغانا والبالماخ في المنطقة على القيام بعمل مشترك ضد قرية دير ياسين وبعض القرى المجاورة، بغية هدف مركزي يتمحور حول تروع السكان العرب الآمنين وحملهم على مغادرة قراهم، مما يسهل لليهود عملية الاستيلاء على الأراضي العربية».

ولم تكن عمليات الإرهاب والمذابح الأخرى في كفر قاسم وقبة والقسطل وإقرت وكفر برم وغیرها، إلا من هذا القبيل.

● وفي سنة ١٩٤٠ أسس «ابراهام شتيرن» المنظمة التي حملت اسمه «شتيرن» بعد انفصاله عن الأرغون، لرفضه قرارها القاضي بضرورة عقد اتفاق

وَدِي وهدنة مع السلطات البريطانية ما دامت الحرب العالمية الثانية قائمة ضد المانيا النازية .

وتدين هذه المنظمة - كأنواعها - بالارهاب وسيلة لاقامة الدولة اليهودية . وتومن أن العنف هو السبيل - ولا سبيل غيره - لتحقيق الهدف المنشود . . وإن اختلفت المنظمتان علينا، فإنهما متفقان سرًا حول الهدف المركزي ، وأداته العنف والارهاب . وربما كان لثقافة ابراهام شترين أثر في نزعه الارهاب لدى أعضاء هذه المنظمة ؛ حيث تلقى ثقافته وعلومه في ايطاليا، وتأثر كثيراً بموسوليني .

والجدير بالذكر أن العقيد البريطاني «أورد وينغيت» الملقب بـ «لورنس اليهود» ، والذي كان يشغل منصبًا مهمًا في مخابرات القيادة الانكليزية في فلسطين ، كان له اليد الطولى في خلق التنظيم الارهابي الصهيوني ، ويعتبر بمثابة العقل المدبّر والعمود الفقري والدم المغذي لجسم هذا التنظيم .

● وفي شهر يوليو سنة ١٩٧٦ ، أعلن العاخام الصهيوني مائير كاهانا - خريح وكالة المخابرات المركزية الاميركية وزعيم «رابطة الدفاع اليهودي» - عن تأسيس المنظمة الارهابية المعروفة باسم «كاخ» ومعناها (هكذا) . وتمثل هدفها بتهجير العرب من الأراضي العربية المحتلة . كما يوجد منظمات ارهابية أخرى كثيرة ولا مجال لعدادها جميعها .

وفوق كل ذلك ، تعمد القيادات الصهيونية ، عبر وسائلها الدعائية المختلفة ، إلى إخفاء الحقائق وإظهار «الطابع السلمي» و«اللامعفي» لدولة الاحتلال ، مشيرة إلى وجود الأحزاب السياسية الاسرائيلية . بيد أن من المعلوم أن أحزاب اسرائيل الرئيسية هي وليدة عصابات «الكيبيوتس» الارهابية المسلحة :

- فمن عصابة الأرغون مثلاً ، ولد حزب «حبيروت» (الحرية) .

- ومن عصابة البالماخ ولد حزب «المابام» .

- ومن عصابة الهاغانَا ولد حزب «الماباي».

- ومن عصابة شتيرن ولدت حركة «ليحي». إلخ . . .

ولقد نجح الارهابيون الصهاينة في اصطياد العرب، واختيار الأماكن المكتظة بهم (كالأسواق والساحات مثلاً) أهدافاً لارهابهم، حتى أصبحت الجثث العربية الممزقة محشورة بين أكوام من الفواكه، والدماء المخلوطة بالعصير تسيل باتجاه المجاري . . . وقد أصبح هذا المنظر مألوفاً في فلسطين المحتلة بعد قيام «دولة اسرائيل». كما لم ينجُ البريطانيون أنفسهم من هذا الإرهاب، وهم الذين دربوا الصهيونيين على كيفية استخدام السلاح وزردهم به، وطبقوا في عملياتهم تلك القواعد والدروس التي ألقاها عليهم الإرهابي البريطاني الصهيوني «وينغيت». وليست عملية «فندق الملك داود» في القدس إلا أحدى عملياتهم البارزة ضد البريطانيين. وكذلك عملية اغتيال اللورد «موين» وزير الدولة البريطاني المقيم في الشرق الأدنى، عندما أرسلت عصابة «شتيرن» اثنين من أعضائها إلى القاهرة، ونفذتا عملية الاغتيال في ٦ تشرين ثاني / نوفمبر ١٩٤٥. وقد حاكمهما القضاء المصري وقضى بإعدامهما.

وهكذا كان حال الكونت «فولك برنادوت» الوسيط الدولي للأمم المتحدة في فلسطين، رغم تتمتعه بالحصانة الدبلوماسية الدولية، حيث أثبتت هذه الحادثة أن لا حصانة أمام حصانة الصهيونية وغضطرفتها وعنصريتها ومصالحها. ولا غرابة، فقد اقترفت منظمات الإرهاب الصهيونية مجازر رهيبة بحق اليهود أنفسهم، كما هو حال الباخرة «باتيريا» ويهود العراق. هذا على صعيد المؤسسات والتنظيمات الإرهابية الصهيونية؛ أما على صعيد رموز هذه التنظيمات يكفي أن نذكر أسماء هرتزل، وجابوتينسكي، وبين غوريون، وغولدا مائير، وموشي ديان، ورفائيل ايتان، وشامير، وكاهانا، وشارون، وغيرهم كثير . . .

والجدير بالذكر، أن الاشارة إلى هذه العينات، لا تعني أن الإرهاب

الصهيوني يقتصر على هؤلاء فقط؛ وإنما كل أسرة صهيونية تستوطن أرض فلسطين العربية، تشربت الإرهاب والعنصرية يوم كانت جنيناً، وقد تغلغلت نزعة القتل والاجرام في دمها وعروقها، ومنها تستمد مقومات البقاء والحياة والاستمرار.

ومن يسمع تصريحاتهم وأحاديثهم المعسولة عن الأمن والسلام وحسن الجوار، يصرخ بملء صوته فوراً: «ما أ Finchhem وهم يتكلمون عن الشرف». دولة كإسرائيل قامت على الدم والجثث والمذابح، يصعب أن يتولى شؤونها غير الإرهابيين العريقين المحترفين لا الهواة.

وليس هذا الفصل سوى المرأة الصافية للدبلوماسية اليهودية والارهاب الصهيوني في العالم، حيث جرت عملية «غسل دماغ» منظمة للكل المستوطنيين الصهاينة وفق شعار «أن تقتل أو أن تكون مقتولاً». وبما أن غريزة «حب البقاء» لا تفرق بين الجنسيات، وليس خاضعة للمزاجية الطائفية أو العرقية أو اللغوية أو اللونية، فقد اختار الصهيونيون القتل والارهاب في سبيل البقاء والحياة.

الخطبوط اليهودي

واسرار عملية اغتيال الرئيس الأميركي ابراهام لنكولن

«ان كل ما تحتاج اليه قوى الشر لكي تنتصر، هو أن يظل أنصار الخير مكتوفي الأيدي دون القيام بعملٍ ما»، هذا ما قاله أحد مشاهير الفلاسفة المدعو «ادموند بورك». وكم هو مصيبة هذا القول في انطباقه على اليهود والصهيونية بكل ما تمثله من دهاء الآجالسة، وخبث الشياطين وخسارة المراقبين.

وعندما كان الرئيس الأميركي ابراهام لنكولن، في طليعة كبار الرؤساء الأميركيين الذين ما كان للولايات المتحدة الأميركية بغیرهم أن تبلغ ما بلغتهاليوم، وقد وقف متقدّياً مخططاً الخطبوط اليهودي في بلاده، وممثلاً العقبة الكبادء أمام المراقبين العالميين الذين هم بمثابة قوى الشر الخفية التي تحاول أن تتحكم في مصير العالم ومقدراته. ازاء ذلك، كان لابد من إزاحة العقبة - لنكولن - من الطريق الذي يراد به أن يكون معبداً وسهلاً دون آية صعوبات أو عراقيل. وهكذا كان. وقد كان اغتياله مرؤعاً للأميركيين - الشماليين والجنوبيين على السواء - .

فمن هو الرئيس ابراهام لنكولن؟ وما هي أسرار عملية اغتياله؟ .

ولد ابراهام لنكولن عام ١٨٠٩ في ولاية « كنتكي Kentucky » في الغرب الأوسط من أميركا. توفيت والدته وهو في التاسعة من عمره. ولكن كان من حسن طالعه أن تزوج أبوه مرة ثانية من « سارة جونستون » Sarah Johnston التي كانت طيبة القلب، وشجعت ابراهام في كفاحه لتعليم نفسه. ولقد

اضطررته ظروف حياته الى أن يتولى هذا التعليم معتمداً على نفسه وحده عن طريق الكتب، التي كان من العسير الحصول عليها في منطقة نائية على الحدود. وقد أفلح ذات يوم في شراء عدد كبير من الكتب من مسافرٍ كان متوجهًا الى الغرب، وكان يحمل الكتب في برميل كبير، ولم يعد يريد حملها معه أكثر من ذلك. الواقع أن هذه الكتب قد زوّدته بمادّةٍ وافرة للدرس والتحصيل، وذلك بالرغم من أن أباه كان يقاوم جاهدًا فكرة تعليمه، وكثيراً ما كان يقول: «أظن أن إبراهام يبدد وقته بهذا التعليم. ابني حاولت منعه، لكنه كان مشبع الرأس بهذه الفكرة الحمقاء، ولم يتسرّ لي انتزاعها منه». وعندما بلغ الحادية والعشرين من عمره انتقل للإقامة في مدينة «نيو سالم New Salem بولاية «إيلينوا Illinois»، حيث اشتغل وكيلًا للبريد في القرية، الا أنه سرعان ما أصبح ذا شهرة كبيرة كراوي قصص، ومقلّد للحركات التمثيلية. وكانت هذه الشعبيّة التي اكتسبها في هذا المضمار أكبر عون له عندما استقر عزمه على الانخراط في الشؤون السياسيّة. وفي عام ١٨٣٤، تم انتخابه في مجلس «إيلينوا» التشريعي - وهو البرلمان المحلي - ممثلاً إلى حزب المحافظين «Lohig». ثم انتقل عام ١٨٣٧ إلى مدينة «سبرنجفيلد Springfield» عاصمة الولاية، لكي يكون في موضع أفضل يمكنه من متابعة مستقبله السياسي ، ولكي يصبح زعيماً للمحافظين في البرلمان. وفي نفس الوقت بدأ يتدرّب على المحاماة مستفيداً من كتب القانون التي عثر عليها في البرميل الذي اشتراه في صباح. وفي عام ١٨٤٢ تزوج إبراهام من «ماري تود» وأنجبت له أربعة أبناء، لم يعش منهم إلا واحد فقط، بلغ مرحلة الرجولة. ثم انتخب لنكولن عام ١٨٤٦ عضواً في الكونغرس - البرلمان الاتحادي - وقد ضايق الكثيرين باعتداله السياسي ، حيث لم يكرر الحزب المتميّز اليه ترشيحه للنيابة مرة أخرى.

وكان الخلاف يتزايد بين ولايات الشمال، (وهي التي لم تكن تسمح بامتلاك العبيد الزنوج) وبين ولايات الجنوب (التي كانت تعتمد على أعداد كبيرة منهم في زراعة القطن). وقد كانت قضية العبيد هذه سبباً في إنشاء

حزب سياسي في الشمال هو الحزب الجمهوري، هدفه الغاء الرق، وقد استقر رأي لنكولن على الانضمام اليه.

وفي عام ١٨٥٨ وقع الاختيار على لنكولن ليكون مرشح الحزب الجمهوري لعضوية مجلس الشيوخ عن ولاية «إيلينويا». وسرعان ما تحدى منافسه الديمقراطي «ستيفن دوجلاس» للاشتراك في مناقشة علنية للمسائل الكبرى التي تشغله الأذهان، فوافق دوجلاس. وكان لخطب لنكولن تأثيرها في كافة أنحاء البلاد. وفي عام ١٨٦٠ اختير ابراهام مرشح الحزب الجمهوري للرئاسة، واستطاع بسهولة أن يفوز في الانتخابات بسبب الانقسام الخطير لأنصار الحزب الديمقراطي بين شماليين وجنوبيين. ولكن قبل أن يستطيع لنكولن أن يحتل مقعده في البيت الأبيض، قررت معظم الولايات الجنوبية الخروج من الاتحاد وإعلان استقلالها، وقد اتخذت هذه الولايات نفسها اسم الولايات الكونفدرالية. وفي عام ١٨٦١، قام الانفصاليون بإطلاق المدفع على «حصن فورت سومتر» بالقرب من مرفأ «شارلسستون» الجنوبي، وذلك بعد أن أمر الرئيس لنكولن بتمويل حاميته بالأغذية فقط دون الأسلحة، وقد اعتبر الجنوبيون هذا التصرف عملاً عدائياً فأطلقوا في ١٢ ابريل ١٨٦١ نيران مدفعتهم على الحصن مما جعل حاميته تستسلم بعد يومين فقط، وقد بدأت على الأثر الحرب الأهلية الأمريكية، التي لمع فيها نجم القائد الجنوبي الجنرال «روبرت لي Robert Lee» والقائد الشمالي «الجنرال جرانت Général Grant» حيث انتصر هذا الأخير عام ١٨٦٣ في «فيكسبرغ Vicksburg».. و«جيتسبرغ Gettysburg».. وفي نفس العام أعلن ابراهام لنكولن تصريحه المشهور عن تحرير العبيد في القارة الأمريكية، كما وافق الكونغرس الأمريكي في الثامن عشر من شهر ديسمبر ١٨٦٥ على التعديل الثالث عشر للدستور الأمريكي الذي قضى بتحريم الرقيق في جميع أراضي الولايات المتحدة الأمريكية.

اما لماذا اغتيل ابراهام لنكولن بعد خمسة أيام من انتهاء الحرب الأهلية

ليخلفه الرئيس الجنوبي «جونسون»؟ وما هو سر عملية اغتياله؟ ومن هم وراءها؟ فتلك هي المسألة . . .

تعتبر الحرب الأهلية الأمريكية أهم أحداث التاريخ الأمريكي على الإطلاق.. الا أن ما يجهله الرأي العام عن هذه الحرب الشهيرة هو ذلك الدور الذي لعبه فيها المرابون العالميون اليهود، والتائج التي حصلوا عليها منها وانتهت بااغتيال الرئيس ابراهام لنكولن.

ففي عام ١٨٥٧ في لندن، عقد قران «ليونورا» ابنة عميد الفرع الانكليزي لأسرة روتشيلد . . . «ليونولد روتشيلد»، على قريبها «الفنسو روتشيلد»، عضو الأسرة في فرنسا . . . وكانت حفلة الزواج مناسبة كبيرة جمعت في لندن عدداً كبيراً من أرباب المال العالميين وأقطاب السياسة. وكان بين هؤلاء الآخرين «بنجامين دزرائيلي» السياسي اليهودي الشهير الذي أصبح فيما بعد رئيساً لوزراء إنكلترا عدة مرات - بالرغم من يهوسيته - وأشهر رجال الدولة الانكليز على الإطلاق في القرن التاسع عشر.

وخلال هذه الحفلة، جاء في كلمة ألقاها دزرائيلي قائلاً: «يجتمع الآن تحت هذا السقف رؤساء أسرة روتشيلد التي امتدت شهرتها إلى كل مدينة في أوروبا وكل ركن من أركان العالم» . . . واستطرد موجهاً حديثه إلى رئيس فرعية أسرة روتشيلد في باريس ولندن: «إذا أردتما فسوف نقسم الولايات المتحدة إلى شطرين . . . نعطي أحدهما إلى جيمس (رئيس الفرع الفرنسي) والآخر إلى ليونولد . . . أما نابوليون الثالث - إمبراطور فرنسا آنذاك - فسوف يفعل ما أشير عليه به . . . وفيما يتعلق بـ «بسمارك» - مستشارmania - فإن الخطة التي أعددناها له هي من ثقل الوطأة بحيث ستشغلنا عنا تماماً».

في هذه الفترة، عين آل روتشيلد «يهودا بنiamين» - وهو أحد أقاربهم - مندوباً رئيسياً لهم في أمريكا. وتتالت الأحداث بعد ذلك حتى نشب الحرب الأهلية وأصبحت حقيقة واقعة.

نفذ المرابون اليهود بالفعل الخطة التي نوه دزرائيلي بطرف منها، فأقمع

نابوليون الثالث باحتلال المكسيك وضمّها الى امبراطوريته ضماناً لانشغاله وسكته... واحتضنت الحكومة البريطانية بإعادة احتلال الولايات الشمالية في الولايات المتحدة بنتيجة هذه الحرب.

وكان هدف سادة المال اليهود مزدوجاً من اشعال هذه الحرب: فهي تخلق لهم أولاً فرصة ذهبية يستطيعون فيها تقديم القروض وبيع السلاح بالربا الفاحش لنابوليون الثالث من أجل حربه في المكسيك ولقوات الولايات الجنوبيّة الفتية. والهدف الثاني تصبح هذه الولايات تحت سلطانهم المباشر...

إضافة الى هذا فإنهم كانوا ي يريدون من هذه الحرب منع الرئيس الأميركي العظيم ابراهام لنكولن من تحرير العبيد في أميركا... مدركون أن استمرار العبودية هو مما يؤدي بصورة حتمية الى انهيار الأمة الأميركيّة وتمزقها... وكان الرئيس لنكولن أيضاً علیماً بذلك مما دفعه الى القول: «لا يمكن لأية أمة أن تعيش طويلاً اذا كان نصف اعضائها أحراضاً والنصف الثاني مكوناً من عبيد».

لم تسر الحرب كما اشتتها المرابون العالميون... فقد وجدت قوات الولايات الجنوبيّة نفسها بعد عامين من الحرب بحاجة الى المساعدة. فاتجه المرابون الى نابوليون الثالث بغية زجه بالحرب الى جانبها، وعرضوا عليه مقابل ذلك مقاطعتي «لوتيريانا» و«تكساس». ولكن عقبة غير متوقعة ثارت في وجوههم هي قيصر روسيا التي نمت اليه أخبار هذه المحاولات، فوجهه انذاراً الى الحكومتين الفرنسية والإنكليزية أبلغهما فيه بأنه يعتبر الهجوم على الولايات المتحدة الشمالية هجوماً على أراضي الامبراطورية الروسيّة ذاتها. وأرسل تأكيداً لتحذيره عدداً من السفن الحربية الروسيّة الى موانئ الولايات الشمالية «نيويورك» و«سان فرنسيسكو» ووضعها تحت امرة لنكولن... وهكذا أسقط في يد المتأمرين ولبست الحروب مقصورة في المجال العسكري على الأميركيّين أنفسهم من شماليين وجنوبيّين وانتهت بانتصار الشمال.

انتقلت معركة المرابين العالميين بوجود لنكولن الى مصير آخر... فقد تصدى لهم الرئيس لنكولن وأخذ يعمل في ولاياته الشمالية على تحطيم السلسل التي طوقوا بها الاقتصاد الأمريكي... فعمد لهذا الفرض الى تطبيق الدستور الأمريكي متمسكاً بالفقرة الخامسة من القسم الثامن من المادة الأولى التي تمنح الكونغرس حق اصدار العملة وإصدار (٤٥٠) مليون من الدولارات الرسمية التي جعل غطاءها القرض الوطني.

عما المرابون اليهود حينشذ جميع قواهم لمواجهة لنكولن الذي أصبح خطراً شديداً عليهم... وشرعوا بمناوراتهم ودسائسهم الخفية بهدف تجريد العملة الجديدة من قيمتها أولاً والقضاء وبالتالي على لنكولن ذاته... وقد وصلوا الى هدفهم الأول عن طريق استصدار قانون من الكونغرس من ناحية يمنع تسييد فوائد القرض الوطني أو ثمن المواد المستوردة بهذه العملة، وعن طريق شن حملة شعواء عليها في الأسواق العالمية والمصارف من ناحية ثانية، حتى هبطت قيمتها هبوطاً شديداً متدنية الى ثلث قيمتها الأصلية... وعندما وصلوا الى هذا الحد اشتروا جميع أوراق هذه العملة من التداول، واشتروا بهذه الأوراق سندات حكومية بالسعر الكامل للدولار، وبذلك ضربوا عصفورين بحجر واحد، فسببوا انهيار العملة الحكومية من ناحية... وحققوا أرباحاً فاحشة من ناحية ثانية.

وهذا ما ورد في رسالة التعليمات التي وجهها الماليون في أوروبا الى المؤسسات المصرفية في الولايات المتحدة: «نحن لا نستطيع أن نسمح بتداول العملة الجديدة في أمريكا إلا اذا أصبحت تحت اشرافنا... ونستطيع أن نصل الى هذا الهدف عن طريق السيطرة على سندات القرض الوطني مما يؤمن لنا وبالتالي السيطرة على النقد الحكومي».

ولم يقف المرابون لعدد من النواب والشيوخ، وبهذا تمكنا من حمل الكونغرس على التصويت عام ١٨٦٣ على قانون المصارف الذي وضع لمصلحتهم بالرغم من معارضة الرئيس لنكولن الشديدة، مسجلين بذلك ظفراً

آخر في معركة السيطرة على الاقتصاد الأمريكي.

ونقل فيما يلي فقرات من رسالة وجهتها مؤسسة روتشيلد واخوانه للصيরفة في لندن الى احدى المؤسسات المالية الكبرى في شارع «وول ستريت» الشهير، مقر المؤسسات الكبرى في نيويورك حتى عصرنا الحاضر، وهي مؤسسة «ايكهايمر» و«مورتون» و«فاندرغولد» بتاريخ ٢٥ يونيو عام ١٨٦٣:

«سادتي الأعزاء...»

كتب لنا السيد «جون شيرمان» من مقاطعة اوهايو في الولايات المتحدة لإعلامنا عن تقديراته للأرباح التي يمكن اجناؤها بنتيجة القانون الأخير الذي استنته الكونغرس بشأن المصارف. ويقول السيد شيرمان أنها فرصة لم يتح لأصحاب الرساميل العالمية مثلها أبداً من قبل لتجمیع الأموال.. . ويدو أن هذا القانون يؤمن لبنك أميركا السيطرة الكاملة على الاقتصاد الأمريكي». ويسترد روتشيلد في الرسالة حتى يidi رأيه هو أخيراً فيقول: «إن انقلائنا الذين يدركون كنه النظام الجديد للصيরفة سيكونون أمام حللين لا ثالث لهما: فإما اتبعنا للحصول على بعض الأرباح.. أو أن يصبحوا وقد ارتبطت شؤونهم بهذا النظام بحيث لا جدو لهم من انتظار ثماره.

وهكذا فإن أية معارضة من هذه الفتنة ستكون معذومة... . أما مجموع الشعب فإنه غير قادر فكريأ على قصور المزايا الخيالية التي تعود لرأس المال العالمي بنتيجة هذا النظام، فلن يصدر عنه أي تذمر أو شكوى ولن يخامر أي شك في أن هذا النظام خصم لمصالحهم... .».

وردا على هذه الرسالة، بعثت مؤسسة «ايكهايمر» و«مورتون» و«فاندرغولد» الى روتشيلد واخوانه رسالة جوابية مفادها ما يلي:

«سادتي الأعزاء...»

تلقينا رسالتكم... . ويدو لنا أن السيد «جون شيرمان» يتصرف بصورة

ملحوظة بالصفات التي تميز رجل المال العالمي الناجح ، فهو لا يقيم وزناً لأية مشاعر يمكن أن تحول نظره عن الأرباح الكبرى . . . وهو الى ذلك شاهد حاذق وطموح . وقد وضع نصب عينيه الوصول الى رئاسة الولايات المتحدة وها هو منذ الآن عضو في الكونغرس . . . وقد قاده تفكيره الصحيح لأن يدرك أن الريع الأكبر هو بالحفظ على « صدقة » الأشخاص والمؤسسات ذوي الموارد المالية الواسعة ، الذين يعلم أنهم لا يقتصرؤن على الوسائل المادية وحدها - اذا اقتضى الأمر - اما للحصول على دعم الحكومة لهم أو لمعاقبة من يتصدرون لمصالحهم ». - المخلصون روتشيلد واخوانه -

وتنتهي الرسالة الى الخلاصة التالية :

«لقد منحت البنوك حق انفاس أو زيادة العملة المتداولة كماشاء . . . كما منحت حق اعطاء القروض أو سحبها كما تراه . . . وبما أن للبنوك منظمة هامة ، فهي تستطيع أن تعمل ضمن سياسة واحدة فتكيف السوق المالية كما تريده فتسبب مثلاً - اذا شاءت - تدني كل منتجات البلاد على الاطلاق في خلال أسبوع واحد أو يوم واحد . . . والى هذا فإن المصارف أعفيت من الضرائب على سنداتها وعلى رسامتها وعلى ودائها . . . ونحن واثقون من أن هذه الرسالة ستعتبرونها رسالة خاصة مكتومة بصورة قطعية».

بكل احترام . . . المخلصون : ايكمهير ، ومورتون ، وفاندرغولد .

والواقع أن هاتين الرسالتين لا تحتاجان الى تعليق . . . ومن نافلة القول أن نذكر أن المصارف أصبحت نتيجة هذا القانون هي المهيمنة على الاقتصاد الأمريكي لا الحكومة . . . والمصارف تعني وبالتالي المؤسسات والبيوتات المالية التي تعني بدورها سادة المال العالميين المسيطرین على معظم المؤسسات والمصارف العالمية .

أما الرئيس لنكولن فلم يعد أمامه من طريق سوى توجيه تنبيه على الشعب فلجأ الى هذا الطريق . ان الشعب الأمريكي سوف يصفي لصوت العقل هذه المرة . . . وهكذا شن هجوماً علنياً شديداً على المرابين

العالميين، وجاء في هذا الهجوم ما يلي حرفيًا:

«انني أرى في الأفق نذر أزمة تقترب شيئاً فشيئاً . وهي أزمة تثيرني وتجعلني أرتجف خشية على سلامة بلادي ، فقد أصبحت الرشوة المنهج السائد وسوف يتبعها وصول الفساد الى أعلى المناصب . كما ستصبح ثروة البلاد بأكملها تحت سيطرة فئة قليلة لن تتورع عن ابتلاع وعن تحطيم الجمهورية وبالتالي». كان لنكولن آنذاك في نهاية مدة رئاسته ولكن الانتخابات الجديدة حملته الى الرئاسة مرة ثانية وهو معترم - هذه المرة - أن يقوم بعمل تشريعى للقضاء على سلطان الماليين العالميين ، مما يحتم معه على هؤلاء العمل بسرعة لتدارك الخطر . . . وكان أن اغتيل الرئيس ابراهام لنكولن ليلة الرابع عشر من ابريل ١٨٦٥ في المسرح من قبل شخص يهودي اسمه «جون ديكليزبوث» ، ويجهل معظم الأمريكيين سبب هذه الجريمة . . . كما أن كتب التاريخ لا تعطي أي تفسير لها . . . وذلك بالرغم من أن المحققين آنذاك عثروا على رسالة الشيفرة في أمتعة القاتل ، ووجدوا مفتاح هذه الشيفرة بحوزة «يهودا بنiamin» عميل روتشيلد الأول في أميركا . وبقيت تبعة الجريمة على قاتل عادي . . . وأضيفت الى السجل اليهودي الحافل بالجرائم والدم ، في الوقت الذي لا يعتبر فيه اغتيال لنكولن خسارة لشخص ، بل هو خسارة انسانية شاملة لما يمثله «محرر العبيد» في أمريكا ، في وجه المتاجرين بالانسان والقضايا المصيرية ، والذين لا ينتشرون الا من الدم والجثث . وقد عشش الاجرام والفساد في كل عرق من عروقهم .

وقم هذا شأنه ، غير جدير بأن يذكر في قاموس الانسانية ، ولا في عداد البشر الجديرين بالحياة .

المراجع

- ١ - موسوعة «المعرفة» المجلد الخامس. مطبعة داغر. بيروت ١٩٧٩ .
الصفحة ٧٨٠ - ٧٨١ .
- ٢ - د. عبد المجيد نعيمي «تاريخ الولايات المتحدة الأميركية الحديث». دار النهضة العربية. الطبعة الثانية. بيروت ١٩٧٤ . ص ١٢٩ - ١٣٧ .
- ٣ - وليم كار «اليهود وراء كل ... جريمة» شرح وتعليق خيرالله الطلفاح. دار الكتاب العربي. الطبعة الثانية. بيروت ١٩٨٢ .
- ٤ - ولIAM غاي كار «أحجار على رقعة الشطرنج» ترجمة سعيد جزائرلي . مراجعة وتحريم . بدوي . دار الفناس بيروت ١٩٧٥ . ص ١٢٩ - ١٣٧ .
- ٥ - الموسوعة العسكرية. الجزء الأول. بإشراف المقدم الهيثم الأيوبي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر. الطبعة الأولى . بيروت ١٩٧٧ . ص ٥٤١ - ٥٤٢ .

الفريد موند الصهيوني وأوسمة الشرف العربي

استأثر العراق منذ وقت مبكر باهتمام الحركة الصهيونية ونشاطها السري والعلني ، نظراً لاعتبار «الطايفة اليهودية هناك من أقدم الطوائف اليهودية في العالم» على حد قول «فريتز غروبيا»، الوزير الالماني المفوض في بغداد بين عامي ١٩٣٩ و ١٩٤٢.

وبما أن بريطانيا هي صاحبة «الوعود المسؤومة» على الدوام ، والتي تقوم استراتيجيتها على طعن العرب وقضم حقوقهم وأراضيهم ، ومنحها إلى من تجد فيهم حليفاً ونصيراً في أوقات المصاعب والمحن ، وتعني بهم الصهاينة ، فلذلك لا تستغرب اهتمام صهاينة انكلترا بيهود العالم ، ومن ضمنهم بالطبع بيهود العراق .

واذا كان «بلفور» و«ترشيل» و«هربرت صموئيل» وغيرهم ممن تصدروا واجهة دعم الصهيونية ومناصرتها في كل زمان ومكان ، فهناك الكثيرون غيرهم أيضاً كانوا يعملون بصمت أحياناً ، ويتململون كالأفعى (مع كونهم بأجمعهم «أبناء الأفاعي الرقطاء») ، في سبيل الهدف الصهيوني ونصرته . ولم يكن البريطاني الصهيوني «الفريد موند» (الذي عرف باللورد مالتشرت أحيراً) إلا أحد هؤلاء الأبالسة في الجنة العربية .

فمن هو «الفريد موند» هذا؟ وما هي أسرار زيارته إلى العراق عام ١٩٢٨؟ .
يعتبر «الفريد موند» من أبرز الشخصيات الصهيونية التي جاءت

العراق، ولم تلق، كما هو متوقع، غير معارضة الرأي العام العراقي بكافة قواه وفصائله الوطنية خاصة الطلبة منها. وهو شخصية يهودية بريطانية، قدم الى العراق يوم ٨ فبراير سنة ١٩٢٨، وهو الذي يتمتع بنفوذ واسع في انكلترا، ليس في المجالات المالية فحسب وإنما في الميادين السياسية أيضاً. وكانت له صلة صداقة بالملك فيصل الأول أيضاً، حتى أن الأخير نزل مكرماً في دار السير ألفريد موند في أحدى زياراته للندن. ولما أظهر موند رغبة بزيارة العراق أبدى الملك فيصل ترحيبه بذلك. ولا يمكن التكهن بالضبط اذا كان ترحيب الملك بمقام موند ناجماً عن رغبة حقيقة في نفسه أم بضغط من الانكليز أو توسطهم. وقد تطرق «خيري العمري» (في كتابه حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث) الى هذا الموضوع بقوله: «روى لي مزاحم الباجه جي أنه كان في ذلك التاريخ (أوائل ١٩٢٨) ممثلاً للعراق في لندن، وقد تقدم اليه السير ألفريد موند بطلب سمة دبلوماسية له ولحاشيته، فرفضت الطلب لأنه لا يتمتع بتلك الصفة. ولكن بعد أيام وردتني برقة من الحكومة العراقية تشیر بإعطائه سمة دبلوماسية». ولا استبعد أن يكون ذلك قد تم بتأثير فيصل أو «هنري دوبس» (المندوب السامي البريطاني في العراق) الموالي للصهيونية.

وعلى الرغم من أن الاحتمالين قائمان فإن صداقة موند وفيصل فضلاً عن أنها تبرر الترحيب بمقام موند، فإنها تثير في الوقت نفسه التساؤل والاستغراب. وأياً كان مبعث هذا الترحيب فقد كانت لهذه الزيارة أهداف صهيونية بعيدة المدى.

مثلت هذه الزيارة بحد ذاتها تحدياً للشعور الوطني والقومي الذي كان يعرف الصهيونية ومراميها وخطرها، بخلاف ما كان يظنه الانكليز ودوائر الأمن العراقية.

وقد استعد اليهود المتحمسون للصهيونية لاستقبال الزائر استعداداً كبيراً منذ اليوم السادس من فبراير. فانتهز أبناء الشعب العراقي هذه الفرصة، التي رأوا فيها تحدياً لمشاعرهم الوطنية واستهانة بعواطفهم القومية، وقرروا القيام

بمظاهرات صاحبة - تعتبر أول مظاهرات في شوارع بغداد معادية للصهيونية - لاستنكار السياسة البريطانية المتّبعة في فلسطين واعلان سخطهم الشديد على الفكرة الصهيونية، في شخص هذا الزائر الممقوت . وتجمهر طلبة المدارس في عصر اليوم الثامن من فبراير ورفعوا لافتات وأعلام كتب عليها «لتسقط الصهيونية» و«ليسقط وعد بلفور» و«التحيا الأمة العربية». وهنّافات من بينها «بيت المقدس عربية» و«ليرجع الرعيم الصهيوني ألفريد موند» إلى غير ذلك من العبارات . وكانوا كلما تقدّموا أكثر وأكثر في الشارع انضم إليهم فريق من المتظاهرين حتى تجاوز عددهم عشرين ألفاً، وتوجهت هذه الجموع إلى محطة «الكرخ» حيث يمر موند . ولما علمت السلطات بذلك غيرت طريق الزائر وطلبت من الشرطة تفريغ المتظاهرين . وقد تصدى رجال الشرطة إلى هذه المظاهرة في محاولة لمنعها من متابعة سيرها نحو جسر «الخر»، فاشتبكوا معها في معركة عنيفة استعان بها المتظاهرون بالحجارة والعصي والرجاجات الفارغة واستخدم فيها رجال الشرطة هراواتهم وخيولهم التي داسوا بسنانها بعض الطلبة من أصيّوا بجروح بليغة . وفشلت محاولاتهم في تفريغ وتشتيت المظاهرة، حيث واصل الطلبة سيرهم نحو «جسر الخر» في جو من الحماسة ونشوة الظرف . وعند هذا الجسر رابط الطلبة وعيونهم ترقب بحذر ونشاط وتفتش السيارات القادمة بغية العثور على الصهيوني القذر ألفريد موند ، حتى اذا خيم الظلم ولم يجدوا أثراً لسيارة موند عادوا الى شارع الرشيد في الليل وهم يهتفون بحماس أشد «ردينا السير موند وجينا»، والمارة في الشارع تصفق لهم ، والنساء في الشرفات تزغرد ، وهكذا فوجئت الحكومة العراقية برئاسة عبد المحسن السعدون بهذه المظاهرة العنيفة ، وخشيت أن يتعرض موند الى اعتداء ، فسارعت الى حمايته من غضبة الجماهير ، فأرسلت - بعد أن فشلت الشرطة في منع المظاهرات من الوصول الى جسر الخر - مدير شرطة بغداد «حسام الدين جمعة» مع قوة من الشرطة الى نقطة «أبي منصير» حيث استقبلت من هناك السير ألفريد موند ، ووضعته تحت حراسة مشددة ونقلته تحت ستار الظلام الى الكاظمية ومنها الى الأعظمية

والى دار الاعتماد البريطانية حيث حل ضيافاً هناك مع زوجته وابنته «الليري ايرلي». أما حاشيته فقد نزلت في بيت «السير أليازر خضوري» أحد أثرياء اليهود المقيمين في لندن. ويبدو أن غضبة الجماهير ضد الصهيونية بشخص موئذن هي التي حالت دون استضافة فيصل أو الحكومة العراقية لموند رسمياً، خاصة بالنسبة للملك فيصل الذي كان عليه استضافته في قصره ردأ على صنيع موئذن معه حين زار لندن سابقاً.

وقد أسررت اجراءات الشرطة عن القاء القبض على عدد من المتظاهرين بينهم ستة من الأهلين (٣٥) من طلاب المدارس، وكبست احدى النوادي الأدبية (وهو نادي التضامن) في العاصمة بحجة التحرير على هذه المظاهرات، واعتقلت أعضاءه، ففت رئيس النادي «يوسف زينل» إلى «الفاو» في البصرة، باعتباره، حسب اعتقادهم، الشخص الذي يختفي وراء تلك المظاهرات، وأغلقت صحيفة «التضامن» المعارضة لشرها مقالاً ضد البريطانيين والصهاينة. وأصدرت متصرفية بغداد أمراً بمنع التجمهر في الطرق والشوارع والميادين العامة أو تسيير المواكب فيها والاجتماعات في المحال العامة دون إذن منها، والمخالف يعاقب بموجب القانون. وقررت وزارة المعارف طرد أحد عشر طالباً من دار المعلمين، وخمسة من الثانويات، وطالبين من مدرسة الحقوق طرداً مؤبداً بحجة اشتراكهم في هذه المظاهرات، على الرغم من أن هذه المظاهرات حظيت بعطف الرأي العام لأنها عبرت عن حقيقة مشاعره نحو الصهيونية، بل وحظيت بمساندة الرأي العام العربي بصحفه وشخصياته. ولكن رغم ذلك، أعلن توفيق السويفي وزير المعارف بكل وقاحة أن النار ستطلق على المتظاهرين إذا اذتقا هروا. وأخذ الوضع يزداد تأزماً خاصة بعد اجتماع عقده عدد كبير من الأهلين في جامع الحيدر خانة يوم ١٠ فبراير للاحتجاج على سياسة الحكومة التي يرأسها عبد المحسن السعدون ويدبر سياستها الداخلية عبد العزيز القصاب، ازاء المتظاهرين. فقبضت السلطات على بعض الخطباء وفرقت المجتمعين بالقوة. ثم لجأت الحكومة الى المراسيم فأصدرت مرسومين، كان وراءهما «المستدرار»

المستشار القانوني لوزارة العدل الذي باعث مجلس الوزراء لإصدارهما. ينص المرسوم الأول على معاقبة الطالب الذي لم يكمل الثامنة عشر من العمر بالجلد (٢٥) جلدة اذا اشترك في اجتماع غير قانوني ، أو أطلق أو حاول أن يقلق السلم العام بصورة أو بأخرى . كما ينص المرسوم الثاني على تطبيق القوانين بحق المحرّضين على ارتكاب الجرائم - أي للمظاهرات - على أن يطبق ذلك بمفعول رجعي على من لهم علاقة بحادث ٨ شباط/فبراير ١٩٢٨ . أما مجلس الوزراء فقد قرر طرد الطلاب المشاركون بأحداث ٨ شباط/فبراير والذين يزيد عمرهم عن (١٨) سنة ، ولم يشملهم المرسوم الأول أعلاه طرداً مؤقتاً أو مؤبداً . وأن لا يستخدم في دوائر الدولة في المستقبل من تقرر طرده من هؤلاء طرداً مؤبداً بسبب الحادث المذكور . وهكذا كانت العقوبة شديدة وغير عادلة من الأساس لأنها لم تكن لتناسب مع «الجرم» المرتكب ، فضلاً عن أن الطلبة لم يقوموا إلا بما أمرتهم عليهم عاطفهم وشعورهم الوطني والقومي النبيل ؛ لذا استدعاى صدور المرسومين احتجاج الصحف والأحزاب ؛ فرفع حزب الشعب احتجاجاً وقعه رئيسه ياسين الهاشمي في ١٦ شباط/فبراير ١٩٢٨ الى رئيس الوزراء دعاه الى الغاء المرسومين . وطلب الحزب الوطني في الموصل الذي يرأسه سعيد الحاج ثابت في ٢١ آذار/مارس ١٩٢٨ إعادة النظر في أمر الطلاب الذين فصلوا من مدارسهم . وقد حكمت سليمان وزير العدلية استقالته ؛ إلا أنه أجلها بناء على طلب من رئيس الوزراء .

كتبت جريدة «النهاية» في ١٧ فبراير ١٩٢٨ تبني على المتظاهرين لأنهم أظهروا عواطف وطنية جديرة بالتقدير لا باللوم . بل إن العطف تعدى حدود القطر العراقي الى الوطن العربي ، فتجد الثناء والتقدير في سوريا ولبنان ومصر . وتصدّت جريدة «العراق» البغدادية للهجوم الذي شنته جريدة «بغداد Times» ، الناطقة شبه الرسمية باسم دار الاعتماد البريطانية في بغداد ، ضد المتظاهرين ساخرة حين وصفت المظاهرات بأنها همجية ، وأنها أضحوكة العالم . وما ردت به «العراق» قولها أن دول العالم المتقدمة تحدث فيها مظاهرات لتعزيز الشعور القومي . ولا شك نحن نعلم تعاطف

جريدة «بغداد تايمس» والمندوب السامي السير هنري دويس وقتذاك مع الصهيونية، خاصة وهو الذي حث اليهود، على تأسيس فرع للوكالة اليهودية في العراق. لذا لا تستغرب من دويس فرضه حُجراً إعلامياً على انتشار أخبار المظاهرات بتشديد الرقابة على البرقيات الخارجية من العراق. ولكن رغم ذلك تسرّبت أخبارها عن طريق وكالة رووتر التي أشارت إلى ما لقيه ألفريد موند وحاشيته من «استقبال ساخن» زاد عدد المشاركون فيه على «العشرة آلاف» شخص، لما اتصل بعلم العراقيين أن موند إنما جاء لإدخال الفكر الصهيوني إلى العراق أو الترويج له.

وبالنظر لما لقيه موند من «ترحيب حار»، مع أن الطقس كان شتااءً، لم يستطع أن يبقى في بغداد أكثر من أسبوع زار خلاله في تكتّم شديد بعض المدارس والنوادي اليهودية، وحضر مأدبة أقامها له الملك فيصل، وصرّح إلى جريدة «بغداد تايمس» تصرّيحاً أثني فيه على فيصل، وزعم أنه جاء إلى العراق لمشاهدة أطلال بابل ودراسة بعض المشروعات الاقتصادية. وفي ١٥ فبراير غادر ألفريد موند بغداد مع حاشيته على متن طائرة نقلته إلى «الرطبة» حيث كانت هناك سيارة نيرن (وهي التي حملته إلى بغداد) بانتظاره. وقد علّقت «السياسة الأسبوعية» على ذلك قائلةً أن السير ألفريد موند اختار السفر بهذا الأسلوب خشية قيام المظاهرات.

وبعد أكثر من ثلاثة أشهر ألغت الوزارة السعودية الثالثة مراسيمها الجائرة بحق الطلبة المتظاهرين في ١٧ مايو ١٩٢٨، رغبة منها في كسب عطف الناس ووَدهم بحجّة انتفاء الغاية التي أدت إلى صدور تلك المراسيم.

هذا، وإن ما حدث عند مجيء الصهيوني الممقوت ألفريد موند، إن دلّ على شيء فإنما يدل على عمق الشعور القومي لدى أبناء الشعب العراقي، خاصة الطلبة أولاً، ولا مبالغة الحكومة العراقية، بتأثير دار الاعتماد البريطانية في بغداد، إزاء قضية فلسطين، فضلاً عن إهمالها مشاعر الجماهير وانحيازها عن قصد أو بدونه إلى صالح الحركة الصهيونية العنصرية

الاستعمارية الاستيطانية، باستقبالها لموند ثانياً، وتأمينها الحماية له ثالثاً، ومعاقبها المتظاهرين ضلله بقسوة متناهية رابعاً، مستخفة بمشاعر أوسع قطاعات الجماهير.

وتبقى الحقيقة أخيراً ساطعة بلون الشمس، حيث أن هذه المراسيم التي صدرت بحق هذه النخبة من أبناء الشعب العربي العراقي ما هي إلا أسمة شرف على صدور المناضلين الطليعين ضد الاستعمار والصهيونية وأذيالهما الطويلة والقصيرة.

وقد شهد العالم أجمع كيف رحل الاستعمار البريطاني عن العراق وبقي أبناء العراق الأصليين، أقوى من كل الغزاوة القدامي والجدد.

المراجع

- ١ - صادق حسن السوداني «النشاط الصهيوني في العراق ١٩١٤ - ١٩٥٢». دار الرشيد للنشر. منشورات وزارة الثقافة والاعلام. الجمهورية العراقية. سلسلة دراسات رقم ٢٠٦. دار الحرية للطباعة. بغداد. توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان. ١٩٨٠. ص ٦٥ - ٧٣.
- ٢ - خيري العمري «حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث» القاهرة. دار الهلال ١٩٦٩. ص ١٧٦ - ١٩٣.
- ٣ - طالب مشتاق «أوراق أيامي» الجزء الأول (١٩٠٩ - ١٩٥٨) دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت ١٩٦٨. ص ١٨٨.
- ٤ - عبد الرزاق الحسيني «تاريخ الوزارات العراقية» مطبعة دار الكتب. الطبعة الرابعة. بيروت ١٩٧٤. الجزء الثاني. ص ١٥٩ - ١٦٥.
- ٥ - جريدة «النهاية» العراقية بتاريخ ١٧ شباط / فبراير ١٩٢٨.
- ٦ - جريدة «العراق» البغدادية بتاريخ ٢١ شباط / فبراير ١٩٢٨.

الختـ الصهيوني واسرار عملية تفجير السفينة «باتريـا»

منذ اللحظة الأولى لولادة الحركة الصهيونية، تأكـتـت بصورة ملموسة أهمية ما يسمـى بـ«العنـصر البـشـري» في قاموس هذه الحـرـكة، مـمـثـلاً عـصـبـ حـيـاتـها وـشـرـيانـاـنـاـ وجودـها وـدورـتها الـدـموـيةـ، إضـافـةـ إـلـىـ عمـودـهاـ الفـقـرـيـ.

إـزـاءـ هـذـاـ الـوضـوحـ، لمـ يـعـدـ هـنـاكـ مجـالـ لـلـإـسـتـغـارـابـ، أـنـ يـنـصـبـ الجـهـدـ وـالـاهـتمـامـ الصـهـيـونـيـ عـلـىـ «ـتـهـجـيرـ»ـ الـيهـودـ مـنـ موـاطـنـهـمـ الأـصـلـيـةـ، إـلـىـ وـطـنـهـمـ المـزعـومـ: فـلـسـطـينـ، وـالـتيـ أـطـلقـواـ عـلـيـهـاـ اسمـ: «ـأـرـضـ الـمـيـعـادـ»ـ، لـكـيـ تـشـكـلـ الخـرـانـ الـبـشـريـ الـهـائـلـ، كـعـاـمـلـ طـرـدـ لـأـبـنـاءـ فـلـسـطـينـ الـعـربـ الـأـصـلـيـنـ، مـقـابـلـ إـحـلـالـ الـيهـودـ الـوـافـدـيـنـ مـكـانـهـمـ.

هـذـاـ وـلـمـ تـذـخـرـ الصـهـيـونـيـةـ جـهـداـًـ فـيـ سـبـيلـ تـحـقـيقـ مـرـامـيـهاـ الـاسـتـراتـيـجـيـةـ، وـاضـعـةـ فـيـ الـحـسـبـانـ كـلـ الـطـرـقـ وـالـأـسـالـيـبـ لـلـلوـصـولـ إـلـىـ الـمـبـغـيـ. وـرـغـمـ اـدـعـاءـاتـهـاـ المـزـعـومـةـ بـأنـ الـيهـودـ هـمـ «ـشـعـبـ اللـهـ الـمـخـتـارـ»ـ، فـإـنـهـاـ لمـ تـتـوـرـعـ عنـ اـسـتـخدـامـ «ـالـإـبـادـةـ الـجـمـاعـيـةـ»ـ بـحـقـ الـيهـودـ أـنـفـسـهـمـ، كـمـ حـصـلـ بـالـنـسـبـةـ لـلـسـفـيـنـةـ «ـبـاتـرـياـ Patriaـ»ـ عـنـدـمـاـ أـقـدـمـتـ مـنـظـمـةـ الـهـاغـانـاهـ الـأـرـهـابـيـةـ عـلـىـ نـسـفـهـاـ وـاغـرـاقـهـاـ فـيـ ٢٥ـ نـوـفـمـبرـ سـنـةـ ١٩٤٠ـ بـحـجـةـ «ـقـتـلـ الـقـلـيلـ مـنـ أـجـلـ نـجـاةـ الـكـثـيرـ»ـ.

كيفـ حـصـلـتـ هـذـهـ الـعـمـلـيـةـ؟ـ وـمـاـ هـيـ أـسـرـارـهـاـ؟ـ
فيـ الثـانـيـ وـالـعـشـرـينـ مـنـ شـهـرـ نـوـفـمـبرـ سـنـةـ ١٩٤٠ـ،ـ كانـ الإـعـدـادـ

جارياً لإبحار السفينة «باتريا Patria»، وهي سفينة فرنسية تركت في حيفا بدون بحارة؛ وفي ٢٤ / ١١ / ١٩٤٠، أي بعد يومين فقط، وصلت معلومات تفيد بحجز السفينة «أتلانتيك» وعلى متنها ١٩٠٠ / يهودي من رومانيا.

لذا آخر إبحار السفينة «باتريا» حتى يتم نقل خمسمائة من ركاب السفينة أتلانتيك إليها. وفي صباح ٢٥ / ١١ / ١٩٤٠، بعد أن تم نقل مائة مهاجر إليها حدث انفجار في السفينة «باتريا».

وقد تعددت الروايات حول هذا الحادث. إلا أن هناك إجماعاً على إغراق السفينة «باتريا» في هذا التاريخ، وذلك أثناء عملية نقل اليهود في ميناء حيفا من السفينة «أتلانتيك»، وهو أمر لم نجد حتى الآن ما يشكك في صحته أو عدم حدوته.

أما الروايات عن كيفية الغرق، فقد ندر أن وجدنا تفصيلاً له؛ إذ أن تقرير الوكالة اليهودية عن أعمالها في عام ١٩٤٠ يكتفي بذكر غرق السفينة دون أن يعطي تفصيلاً له، كما أن كتاب «The Palestine Diary» (المؤلف: «جون روبرت» و«سامي هداوي» المطبوع في بيروت سنة ١٩٧٠) وكذلك برقىتي القنصل الأميركي في القدس «وذ وورث» رقم ١٦٥ و ١١٥ لعام ١٩٤٠، تذكر الغرق أيضاً دون مزيد من التفصيلات. وهو أمر يدعو إلى الشك، وعلى الأخص ما جاء في تقرير الوكالة اليهودية، ذلك لأن المصادر الصهيونية اعتادت الإسهاب والتفاصيل في مثل هذه الحوادث، فلم الاشارة العابرة هنا والقضية تتعلق بغرق المئات؟.

ألفى كريستوفر سايكيس (ابن مارك سايكيس)، ضوءاً على كيفية وقوع الحادث. فقد ذكر «أن انذاراً وجه للركاب في الساعة الثامنة مساء للقفز إلى البحر من السفينة يوم ٢٥ / ١١ / ١٩٤٠»، بدليل أن المسؤولين عن سلامة السفينة أحسوا بوجود شيء ما سيحدث، وسيؤدي إلى ما يستوجب القفز من السفينة إلى البحر، وهو أمر سيعرض فيه الكثير من الركاب إلى خطر الموت، إلا إذا افترضنا أن جميعهم قادرون على السباحة.

وعندما غرقت السفينة، أعلنت اللجنة التنفيذية للوكلالة اليهودية في حينه، أن اغراق «باتريا» وليس غرقها، كان مظاهره جماعية من قبل ركابها ضد قرار المندوب السامي البريطاني على فلسطين «ماكمايكل» بترحيل اللاجئين الى مورشيوس. ويريد هذا الاعلان الكاتب الصهيوني «كوسنلر» في عام ١٩٤٩ بقوله أن المهاجرين - وليس المهجّرين - الذين كانوا على ظهر السفينة هم نسفوها، مما يدل على أن المسؤولين الصهيونيين كانوا على علم بما حدث. وقد ذهب البيان الى التأكيد وليس الاحتمال بالنسبة لإقامة الركاب على إغراق سفينتهم.

أما بالنسبة الى القنصل الأميركي في القدس، فقد ذكر في برقيته رقم ١٧٥ لعام ١٩٤٠ ما يلي : «يسود الاعتقاد أن بعض الجهات اليهودية هي المسؤولة عن «تدبير الحادث». اذ شوهد بعض الأفراد يقفون من السفينة قبل الانفجار». ولكن القنصل الأميركي لا يذكر اسم الجهة اليهودية المسؤولة، كما لا يذكر مصدر الاعتقاد مما جعل الشك في الحادث أمراً ضرورياً.

ان مثل هذه الحوادث في التاريخ يصعب كشفها والوصول الى الحقيقة حولها. لذا ينبغي اتباع الحذر الشديد في الروايات التي تصلينا، اذ يندر أن تخلو رواية من هو شخصي أو غرض سياسي . على أي حال، شكلت لجنة من قبل السلطة البريطانية في فلسطين بتاريخ ١٢/٧/١٩٤٠ للتحقيق في الحادث . وقد ألفت اللجنة ضوءاً جديداً على تدبير الحادث، بالإضافة الى ما ذكره القنصل الأميركي، عندما ذكرت أن الحادث «دبّر من الخارج دون علم أحد إلا ثلاثة أشخاص أو أربعة من ركاب السفينة». وهو قول يتعارض مع بيان اللجنة التنفيذية للوكلالة اليهودية الذي ذكر أن الحادث كان مظاهره جماعية من ركاب السفينة . وفي عام ١٩٤٢ أي بعد حادث السفينة بحوالي ستين، حدث ما يسترعي الانتباه حول هذا الأمر. فقد استنكر رئيس لجنة اليهود الالمان في فلسطين سياسة الوكلالة اليهودية ضد بريطانيا، كما اعتبر اسطورة الانتحار الجماعي لركاب السفينة باتريا مجرد دعاية . ولكنه بعد هذا الاستنكار تعرض للقتل أثناء عودته الى بيته.

و هنا أصبح الشك في قيادة الوكالة اليهودية التي أصدرت بيان الانتهار الجماعي في عام ١٩٤٠ وارداً. وإنما قتل مسؤول لجنة اليهود الالمان؟ لابد أنه أشار في بيانه إلى أمر تعتبره القيادة من أدق أسرارها، ويؤدي كشفه إلى التأثير على سياستها.

ولكن سرعان ما ظهرت الحقيقة داخل الكيان الصهيوني بعد تأسيسه في عام ١٩٤٨ . إذ لعبت المنافسات بين الأحزاب الصهيونية المختلفة دوراً في كشف أكثر من حادث سياسي . ولعل الكشف عن كيفية اغتيال «الكونت فولك برنادوت» الذي عينته الأمم المتحدة في سنة ١٩٤٨ وسيطاً دولياً بين العرب واليهود خير دليل على ذلك . فمن المعروف أن كيفية الاغتيال رغم صدور البيانات المتناقضة في حينه حولها، لم تعرف إلا في عام ١٩٧١ عندما تحدث «باروخ نادل» رئيس مكافحة التجسس في منظمة ليهي (شتيرن) سابقاً لمراسل مجلة «ليروبيو» الإيطالية عن دوافع الجريمة بقوله : «إن اللجنة المركزية لمنظمة ليهي (شتيرن) كانت تعتقد بأن مشروع برنادوت للسلام، ليس إلا مؤامرة بريطانية ضد «دولة اسرائيل» وأن برنادوت نفسه صديق للنازيين . كما كانت اللجنة المركزية لمنظمة ليهي لا تثق بين غوريون . وهكذا تقرر تصفيه برنادوت جسدياً، وأوكلت المهمة إلى «باروخ نادل» وإعداد أربعة من القتلة لتنفيذها . وقد قصدنا بهذا الاستطراد أنه من المعقول جداً أن يكون اغراق باتريا مفتعلًا لفت نظر العالم إلى القضية الصهيونية والتأثير على اليهود .

أما عن حادثة باتريا فقد تغيرت اللهجة في الكتابات الصهيونية، ولم يعد ذكر لعملية الانتهار الجماعي . فقد ذكر إيغال آلون «أن تفجير السفينة باتريا في حifa بتاريخ ٢٥ / ١١ / ١٩٤٠ كان على يد الهاغاناه، كرد على سياسة بريطانيا». أما اسرائيل غالily أحد قادة الهاغاناه، فقد ذكر «أن أحداً لم يكن يتصور الغرق كما حدث، أما أنه كان هناك خطأ في كمية المتفجرات أو ضعف في جدار السفينة . لقد ارتكب المهنيون خطأ».

كما يذكر سامي هداوي (في كتابه «جريمة بلا عقاب») الكشف عن تدبير الحادث على لسان الدكتور «هرزل روزنبلوم» المحرر في صحيفة «يديعوت احرنوت» وصفاً للإجتماع الذي اتخد فيه القرار بنسف السفينة من قبل قيادة الهاغاناه. كما يذكر تبرير القادة الصهيونيين لعملية النسف من أمثال «موسى شرتوك» لهذا الحادث والمتألخص في «قتل القليل من أجل نجاة الكثير». والجديد هنا أن القادة الصهيونيين كانوا على علم مسبق باحتمالية حدوث القتل، وليس كما ذكر غاليلي أن الحادث كان مرده إلى خطأ الفتنيين.

إن في اعتراف إيغال آلون بأن الحادث كان من تدبير منظمة الهاغاناه، ينفي التهمة التي وجهت إلى منظمة ليهي (شتيرن) والتي ساد الاعتقاد بأنها كانت وراء الحادث.

لذا فإن حادث إغراق السفينة «باترييا» نفذ بتخطيط وتعلم من قيادة الهاغاناه وبعلم قيادة الوكالة اليهودية في فلسطين. وقد نفذ هذا الأمر خدمة لهدف حددته القيادة الصهيونية. لذا لابد من استغلال الحادث أحسن استغلال، لا سيما وأن الحادث تبعه موت بعض اليهود من الذين كانوا على ظهر السفينة فقد ذكرت الروايات أن عدد القتلى كان حوالي /٢٦٠ / قتيلاً في الحادث. بينما ورد في تقرير الوكالة اليهودية لعام ١٩٤٠ ، فقدان /٢٥٧ / شخصاً. وعلى لسان اسرائيل غاليلي ، فقد مات مائتا شخص. بينما ذكر إيغال آلون أن عدد الذين غرقوا بلغ /٢٧٥ / شخصاً من ركاب «باترييا» بعد تفجيرها على يد الهاغاناه.

أما القنصل الأميركي العام في القدس «ودز وورث» فقد ذكر ما حدث بالنسبة للخسائر في الأرواح مفصلاً في برقته إلى وزير الخارجية، رقم ١٧٥ بتاريخ ١٢/٢ ١٩٤٠ الساعة العاشرة صباحاً وتم تسليمها في ١٩٤٠/٣/٣ الواحدة والنصف صباحاً إلى وزير الخارجية الأميركي ، على النحو التالي:

«من بين ألف وتسعمائة لاجيء بالتقريب كانوا على ظهر السفينة

«باتريا» علم ان ٣٠ منهم غرقوا، ومات إثنان في المستشفى، وهناك مائتان مفقودون. أما الآخرون - باستثناء ١٣ منهم هربوا من مستشفى هداسا - فقد احتجزوا في معسكرات الحجز. ومن المفقودين يعتقد أن أغلبهم قد نجوا وفروا هاربين، كما فقد شرطي بريطاني وأحد ضباط السفينة. وأما باقي ركاب «أطلانتيك» الذي كان يفترض ترحيلهم فقد تم حجزهم».

إن ما أورده القنصل العام في برقته يتطابق إلى حد كبير مع الروايات الشفوية لبعض من شاهدوا وقوع الحادث من سكان مدينة حيفا. فقد روى أكثر من مصدر عند سؤالهم عن هذا الحادث بأن عدد الموتى من اليهود لم يزد على إثنين. بينما روى البعض الآخر أن عدد الموتى كان لا شيء، وهي روايات لم تنشأ التعويل عليها لعدم صدقها، ولكن لعدم وجود أدلة ثبتت هذا الصدق. وقد جاءت رواية القنصل الأميركي متطابقة مع الروايات الشفوية حول تضخيم اليهود لعدد القتلى، وهو أمر نميل إلى تصديقه. فقد ذكر القنصل الأميركي بتاريخ ٢٠/١١/١٩٤٠، أن ثلاثة صحف عبرية نشرت أسماء ألف ومائة شخص من الذين كانوا على ظهر السفينة «باتريا». ولكننا بعد الحادثة لا نجد ذكرًا لأحد المتوفين الذين ذكرتهم الصحف العربية، كما إنني وحسب اطلاعِي - يضيف القنصل الأميركي - لملاحظِ ذكر اسم شخص يهودي يتسبَّب إلى أحد من هؤلاء الغرقى الذين اذْهَبْتُهم المصادر الصهيونية، خاصة وأن هذه المصادر تشير ببعض معاني الافتخار عندما يذكر اسم شخص يهودي له صلة من قريب أو بعيد ببعض ضحايا النازية أو ببعض الذين تعرضوا للاضطهاد في روسيا، أو بمن تعرضوا لحوادث لافتة للنظر أثناء محاولات القيادة الصهيونية تفويض أهدافها، مما يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن عدد القتلى الذين ذكرتهم المصادر الصهيونية غير قابل للتصديق، وجنحوا إلى المبالغة فيه لا من أجل الذين قتلتهم قيادة الهاغاناه، ولكن من أجل الاستفادة من هذا الحادث بما يخدم الغرض الصهيوني.

ان حادثة «باتريا» شاهد حيًّا على ما استهدفته قيادة الصهيونية من الهجرة غير المشروعة. فلم يكن الهدف هو إدخال اليهود، فذلك أمر كانت

تعلم هذه القيادة، أنه موفر وسهل، ولكنها اختارت طريق الدعاية لتشير الحماسة في نفوس اليهود الذين أداروا ظهورهم للمشروع الصهيوني، وكى لا تجعل العالم يلتفت إلى اقذاذ اليهود في أوروبا من جحيم النازية على حساب الهدف الصهيوني. هذا وقد أوردت «موسوعة الصهيونية وأسرائيل» (التي أشرف على تحريرها «رفائيل باتاي» وشارك في كتابتها أساتذة وعلماء صهيونيون، كما كان في مجلس أمنائها أكثر من مسؤول صهيوني)، أدق الأحصاءات الصهيونية عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين منذ سنة ١٩٣٩ حتى ١٩٤٥، مؤكدة أن عدد هؤلاء اليهود المهاجرين - المهجّرين - بلغ ٦٢٥٢٣ شخصاً.

وهذا الأحصاء الدقيق يمثل دليلاً قاطعاً على عدم صحة الادعاء الصهيوني بمنع بريطانيا من دخول اليهود إلى فلسطين.

من جهة أخرى، يؤكّد كتاب «من هم الإرهابيون؟» (الذي أصدرته مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت سنة ١٩٧٣)، وكذلك كتاب «قطار الموت» (المؤلفه خالد عايد، وقد طبع في بيروت سنة ١٩٨٤) أن ضابط الهاغاناه المدعو «مونيا ماردور» هو الذي وضع بنفسه اللغم الذي فجّر السفينة باتريا».

على ضوء ذلك، يمكننا تلخيص السياسة الصهيونية نحو الهجرة اليهودية على النحو التالي :

١ - انتقاء الشباب اليهود القادر على حمل السلاح واقناعهم بالهدف الصهيوني .

٢ - التركيز على هجرة الأطفال وهو هدف في ظاهره إنساني ، ولكن الصهيونية هدفت من وراء ذلك إلى تربية هؤلاء الأطفال تربية صهيونية محضة حتى يشبّوا صالحين عسكرياً ومعنوياً ومستعدين للدفاع عن الهدف الصهيوني ، تماماً كما كان حال «الإنكشارية» في الدولة العثمانية .

٣ - لم تركز الصهيونية في مسعها لجلب المهاجرين من أوروبا ، وسلّمت

بصعوبة الظروف التي تحدّ من هذه الهجرة في نهاية عام ١٩٤١ بعد اغلاق نهر الدانوب على يد النازيين، وبعد أن بدأ النازيون بـتغيير سياستهم نحو الصهيونية، والتفتت إلى يهود البلد العربية في نهاية عام ١٩٤١ وحتّى من تراه مناسباً منهم على الهجرة إلى فلسطين؛ ولم تتحقق الصهيونية بعض النتائج المرجوة في هذا الميدان الجديد إلا في خريف عام ١٩٤٢.

٤ - لجأت القيادة الصهيونية رغم تسليمها بعدم قدرتها على جلب اليهود إلى فلسطين، ورغم كل الامكانيات المتاحة لهم، إلى افتعال حملة دعائية حول الهجرة، لا من أجل الهجرة نفسها، ولكن من أجل الغرض السياسي الذي كانت تسعى إليه الصهيونية وهو تأسيس جيش يهودي، في خطوة تسبق إعلان الدولة اليهودية.

٥ - لجأت القيادة الصهيونية إلى استخدام الضغوط المختلفة وتزيف الحقائق من أجل إجبار الشباب اليهود الذين التحقوا بجيوش الحلفاء على دخول فلسطين.

٦ - لم تلتفت القيادة الصهيونية إلى أمر قبول اليهود كلاجئين في البلاد التي سمحت لهم بذلك أثناء الحرب، ورفضت هذا الموقف الإنساني وأصرّت على هجرة اليهود الذين تريدهم هي إلى فلسطين فقط. أما ما تبقى من اليهود فكانوا مادة طيبة للدعائية الصهيونية تستغلها في كسب عطف الشعوب وتأييد الحكماء، لأن ذلك أكثر خدمة ونفعاً للهدف الصهيوني من إنقاذ اليهود أنفسهم.

ألم يقل بن غوريون بعد قيام دولة الاحتلال الصهيوني عام ١٩٤٨، «أن اليهود أينما كانوا، هم إسرائيليون بالقوة»؟.

وهكذا يقى حادث سفينة «باتريا» «شاهد عيان» على نازية الحركة الصهيونية وفاسيتها، مع أن هتلر وموسوليني يربا نفسهما مقصرين وهزيلين أمام الصهاينة في فلسطين العربية، ولو كانوا استاذين لهم في هذه الأفعال والممارسات.

المراجع

- ١ - د. عبد الرحيم احمد حسين «النشاط الصهيوني خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥». المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٨٤ . ص ١٠٧ - ١٠٠ .
- ٢ - «من هم الارهابيون؟» منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٧٣ . ص ١٢ - ١٣ .
- ٣ - خالد عايد «قطار الموت؛ معركة بيروت في سياق الارهاب والتتوسيع الصهيوني». دار الشرق الأوسط. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٨٤ . ص ٤٤ - ٤٥ .
- ٤ - John Robert and Hadawi Sami «The Palestine Diary» PRC, Beirut, 1970. p. 60 and 338.
- ٥ - «Encyclopedia of Zionism, and Israel», Edited By R. Patai. Herzl press, McGraw Hill, Newyork , 1971. P. 537.
- ٦ - عصام السبع «الارهاب الصهيوني خلال فترة الانتداب البريطاني ١٩٢٢ - ١٩٤٨». جامعة القاهرة ١٩٧٩ (رسالة ماجستير) .
- ٧ - جون ودافيد كيمشي «الدروب السرية» منشورات «فلسطين المحتلة» . مطبع الكرمل الحديثة. بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨١ ص ٥١ - ٥٢ .

مؤامرة تقسيم فلسطين والمهرلة الدولية

احتلت قضية فلسطين - ولا تزال - موقع القلب في الجسم العربي على امتداد مراحل أزماتها المتلاحقة. وقد احتار الغزاة والمستعمرون في ابتكار الطرق والوسائل التي تكفل ديمومة تحكمهم في المنطقة العربية، والعمل بكل الجهود والأماكنات لتجزئة الأرض والشعب وتفتيت الوحدة التي تشكل خطراً كبيراً على الامبراطوريات الاستعمارية، وتلافياً لأنهيارها كما انهارت امبراطوريات الأغريق والرومان من قبل . . .

لقد أدرك الاستعمار في وقت مبكر، أننا أبناء الأمة العربية، نمثل أعضاء في جسد واحد هو الشعب العربي والأمة العربية، وكلنا شرائين لقضية مصرية ومركزية واحدة هي قضية الشعب العربي في فلسطين. ولا يمكن أن ينقلب الدم إلى ماء في زمن المحن والكوارث، وفي عصر ارتياح الفضاء الخارجي. وبقدر ما تكون أعضاء الجسم سليمة، بقدر ما يكون الجسم معافى. والويل لجسد تغلغل فيه سلطان الدماغ والدم. وقد مثلت الحركة الصهيونية، في الواقع، أخطر أنواع الاستعمار على أمتنا ووطتنا. وقد شبّهها الأمير شكيّب ارسلان «باللص وقاطع الطريق»، ومن هذا المنطلق، وقبل أن يلفظ انفاسه الأخيرة على فراش الموت في عام ١٩٤٦، سلم لعبدالله المشنوق وصيته الكبيرة قائلاً: «أوصيكم بفلسطين».

ولم يمض عام واحد على غيابه، حتى صدر «القرار - المؤامرة» في سنة ١٩٤٧، عن هيئة الأمم المتحدة والقاضي بتقسيم فلسطين.

فكيف كان ذلك؟ وما هي أسرار هذه الصفة؟ .

وفي ٢٨ ابريل ١٩٤٧ ، عقدت الجمعية العمومية جلسة خاصة في نيويورك لبحث قضية فلسطين . . . وقرر على أثرها تأليف لجنة للتحقيق بالقضية الفلسطينية ، على ان ترفع تقريرها الى اللجنة الرسمية الثانية في الجمعية العمومية في مدة أقصاها شهر ايلول / سبتمبر ١٩٤٧ .

وهكذا تألفت لجنة التحقيق من إحدى عشرة دولة صغرى هي : استراليا / كندا / تشيكوسلوفاكيا / غواتيمالا / الهند / ايران / هولندا / بيرو / السويد / الارغواي / يوغوسلافيا / كما عين القاضي السويدي اميل ساندستروم رئيساً لها .

ومنذ الساعات الأولى التي أعلنت فيها أسماء أعضاء اللجنة بدأت محاولات الصهيونية للضغط والتأثير على الأعضاء . . كما راحت المنظمات والمؤسسات اليهودية تبذل الجهد والمساعي خلال اجتماعات الجمعية العمومية لكسب التأييد والمساعدة لقضية الصهيونية .

وبعد اجتماعات عديدة عقدتها اللجنة في «ليك سكس» والقدس وبيروت وجنيف ، وطوال ثلاثة أشهر متواصلة ، فقد اقترحت اکثريه الأعضاء (كندا / تشيكوسلوفاكيا / غواتيمالا / هولندا / بيرو / السويد / الارغواي) تقسيم فلسطين . واقتصرت الأقلية المؤلفة من الهند / وإيران / يوغوسلافيا إقامة دولة واحدة على نظام فيدرالي ، بينما لم تؤيد استراليا أحد الاقتراحين .

وفي الثالث من شهر سبتمبر ١٩٤٧ ، كلفت هيئة الأمم لجنة فرعية لدراسة الاقتراحين المقدمين من الأکثريه والأقلية ، وقد تشكلت هذه اللجنة الجديدة من جميع أعضاء هيئة الأمم وانتخبت وزير خارجية استراليا رئيساً لها .

وعقدت اللجنة الجديدة ٣٤ اجتماعاً ما بين ٢٥ سبتمبر و ٢٥ نوفمبر ١٩٤٧ ، وقد تولى مهمة الدفاع عن اقتراح الأکثريه القاضي بالتقسيم

«غراسيا غرانادوس» مندوب غواتيمالا، و«روديكز فابرغات» مندوب الأوروغواي. وقد كان دفاع هذا الأخير واندفاعه في تأييد وجهة نظر الصهيونيين موضع دهشة وتساؤل في أروقة الأمم المتحدة.

ولم ينس الصهيونيون جميل هذين المندوبيين فأطلقا اسميهما على شارعينٍ من شوارع «إسرائيل»، اعترافاً بفضلهما على القضية الصهيونية، وتشجيعاً لغيرهما.

وبعد مناورات برلمانية في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ طرح القرار على التصويت، فأقر بأكثرية ٣٤ صوتاً وامتناع ١٠ عن التصويت وتغيب مندوب واحد. وقد كان موقف ليبيريا وهaiti والفيليبين مدعاة للدهشة والاستغراب؛ إذ أنهم أيدوا المشروع، بينما كانوا قد أعلنوا قبل ٢٤ ساعة فقط من موعد الاقتراع أنهم سيعارضون قرار التقسيم.

وعندما أعلنت النتيجة صاح حاخام يهودي حضر الجلسة بحماس: «هذا هواليوم الذي وعدنا بهالرب... فلنفرح به...».

وهنا لا بد من الإشارة إلى ما رواه الأمير عادل ارسلان / شقيق الأمير شكيك / حول كيفية كسب إسرائيل الأصوات التي أيدت مشروع التقسيم في هيئة الأمم المتحدة، وكان المفترض أن تبلغ هذه الأصوات ثلثي أعضاء الهيئة. فقد كان ممثلو الدول العربية مطمئنين إلى تأييد ثماني عشرة دولة من الأمم المتحدة بحيث يستحيل مشروع التقسيم ان يحظى بأغلبية الثلثين المطلوبة .

وكان الصهيونيون ومن ورائهم أميركا يدركون هذا الأمر، ويعرفون أن لا مناص لهم من زحمة بعض مؤيدي العرب عن موقفهم وحملهم بشتى الطرق والوسائل للتصويت على مشروع التقسيم. وبالفعل تمكناً بمناوراتهم واتصالاتهم الواسعة وسائلتهم المغربية من حمل مندوبي هaiti وليبيريا وسيام للتصويت على المشروع، بعد أن كان هؤلاء قد صرحو أنهم سيقفون عند التصويت إلى جانب الدول العربية لوجاهة قضيتها وعدالتها. وقد فوجيء

المندوبيون العرب في جلسة الاقتراع التاريخية عندما وقف مندوب هايتي وقال أوالدمع في عينيه، انه ما يزال شخصياً عند رأيه الخاص في معارضه مشروع التقسيم ، ولكنه بصفته ممثلاً لحكومة هايتي ، لا يسعه إلا أن ينزل عند أوامرها بالموافقة على المشروع . وتفصيل هذا التغير المفاجئ هو ان «موشيه شاريت» (رئيس الوزراء الصهيوني لاحقاً) قصد قبل جلسة الاقتراع الى الفندق الذي كان ينزل فيه مندوب هايتي ، واتفق انه في تلك اللحظة كان يستقبل احد العرب الفلسطينيين وهو «السيد عوني الدجاني» الذي جاء يشكوه على موقفه من قضية فلسطين ، ودخل شاريت دون أن يأبه لعوني الدجاني ، فقد ظنَّ سكرتيراً لمندوب هايتي . ثم بدأ الكلام عارضاً مبلغ اربعين الف دولار على المندوب لقاء تأييده للمشروع . فرفض مندوب هايتي العرض بأباء . واغلظ القول لشاريت الذي انسحب وهو يردد: «سوف تندم وسترى ان حكومتك ستؤيد المشروع». وهذا ما حدث بالفعل . إذ تمكنت الصهيونية العالمية من اقناع حكومة هايتي بوسائلها الخاصة بتأييد المشروع . وكان ان ارسلت الحكومة الى مندوبيها التعليمات بتأييد مشروع التقسيم . وهكذا وقف مندوب هايتي بعد ساعات يصوت للتقسيم وهو يبكي .

أما قضية سيام فشهيرة... فعندما أيقنت الصهيونية ان المندوب السيامي سيقف عند التصويت الى جانب الدول العربية ، عمدت الى تمرير مؤامرة محبوكة الاطراف لإبعاد هذا المندوب عن التصويت .

وتفاصيل القضية ان سيام كانت قد تعرضت وقتذاك الى انقلاب سياسي في بلادها اطاح بالحكام المسؤولين فيها ، وجاء بغيرهم . ولما كان الصهيونيون قد يئسوا من ممثلي سيام ، فقد استغلوا هذا الانقلاب وتمكنوا بمكرهم ودسائتهم من ان يوهموا رجال الانقلاب في سيام ان مندوبسيام في هيئة الامم لا يؤيدون الانقلاب وأنهم يتآمرون على رجاله . وقد اسفرت هذه الدسائس عن سحب جميع أفراد البعثة السيامية واستبدلهم باشخاص أيدوا التقسيم يوم الاقتراع .

واما ليبيريا فقد خسر العرب صوتها بسبب ثروة المطاط الموجودة فيها .

إذ أن من يشتري هذا المطاط الذي يشكل مورد البلاد الرئيسي هو شركة «فاييرستون» العالمية. وبواسطة هذه الشركة أمكن للصهيونيين أن يؤثروا على حكومة ليبيريا وأن يكسبوا صوتها لتأييد مشروع التقسيم ..

ولقد كانت هناك طريقة فلدة لمقاومة الدسائس الصهيونية، وهي طريقة اقرار الاقتراع السري في التصويت، وقد اقترح هذه الفكرة بالفعل، الامير عادل أرسلان وكميل شمعون. ولكن رؤي في آخر الأمر صرف النظر عنها، لأن الكتلة العربية كانت تعتقد أن مشروع التقسيم لن ينال أكثرية الثلاثين المطلوبة ...

ويؤكد الدبلوماسي الاميركي «ألفريد ليلتسال»، مستشار وفد أميركا في مؤتمر سان فرانسيسكو لهيئة الأمم، صحة ما ذكره الامير عادل أرسلان، فيقول بنوع من التفصيل الدقيق بأن دعوة الصهيونية كانوا يتقدمون بجرأة الى مفوضيات دول أجنبية للحصول على تأييدها مستخدمين شتى وسائل الاغراء. وقد كان في طليعة هؤلاء الصهيونيين الذين لعبوا دورهم الكبير: القاضي «جوزف بروسكاوير» رئيس اللجنة الاميركية اليهودية، والاقتصادي «روبرت ناثان» و«دافيد نايلز» مستشار البيت الأبيض لشؤون الاقليات ... وقد اتصل هؤلاء الثلاثة بالحكومات الأجنبية أو ممثليها بوصفهم مجرد «مواطنين أميركيين» وكانوا، على ما يبدو، رجالاً ذكياء يعرفون من أين تؤكل الكتف ..

حتى السيدة اليانور روزفلت بذلت الجهد الجبار، واستعانت بأصدقائها ونفوذها للضغط على عدد من مندوبي الدول الأجنبية، كما كانت تلح باستمرار على خليفة زوجها هاري ترومان لأن يمارس ضغطه على موظفي نظارة الخارجية. كذلك قام «برنارد باروخ» بمساعٍ مع فرنسا المستفيدة من مساعدات مشروع مارشال. كما أن عدة شخصيات أميركية متقدمة اتصلت بمندوبيين آخرين أمثال مندوبي هايتي والجشة والفيليبين، والباراغواي، واللوكمبورغ وضفت عليهم لتأييد قرار التقسيم ..

وقد أشار الصحفي «دروبيرسون» وهو صديق قديم للصهيونية الى

المخابرة الهاتفية التي جرت بين «أدولف بيرل» المستشار الرسمي لحكومة هايتي ورئيس جمهوريتها، والتي أسفرت عن تأييد مندوبيها لقرار التقسيم. وكذلك تحدث عن الاتصالات التي جرت بين «هارفي فيرستون» صاحب مزارع المطاط الشاسعة في ليبيريا وبين حكومة ليبيريا، والتي انتهت بأن وقفت هذه الأخيرة إلى جانب التقسيم..

وفي أثناء مأدبة غداء أقيمت في اليوم الأول من ديسمبر ١٩٤٧، أقال «روبرت لوفيت» سكرتير نظارة الخارجية بصرامة، ما نصه بالحرف الواحد: «انتي ما تعرضت في حياتي أبداً الى مثل الضغط والاغراء اللذين تعرضت لهما خلال الأيام الثلاثة التي سبقت طرح قرار التقسيم على الجمعية العمومية». ولقد كان في مقدمة الذين اتصلوا بـ«لوفيت» وضغطوا عليه «هربرت بيارد سواب» و«روبرت ناثان». واستناداً الى أقوال «لوفيت» نفسه، ثبت أن شركة «فايرستون» للمطاط استغلت نفوذها في ليبيريا للضغط على حكومتها مباشرة لقبول القرار..

أما المهزلة الكبرى... فهي التي جرت لكسب الفيليبين إلى جانب التقسيم. فقد غادر الجنرال «رومولو» الولايات المتحدة بعد أن أعلن معارضته الشديدة للقرار. وبعد سفره مباشرة اتصل سفير الفيليبين برئيس الجمهورية روكساس هاتيفيا، وأنبه بالضغط الشديد الذي تعرض له «رومولو» وأعضاء الوفد، ثم أبدى وجهة نظره وهي تفضي بضرورة تأييد قرار التقسيم، لا سيما وأن حكومة الولايات المتحدة ووفدها في هيئة الأمم مصمّمان على أقرار المشروع. وأبلغ السفير الفيليبيني رئيسه أن مصلحة الفيليبين هي في تأييد الولايات المتحدة في موقفها.. وكان أن وافق رئيس جمهورية الفيليبين على وجهة نظر السفير..

وفي هذه الأثناء تلقى الرئيس روكساس أيضاً برقية موقعة من سبعة وعشرين شخصية أميركية من أنصار الصهيونية، في مقدمتهم عضو الكونغرس الأميركي «روبرت داكز»، وفيها يطلبون بإلحاح تأييد مشروع التقسيم، ويذكرون المسؤولين في الفيليبين بالفوائد التي ستجلبها الجزيرة من جراء هذا

الموقف.

وهذه البرقية نفسها كانت قد أرسلت الى اثنى عشر مندوبي الدول في هيئة الأمم. وكان من نتيجتها أن أربعة منهم انقلبوا الى تأييد المشروع بعد أن كانوا معارضين له. كما تحول سبعة مندوبي من المعارضة الى الامتناع عن التصويت..

وكانت اليونان الدولة الوحيدة التي احتفظت بموقفها المعارض، على الرغم من الاغراء والضغط اللذين تعرض لها وفدها في أروقة الأمم المتحدة..

ومما يستلفت النظر، أنه قبل أسبوع من اقرار مشروع التقسيم زار وايزمن الرئيس الأميركي هاري ترومان. وكان هدف هذه الزيارة تدعيم وضع الصهيونية، والتأكد من أن خليج العقبة سيكون ضمن الأراضي التي ستتشكل «الدولة الصهيونية».

كما أن اتصالات عديدة جرت بين البيت الأبيض والزعماء الصهيونيين عن طريق «دافيد نايizer» و«ادوارد جاكيسون» شريك ترومان القديم في عمله التجاري بمدينة كنساس، الذي أدى للصهيونية خدمات جلية مستغلًا صداقته المتبينة بالرئيس الأميركي..

والحقيقة أن اقرار مشروع تقسيم فلسطين لم يمر بهذه البساطة في فلسطين، حيث سقط مئات القتلى والجرحى في الاشتباكات بين العرب والصهاينة، فيما كان البريطانيون على وشك الرحيل وجلاء قواتهم عن فلسطين. وقد أعلن حاييم وايزمن قبل أيام معدودة من هذا الرحيل قائلاً: «لقد تمكنت من توطيد علاقتنا بأصدقائنا في واشنطن، وتأكدت أنه سيتم الاعتراف بالدولة اليهودية في اللحظة التي يعلن فيها عن إنشائها»..

وفي ۱۳ مايو ۱۹۴۸ كتب رسالة خاصة الى ترومان يطلب فيها: «أن تعرف الولايات المتحدة حالاً بالحكومة المؤقتة للدولة اليهودية الجديدة»..

وفي الساعة السادسة تماماً حسب توقيت واشنطن (الساعة ١٢ حسب توقيت القاهرة) من يوم ١٤ مايو ١٩٤٨، أُعلن نبأ نهاية الانتداب على فلسطين ..

وفي الساعة السادسة والدقيقة الواحدة أُعلن قيام «دولة إسرائيل» الجديدة ..

وفي الساعة السادسة واحدى عشرة دقيقة تم اعتراف الولايات المتحدة بالدولة الجديدة، حيث دعا «شارلز روس» الملحق الصحفي في البيت الأبيض، رجال الصحافة إلى مكتبه وتلا عليهم قراراً مؤلفاً من سطرين يتضمن اعتراف الرئيس ترومان بدولة إسرائيل اعترافاً واقعياً ..

وهكذا كانت الولايات المتحدة أول دولة اعترفت بالكيان الصهيوني، حيث جن جنون غواتيمالا التي كانت تريد أن تكون السباقة في هذا المضمار ..

ولابد أخيراً من القول، بأن فلسطين كانت غصّة وحرقة ووصية عند الأمير شكيب أرسلان. وقد عاش الكثير من ماراتها وعداياتها أخوه الأمير عادل أرسلان، وما زلنا نحن، أبناء الأمة العربية نجرع كأسها المرة صباح كل يوم، ونتنفسها مع كل عملية شهيق، لأنها من أقدس القضايا في تاريخ القرن العشرين، ومن أعظم الأمانات في أعناق جيلنا الحاضر والمستقبل. ولأنها أولاً وقبل كل شيء هي الأبجدية في مدرسة فرسان السيف والقلم والكلمة، ونحن في هذه المدرسة طلاب علم وثقافة ومبادئ ..

وما من أعصار إلا ويعقبه الهدوء والسكون .. وما من ليل إلا وينتشع عن الفجر الصافي .. وأآخر الليل نهار كما يقول الشاعر العربي الفلسطيني محمود درويش ..

المراجع

- ١ - أحمد الشرباصي «الأمير شكيب ارسلان داعية العرب والاسلام». منشورات دار العجيل. بيروت.
- ٢ - حبيب نحولي «مقدمة لم تتم» كتاب «ثمن اسرائيل» للكاتب الأميركي كي الفرييد ليلتال. مطبع دار الكشاف. بيروت. الطبعة الأولى فبراير ١٩٥٤. ص ١ - د.
- ٣ - الفرييد ليلتال «ثمن اسرائيل» ترجمة حبيب نحولي ويسار هواري. مطبع دار الكشاف. بيروت. ط ١. شباط/فبراير ١٩٥٤. ص ٥٣ - ٩٧.
- ٤ - عبد القادر ياسين «أمريكا والمسألة الفلسطينية». مجلة «الكاتب» (مجلة المثقفين العرب - تصدر عن الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر) السنة الحادية عشرة. العدد ١٢٦. سبتمبر / أيلول ١٩٧١. ص ٣٧ - ٤٧.

الخطبوط الصهيوني

واسرار عملية اغتيال الوسيط الدولي «الكونت فولك برناودت»

من عاشت في دمائه، العنصرية، لن يتنفس الا الجريمة والدم. وليس هناك أعرق وأخبر من الصهاينة بمارستهم لهذا الأسلوب في القرن العشرين. وقد برع بينهم قيادات في الاجرام والمذابح يخجل من ذكرهم هتلر وموسوليني ، والذين هم أساتذتهم في هذا الفن الدموي ..

وفي الوقت الذي تعمق فيه بشعاراتهم «المقدسة» فإننا نلمس واضحاً بأن الشرايين التي تخيط أجسادهم لا تبض الا بدم الحقد والاجرام والعنصرية ؛ والعالم لا يشقق على المذبوحين .. لكنه يحترم المحاربين .. تلك هي العبارة التي تلخص كل رؤيا «قادة الاجرام» الصهاينة التي ترجمها الارهابي العريق «مناحيم بیغن» منذ أن تعرف على الفيلسوف الصهيوني المتطرف «فلاديمير جابوتينسكي»، الى سلسلة طويلة من القتل .. «والتبشير بالقتل». هذا ويعرف «بيغن» أن طائراً توراتياً أو حى له بتشكيل عصابة «الأرغون» الارهابية الشهيرة .. وأن النبي داود حرّضه على نسف الفندق الذي يحمل اسمه في القدس .. وقرر ذات يوم أن يقتل «بن غوريون»، ثم راح يشنق الجنود البريطانيين ويغنى لزهوة البرتقال.

هذه هي نماذج الارهاب العنصري الصهيوني ، وبتعبير أوضح ، هذه هي الجريمة التي تمشي على الأقدام .. والتي ستعود من جديد الى «الائحة الشرف» في الشرق الأوسط ..

وكما اشتهر هتلر النازي بعباراته وكلماته النارية التي حواها كتابه «كفاخي» وأشعلت من جرائها الحرب العالمية الثانية، فكذلك الحال بالنسبة لمناجيم ييغن، الذي قدم من مدينة «بريست ليتوافسك» الروسية إلى فلسطين، لكي يحول أرضها، كما يقول في كتابه «التجربة والأمل» إلى «امبراطورية تتفجر عسلاً... وبطولة». كان تلميذاً شديداً للمنظر المتطرف، «فلاديمير جابوتينسكي» الذي اشتهر بعباراته التحريرية الصلبة «السياسة هي فن القوة...». «وعندما تضرب الفولاذ بمطرقة فإن الجميع يتهدّون صوت الدوى، وعندما تستعمل القفاز فإن أحداً لا يتّبه إلى وجودك»... «إن الأذى الثقيل هو الذي تصنع التاريخ» هذه الشعارات اجتذبت «مناجيم ييغن» إلى حد قوله في الكتاب نفسه: «كان إنكار أو حتى تجاهل أفكار جابوتينسكي يعني الخيانة. إذ لم يكن من الممكن أن نستمر في المسيرة حفاة فيما يكتظ التاريخ بالتضاريس المديدة»...

كان «بيغن» يحلم منذ طفولته أن يصبح حاخاماً، لكي تصبح «القلنسوة الحاخامية» هي الحل. إلا أن التطلعات الحاخامية السلمية لم تدم طويلاً، حيث تعرف إلى «فلاديمير جابوتينسكي» وأعجب به اعجاباً شديداً، إلى الحد الذي دفعه إلى القول في «التجربة والأمل»: «في هذه اللحظة رفع الستار عن الفصل الحقيقي من حياتي... كان علينا أن نستعمل ألسانتنا لا كلماتنا، في جلد التاريخ»، والتاريخ كان في نظره، على ما يبدو، «الشعب الفلسطيني»...

ففي مقال كتبه عام ١٩٤٤ وكان للتو قد أسس عصابة «الارغون» الإرهابية قال: «من العبث القول بالمشاركة والتعايش... إن هناك حقيقة جوهرية لا يمكننا التخلّي عنها، لأن في ذلك التخلّي عن أنفسنا، وهي أن هذه الأرض هي أرضنا، وواجبنا أن نقضي على الاغتصاب الذي سادها رغمـاً عنا»...

وهكذا انقلب المقياس، وتحول المجرم إلى قاضٍ، بينما أصبح القاضي في موقع المجرمين واللصوص.. تلك هي القوة بغير حق، وذلك هو

الحق بغير القوة. ولم يكن «دافيد بن غوريون» أقل تصلباً من «بيغن». ففي اجتماع عقد بين الرجلين في 11 يوليو 1946، عرض «بيغن» برنامجاً للقتل أطلق عليه اسم «برنامج التحرير». وهو يقوم على أساس شن غارات صاعقة وواسعة النطاق على عدد من المجتمعات العربية يتم خلالها قتل أكبر عدد ممكن من العرب، يدفع العرب الآخرين إلى الهجرة القسرية عبر الحدود..

وعلى هذا الأساس، كانت مجردة دير ياسين «وكفر قاسم» «وقبية» «والقسطل» وغيرها. ولم يكن ذلك الا من خلال فلسفة «جابوتسكي» التي يقول عنها «بيغن» بأنها كانت هي السائدة في منظمة «الارغون». الا أنه استعان أيضاً ببعض الجوانب الخلاقية في فلسفة «تيودور هرتزل» الذي كان يعتبر أن الإنسان هو «مخلوق سطحي ساذج لا عقل له، يخضع لإرادة العباقة ويضحى بنفسه من أجل الرموز والطلasm.. وهو حيوان حال من البراءة».

وقد طبق «بيغن» الفهم الهرتزلي للإنسان في عملية التشكيل النفسي للأعضاء «الارغون». ويقول «هارون بليدي»، أحد الإرهابيين الكبار في هذه المنظمة (انتحر في عام 1959 لأسباب لم يعلن عنها، والمرجح أنه اغتيل)، إن بيغن يتعامل مع (الارغونيين) وكأنهنبي حقيقي.. فعندما أمر بتفجير «فندق الملك داوود» في القدس، كان يشغل باله هاجس واحد هو: كيف ينسف فندقاً يحمل اسمنبي يهودي؟ ويقول «بليدي» أن وأشاراً مرضية ظهرت على وجه بيغن إلى أن جاء ذات يوم وقد سطع فوق وجهه شعاع غريب، وراح يردد: «لقد شاهدت الملك داوود هذه الليلة وقال لي: لا تتردد في صنع مجد إسرائيل. إن اسمي لا يعرف الطمأنينة الا اذا كانت قلوبكم مطمئنة». وكانت هذه الكلمة السر التي جعلت «فندق الملك داوود» ينهار بعد أقل من أربع ساعات فوق مئة نزيل من ضباط وجنود الانتداب البريطاني. لقد كان بيغن حقاً يمتلك نزعة للقتل والتدمير بالجثث، قلما تميزت بها أعصاب مجرم قبله.. وكان الى جانبه «نخبة» من محترفي هذا الفن والذين برعوا في ممارسته ليس على صعيد العرب فحسب، ولا ضد البريطانيين، أولياء نعمتهم

فقط، بل طاول اليهود أيضاً في أكثر من بلد لارغامهم على الهجرة الى اسرائيل... كما أن «بيغن» ورفاقه هم الذين نظموا عمليات التفجير والاغتيالات ضد يهود العراق لدفعهم الى الهجرة الى «أرض الميعاد». وكذلك ضد سفن عديدة ومن بينها سفينة «باتريسا» التي كانت تقل المئات من المهاجرين، وأعلن عن حوادثها فيما بعد بأنها عمليات «انتحار جماعي»، في الوقت الذي أظهره التحقيق أن أعضاء منظمة «الاراغون» هم الذين نفذوا هذه العمليات لإثارة الرأي العام ضد بريطانيا وللتحريض على الغاء القيود المفروضة على الهجرة اليهودية الى فلسطين... .

هذا وتمثل عملية اغتيال الوسيط الدولي في فلسطين «الكونت فولك برنادوت» قمة الارهاب الصهيوني، مؤكدة في الوقت نفسه سخف الادعاءات القائلة «بالحصانة الدولية» على أي مسؤول مهما كانت مرتبته وأهميته، وليس هناك من حصانة - بنظر الصهاينة - الا الحصانة الصهيونية فقط دون غيرها.

فمن هو «الكونت برنادوت»؟ وما هي أسرار عملية اغتياله؟ .

ولد الكونت «فولك برنادوت اوڤ فيسبورغ» في العاصمة السويدية، ستوكهولم، عام ١٨٩٥ . وهو ضابط سويدي يمت بصلة القرابة الى غوستاف الخامس. كان يتمتع بثقافة عالية وشخصية دبلوماسية محترمة. ترأس الكونت برنادوت الصليب الأحمر السويدي؛ ونقل في العام ١٩٤٥ طلبmania بالاستسلام الذي رفضه الحلفاء وأصرروا على استسلام دول المحور دون قيد أو شرط. وعند نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين عين برنادوت في ٢١ مايو ١٩٤٨ ك وسيط دولي . ولقد أبلغه «تريفي لي» سكرتير عام هيئة الأمم المتحدة أن صلاحياته تتلخص في النقاط التالية :

- أ - اتخاذ جميع الوسائل التي تضمن سلامة السكان وصيانة الأماكن المقدسة والسعى لاحلال السلام بين العرب واليهود في فلسطين .
- ب - التعاون مع لجنة الهدنة التي عينها مجلس الأمن في قراره الصادر بتاريخ ٢٣/٤/١٩٤٨ .

ج - التعاون مع جميع فروع هيئة الأمم الأخرى كالمنظمة الصحية من أجل تأمين مصالح السكان ..

ويذكر «برنادوت» في مذكرةه «أنه لم يكن مقيداً بقرار التقسيم الذي أصدرته هيئة الأمم المتحدة في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٤٧ .

ولقد وصل برنادوت إلى فلسطين فور تكليفه، وأخذ يتنقل بين تل أبيب والدول العربية برفة عدد من المراقبين الدوليين الموضوعين تحت تصرفه. وكان يبذل جهوده بحثاً لتحقيق حدة التوتر، وإنهاء حالة النزاع. ولكنه استقبل من العرب والإسرائيليين بكثير من الحذر. فلقد رأى العرب أنه وسيلة من وسائل الأمم المتحدة لتحقيق التقسيم بالقوة، واعتبره الإسرائيليون صنيعة واشنطن ولندن للحلولة دون توسعاتهم. بيد أنه كتب في مذكرةه بأنه كان ينعم بشقة العرب، وأن الإسرائيليين كانوا يناؤونه بشدة ..

وفي ٢٧/٦/١٩٤٨ اقترح «برنادوت» على العرب والإسرائيليين، في اجتماعات منفردة، مقتراحات أولية لبحث المفاوضات، خلاصتها: تقسيم فلسطين وشرق الأردن إلى وحدتين عربية ويهودية، وتحديد حدودهما من قبل لجنة فنية، ودخول هاتين الوحدتين في اتحاد يشرف على شؤونه مجلس مركزي وعدد من المجالس الأخرى، مع اعطاء الحرية بالهجرة إلى كل وحدة لمدة سنتين، تحديد الهجرة بعدهما. وفي حالة تعذر حل المعضلات داخل مجلس الاتحاد المركزي يجوز لأي فريق أن يرفع الأمر إلى هيئة الأمم المتحدة. ولقد نصت المقتراحات على حرية العبادة وحقوق الأقليات والحفاظ على الأماكن المقدسة وحق العودة للذين تركوا البلاد بسبب الحرب ..

وكان من مقتراحات «برنادوت» تعديل قرار التقسيم (٢٩/١١/١٩٤٧) عن طريق: ضم النقب كله أو بعضه إلى العرب، وضم الجليل الغربي كله أو بعضه إلى اليهود، وضم مدينة القدس إلى العرب، مع اعطاء اليهود حرية العمل بشؤون البلدية وضمان الوصول إلى الأماكن المقدسة، وإعادة النظر

في وضع يافا، وإقامة منطقة حرة في ميناء حifa تضم مصافي البترول، وإقامة منطقة طيران حرة في اللد..

ورفض العرب والإسرائيليون هذه المقترنات. وكان الموقف الإسرائيلي مشوباً بالحقد المكشوف على الوسيط الدولي، وخصوصاً على اقتراحه المتعلق بالقدس. وأمام هذا الرفض، تقدم «برنادوت» في ٥ يوليو ١٩٤٨ بمقترنات معدلة تتضمن: مدّ أجل الهدنة، وتجريد منطقة القدس من السلاح، وتجريد منطقة مصافي الزيت في حifa من السلاح. وكان رد العرب والإسرائيليين على هذه النقاط مطابطاً وغير واضح، الا فيما يتعلق بالهدنة التي رأى الطرفان أن الممكن تمديدها..

وفي ١٣/٨/١٩٤٨، سافر برنادوت الى ستوكهولم لحضور المؤتمر السابع عشر للصلب الأحمر. وعقد هناك مؤتمراً صحفياً بين فيه تأثيره لحالة اللاجئين العرب التي تتطلب سرعة الإنقاذ. وكان الكونت برنادوت خلال المؤتمر محروساً بشخصين نظراً لورود معلومات تؤكد أن هناك مؤامرة لاغتياله. وفي ٣١ أغسطس عاد الوسيط الدولي من دمشق الى القدس جواً. وتوجه الى مشارف الرملة ليباحث مع العميد «نورمان لاش» القائد البريطاني في الفيلق الأردني المتمرد حول القدس. ثم عاد الى القدس، وعندما وصلت سيارته الى مقرية من جبل المكبر (سكونيس) أطلقت باتجاهه طلقة جاءت من ناحية الجامعة العبرية ومستشفى هداسا، فأصيبت عجلة السيارة الخلفية، ولكنه استمر في سيره، وتابع مهمته دون أن يحيط نفسه بحراسة أو يركب سيارة مصفحة، لاعتقاده بأنه ليس هناك من يجرؤ على قتل انسان ورع مثله، وممثل للأمم المتحدة، ويرتدى شارة الصليب الأحمر الدولي..

وفي يوم ١٧ سبتمبر ١٩٤٨، قام برنادوت بزيارة تفقدية لمنطقة القدس. وكان يركب سيارة للأمم المتحدة ومعه سياراتان من سيارات الصليب الأحمر. وعندما وصل الرتل الى سفح «تل الخطبيّة» أوقف السيارات الثلاث ستة رجال يجلسون على عربة جيب من عربات الجيش الإسرائيلي، وقفز من العربة

رجلان مسلحان بمدفعي ستّن، وأطلقا النار على سيارة الوسيط الدولي، وأصاب الرصاص الكونت برنادوت، والمراقب الدولي العقيد «اندريه سير» الجالس الى يمينه، فقتل فوراً. وجرح برنادوت جراً بليغاً أدى الى وفاته بعد عدّة ساعات. ونجا الضابط السابق في البوليس الأميركي «فرانك بجلي» الذي كان يقود الآلة، والرائد الأميركي «كوكس» الجالس الى جواره، والجنرال «أ. ج. لند ستروم» الذي كان يجلس الى يسار الوسيط الدولي. ولقد وجهت تهمة قتل «برنادوت» الى أعضاء من منظمة «شتيرن» الارهابية، التي انشقت عن منظمة «الاراغون» وسميت بهذا الاسم نسبة الى زعيمها «ابراهام شتيرن» الا أن السلطات الاسرائيلية ميّعت الموقف، وأخفت حقيقة الجناة. وهكذا دفع «برنادوت» دمه ثمن كلمة الحق كما أملأها عليه وجданه. كما سجل اسمه على اللائحة الصهيونية الى جانب أسماء ضحاياها الكثيرة، وفي مقدمتهم الرئيس الأميركي ، محرر العبيد ابراهام لنكون.

كما أضيف الى قاموس البشرية عبارة تقول: الانسانية بأجمعها مطلوبة للتصفية. فخذار يا بني البشر من أعداء البشر.. فخذار من شر هذا الاخبطوط الذي يحاول ابتلاع البشرية.. وخير ضمان لاستمرار بقاء الجنس البشري يتمثل بالقضاء على الصهيونية وحلفائها المتصهينين الصغار في كل مكان..

ولابد أخيراً من القول، أن من عشش في شرائمه دم الاجرام والمجازر لن يتورع عن ممارسة الارهاب بحق ممثلي المجتمع الدولي ، الذين يعارضون سفك دم الأطفال والنساء والشيوخ في مذابح بربيرية كديرب ياسين وكفر قاسم. ومن يذبح الأطفال والأوطان لا يمكن أن يرحم المدافعين عنهم، ولو تمتعوا بمحنة دولية. والاجرام العنصري الفاشي تسقط أمامه جميع الحواجز والفاصل، ولا مجال لإسكاته إلا باستئصال جذوره من الأساس..

المراجع

- ١ - الموسوعة العسكرية. الجزء الأول. ص ١٨٥ - ١٨٦ .
- ٢ - معين أحمد محمود «مناحيم بيفن» دار الأندلس. بيروت. ص ٥ - ١٠ .
- ٣ - «الموسوعة السياسية» عبد الوهاب كيالي وكامل زهيري. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت ١٩٧٤ . ص ١١٧ .
- ٤ - نجدة فتحي صفوة «رسالة الى وايزمان» مجلة «العربي» الكويتية. العدد ٣٠١ . كانون أول/ديسمبر ١٩٨٣ . ص ١٣٢ .

العدوان الثلاثي على مصر وأسرار عملية «حامل البن دقية»

عندما انطلق المارد العربي «جمال عبد الناصر»، من القمّم، في ثورته العملاقة عام ١٩٥٢، ظنت الدول الغربية، أنها قادرة على تدجينه وقولبته وفق ما تقتضيه مصلحة الامبرالية العالمية ومطامعها وأهدافها. لكن حساب الحقل لم يطابق حساب البيدر. وأصبحت أوروبا الاستعمارية، وكذلك الولايات المتحدة الأميركيّة، بخيئة أمل، قل أن شهدتها في منطقة الشرق الأوسط بأكملها حتى ذلك التاريخ. وما أن استفاقت من هول الصدمة، حتى وجدت نفسها أمام سلسلة من القرارات الثورية، لم ينحصر أثرها وتأثيرها على مصر وحدها، بل تجاوزها إلى مختلف أنحاء الوطن العربي، وحتى إلى القارة الأفريقيّة أيضًا.

وكان قرار الرئيس جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس عام ١٩٥٦، بمثابة اللّكمة - الصاعقة على دماغ الغرب، والتي أفقدته صوابه. وكان لابد إزاء ذلك من وضع حدًّا لشموخ هذا المارد وإعادته - بالقوة - إلى القمّم.

وعلى هذا الأساس، كان العدوان الثلاثي على مصر في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦، في عملية سميت رمزيًا «حامل البن دقية». فما هي أسرار هذه العملية؟ وماذا كانت نتائجها؟

لم يكن العدوان الثلاثي على مصر عملاً عفوياً ومرتجلاً، ولم يتم بطريق «الصدفة» على الإطلاق. بل كان عملاً مدروساً بدقة، ومخططاً له على أعلى المستويات.

فقد استغرق الاجتماع السري في فندق «ماتينيون» في باريس خمس ساعات. كان ذلك في يوم 16 أكتوبر من سنة ١٩٥٦؛ حيث اتخذ رئيسا وزراء بريطانيا وفرنسا أنطونи إيدن وغبي موليه مع وزيري خارجيتهما سلفين لويد وكريستيان بينو، قرار البدء بالعدوان الثلاثي على مصر. أما موافقة الطرف الثالث النهائية على العملية المرتقبة - إسرائيل - فكانت قد وردت قبل يومين من ذلك، في الرسالة الشخصية التي بعث بها رئيس الوزراء الإسرائيلي دايفيد بن غوريون إلى رئيس الوزراء الفرنسي.

ولم يمض سوى شهر على اعلان الرئيس المصري جمال عبد الناصر الذي أمم قناة السويس، أن مرور أية سفينة عبرها من دون إذن السلطات المصرية سيعتبر انتهاكاً لسيادة البلاد. وحذر عبد الناصر من أن «مصر ستدافع عن القناة». وأضاف: «نحن مستعدون للكفاح من أجلها».

أما في فندق «ماتينيون» فقرروا، كما جاء قبل ذلك على لسان وزير الخارجية الأمريكية «جون فوستر دالاس»، إرغام عبد الناصر على «بصق ما كان يحاول ابتلاعه». أو على الأصح، كما أعلن إيدن نفسه أثناء اجتماع البرلمان الانكليزي «يجب انتهاز هذه الفرصة لإطاحة عبد الناصر».

وكان خطة العدوان في غاية البساطة، كما هي الحال عادة حين يعول المعتدي كلياً على قوة السلاح. فقد جاء في الخطة أنه بعد هجوم إسرائيل على مصر في منطقة شبه جزيرة سيناء، يجب على بريطانيا وفرنسا أن تتدخلان في التزاع بحجج وقف العمليات الحربية بغية إقرار السلام.

كلا، لم ينس المشتركون في الاجتماع فقط أن ثمة في العالم هيئة الأمم المتحدة وميثاقها، والولايات المتحدة ومطامعها العالمية، والاتحاد السوفيتي وسعيه الدائم لدعم ضحايا العدوان. بل على العكس، لقد وضعوا في الاعتبار، وهم يتخذون القرار، كل ما كان في امكانه أن يعرقل تحقيق مخططاتهم.

فقد سلّموا مثلاً بأن هيئة الأمم المتحدة يمكنها استنكار العدوان،

ولكنها ريثما تشرع في اتخاذ إجراءٍ ما، تكون العمليات الحربية قد انتهت. وعندئذ... فلتتخذ «توصياتها» كما يحلو لها. وفي ما يتعلّق بالولايات المتحدة فإنها، كما أكد إيدن، ستؤيد حلفاءها، إلا أنها ستظهر طبعاً «مزاجها السيء»، ولكنها مع ذلك لن تكون حجر عثرة في طريق إنكلترا وفرنسا. وكان رئيس الوزراء البريطاني يعرف ما يقول. فقبل أسبوعين من ذلك قال له وزير الخارجية الأميركي دالاس أنه لا يستبعد استخدام القوة عند الضرورة القصوى.

ولقد ساعدت الولايات المتحدة العدوان مساعدة مباشرة حين ألغت في العام 1956 الحظر الذي فرضته على إرسال الأسلحة إلى الشرق الأوسط، الأمر الذي كان يعني عملياً رفع الحظر المفروض على إرسال السلاح إلى إسرائيل. وكتبت صحيفة «واشنطن ايفنتن ستار» في هذا الصدد: «إن الجيش الإسرائيلي الجيد التسلیح سوف يكون عوناً قيماً لقوى الإنكليزية والفرنسية في حال قيامها بهجوم على مصر».

وماذا عن الاتحاد السوفيتي؟ لقد اتكل المجتمعون في باريس، كما كتب الصحفيون الفرنسيون فيما بعد، على اعتدال الروس النسي، وعلى أنهم «لن يرموا بإشعال حريق عالمي من أجل التوaffe». وأكد وزير الخارجية الفرنسية بينو: «أنه عملياً لن يفعل شيئاً». ووافقه الآخرون على ذلك، وأضافوا عن ادراك ودرأة أنه لن يكون لدى الاتحاد السوفيتي لا الوقت ولا الامكانيات من أجل التصدّي للعدوان.

لماذا؟ وعلام اتكل أولئك الذين حاكوا المؤامرة على مصر؟ لقد اتصف ذلك بعد أسبوع من الاجتماع السري في فندق «ماتينيون» الذي وصفه الصحفيون بـ«مجلس 16 تشرين الأول/اكتوبر العسكري».

ففي ليلة 23 - 24 أكتوبر من السنة 1956، قام في المجر، وهي في عامها الثامن من بناء الاشتراكية، تمَّرد على الثورة. واتخذ هذا التمرُّد الذي استفزوه وألهموه من الخارج طابع الثورة البرجوازية الفاشية

المضادة. وكان على التمرد، على حسب مخططات ملهميه، أن يصفى النظام الديمقراطي الشعبي في البلاد، ويصرف أنظار الاتحاد السوفياتي عن قضايا الشرق الأوسط.

وحتى ٢٣ تشرين الأول / أكتوبر، كانت قد شكلت في مراكز تجمعات المهاجرين المجرئين الفاشيين في النمسا والمانيا الغربية، جماعات تخريبية نقلت فيما بعد إلى الحدود المجرية. فعلى أثر بدء التمرد كتبت صحيفة «نورنبرغ ناخريختن» أن «رجال الاتصال» من المهاجرين «المجرئين الفاشيين»، كانوا في أثناء نقل الجماعات التخريبية إلى الحدود النمساوية - المجرية على اتصال وثيق بمنظمة «سي . اي . سي» التجسسية الأميركية.

وكان من الواضح للعيان منذ بداية العوادث أن الذين نظموا وجهوا مسار التمرد هم من «المحترفين» وعلى مستوى رفيع من التدريب، ولم يكونوا من «الهواة» أبداً. وفي ليلة ٢٣ - ٢٤ أكتوبر بدأت في بودابست أعمال ارهابية ضد الشخصيات المجرية التقديمة والعمال النشطاء.

واستغللاً للصعوبات الناشئة في البلاد نتيجة أخطاء وقعت في سياسة القيادة المجرية، ولعباً على أوتار مشاعر الشعب القومية، استثار المحرضون مشاعر شوفينية عدوانية ثم حولوها بفن المحترف إلى مجرى الثورة المضادة. في ٢٤ أكتوبر، أذاع راديو بودابست بيان الحكومة المجرية حول ضرورة التوجه إلى القوات السوفياتية المرابطة في المجر بموجب معاهدة فرسوفياa بطلب إعادة النظام في البلاد. وقال البيان «تطلب الحكومة المجرية إلى القوات السوفياتية، حفاظاً على مصلحة إقرار الأمن، دعم الاجراءات الرامية إلى قمع الهجوم الدموي».

ومن أين أخذ المتمردون السلاح؟

ظهرت في بودابست في ٢٥ أكتوبر تحت شارات «الصلب الأحمر» ٤٠ من سيارات الشحن والركاب، أفرغوا منها من أجل المتمردين

شحنات، وبينها السلاح. وقد اتضح فيما بعد أن المتمردين كانوا يطلقون في أثناء الحوادث رصاصاً صنع في الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية. وفي ٢٧ أكتوبر دعا وزير الخارجية الاميركية دالاس صراحة في كلمة القالها في ولاية تكساس إلى تغيير الحكومة المجرية. وفي تلك الأيام، كان يشاهد الأميركيون في بودابست الذين وصلوا على ظهر الشاحنات بشارات «الصلب الأحمر»، وهم يوزعون السلاح. وبعد أن اتخذت القوات السوفيتية إجراءات إعادة النظام، بدا وكأن التمرد يقترب من نهايته. ولكن رئيس الوزراء «أمري ناجي» الذي عين في هذا المنصب منذ بداية الحوادث، اقترح نزولاً عند رغبة المتمردين بدء مفاوضات حول انسحاب القوات السوفيتية. وبموجب الاتفاق انسحبت القوات السوفيتية من بودابست في ٣٠ تشرين الأول / أكتوبر. وسرعان ما اجتاحت العاصمة المجرية موجة من الإرهاب المضاد للثورة.

وفي اليوم ذاته علم أن جيشاً إسرائيلياً قوامه مئة ألف جندي اقتحم أراضي مصر. وإذا أخذنا في الحسبان أن العدوان الثلاثي كان مخططاً له أن يبدأ في ٦ نوفمبر، فإن تغيير موعد بدايته وتوافقه مع الثورة المضادة في المجر لا يمكن إلا أن يحملان الإنسان على التفكير في أن اللعبة كانت مدبرة أحسن تدبير. وعن هذه الناحية بالذات كتب مراقبو حوادث ذلك الخريف المأساوي من السنة ١٩٥٦. فمثلاً، رأى الصحفي البلجيكي «دزيلبي»، والفرنسيان برومبرجييه وبيتنا - ميشان، أن السبب الرئيسي في تغيير موعد العدوان على مصر هو التمرد في المجر.

وبديهي أن المجتمعين في فندق «ماتينيون» علّقوا آمالهم على ذلك بالذات، حين قالوا أنه لن يكون لدى الاتحاد السوفيتي لا الوقت ولا الامكانيات للتصدي للعدوان على مصر.

ترى، هل كان في استطاعتهم أن يعرفوا مسبقاً أن تمرداً سيحدث؟ نعم كان في استطاعتهم، بل عرفوا. فبهذا يفسّر بالذات التوافق بين موعدى

التمرد والعدوان. ولقد صرَّح «آلان دالاس» رئيس الاستخبارات المركزية الأميركيَّة، في أثناء الجلسة المفتوحة للجنة مجلس الشيوخ الخاصة بالشؤون الخارجية قائلاً: إنَّ الحكومة الأميركيَّة كانت على علم مسبق بالتمرد المتظر في المجر.. أما تبادل المعلومات بين واشنطن ولندن وباريص وتل أبيب فكان على المستوى المطلوب. وقبل بدء عدوان إسرائيل على مصر أصدرت الحكومة الأميركيَّة أمرها بتجلاء الأميركيَّين عن مصر فوراً.

بعد مرور ٢٤ ساعة على بدء عدوان إسرائيل على مصر، وجهت الحكومة الانكليزية والفرنسية إلى الحكومة المصريَّة انذاراً نهائياً يقول: يجب وقف العمليات العسكريَّة وسحب القوات المصريَّة من قناة السويس مسافة ١٠ أميال والموافقة على احتلال القوات البريطانيَّة والفرنسية للموقع الرئيسيَّ في بور سعيد والاسماعيلية والسويس. وأعطيت لكل ذلك مهلة ١٢ ساعة. وهددت لندن وباريص القاهرة بالتدخل المسلح في حال رفض الانذار. وجاء ردَّ عبد الناصر بالرفض القاطع.

وفي ٣١ أكتوبر انتهت مهلة الانذار وبدأ التدخل المسلح. وقد اشتركت في العملية التي سميت رمزيَاً «حامِل البنديقة» قوات انكليزية وفرنسية ضخمة: ٢٢٩ ألفاً من الجنود والضباط، و٦٥٠ طائرة، وأكثر من ١٣٠ سفينة بينها ٦ حاملات طائرات. وصاحب الاعتداء أعنف قصف للمدن المصريَّة بالقناibل. وعانت ذلك على الأخص مدينة بور سعيد، فقتل الآلوف من السكان وبقي عشرات الآلوف بلا مأوى.

وطرحت الحكومة السوفياتية على مجلس الأمن للأمم المتحدة بعد عدوان إسرائيل على مصر وقبل التدخل الانكليزي - الفرنسي مشروع قرار يطالب بوقف العمليات العسكريَّة وسحب القوات الإسرائيليَّة من الأراضي المصريَّة. غير أنَّ إنكلترا وفرنسا استعملتا حق النقض (الفيتو) ضد الاقتراح السوفياتي، وامتنعت الولايات المتحدة عن التصويت.

وقد تخطَّى اهتمام الحكومة السوفياتية بأحداث الشرق الأوسط بعيداً

نطاق حسابات الذين علقوا الأمال على أن العصيان المضاد للثورة سيأخذ بيد «حاميل البندقية». وها هي محطة «أوروبيا الحرّة» التي نسقت أعمال المتمردين في المجر تذيع في اليوم ذاته، أي في ٣١ تشرين الأول / أكتوبر، النداء التالي: «فليلع المجريون معاهادة فرصوفياً ويعلّموا أن المجر ليست عضواً في هذه المعاهدة منذ اليوم».

أجل لقد التحق التمرد والعدوان وكأنهما «توأمان». فيما كان ممثلو مختلف البلدان يصوتون في الأمم المتحدة بنيويورك ضد العدوان الثلاثي، ظهرت على صفحات جريدة الـ «نيويورك تايمز» وغيرها من الصحف الأميركيّة اعلانات أرباب العمل وكبار الساسة الأميركيّين تدعى إلى جمع مليون دولار لمساعدة المجر، ولم يكن من الصعب بمكان معرفة غرض هذا المليون دولار من المساعدة.

ففي الثاني والثالث من تشرين الثاني / نوفمبر أصدرت الحكومة المجرية تعليماتها بتفتيش الشحنات التي حملتها إلى المجر مئة طائرة أرسلت باسم «الصلب الأحمر» على أنها «مستحضرات طبية». وقد عثر بين هذه الشحنات على أسلحة. ثم تبين كذلك أن بعض الذين رافقوا الشحنات بوصفهم مندوبي عن «الصلب الأحمر» كانوا من الضباط الفاشيين في جيش ودرك «هورتي» (دكتاتور المجر السابق) الذين أقاموا سابقاً في المانيا الغربية.

وفي الوقت الذي كانوا يرسلون فيه السلاح إلى المتمردين في المجر، تقرر إنزال جنود المظلات في مصر. ففي الثالث من نوفمبر اقترح الجنرال الفرنسي «بورجو» في أثناء اجتماع ممثلي الحكومتين الانكليزية والفرنسية خطة سميت رمزاً «التلسكوب». وفي ٥ نوفمبر، أي قبل يوم واحد من إقرار «التلسكوب»، نزل المظليون الفرنسيون والإنكليز في أراضي بور سعيد وبور فؤاد. وقد احتلوا بور فؤاد بسهولة نسبياً. أما في بور سعيد فلقي المظليون مقاومة عنيفة. ولكن بفضل جهود الاتحاد السوفييتي قضي على ارهاب الفاشيين في المجر، وقوات المظليين الاستعمارية في مصر،

وخفت حساباتهم حول أن الاتحاد السوفيaticي «لن يفعل شيئاً عملياً».

ففي ٣ نوفمبر، شكلت في المجر حكومة العمال والفلاحين الثورية برئاسة «يانوش كادار». وفي اليوم التالي توجهت إلى قيادة القوات السوفياتية في المجر بطلب مساعدة الشعب المجري في دحر قوى الثورة المضادة وضمان الأمن والنظام في البلاد. فلبت الحكومة السوفياتية هذا الطلب، وأحبطت عملية تصدير الثورة المضادة إلى المجر.

أما على صعيد الشرق الأوسط فأمعنت إنكلترا وفرنسا واسرائيل في عملياتها الحربية ضد مصر، رافضة تنفيذ قرار مجلس الأمن. وفي هذه الحالة توجهت الحكومة السوفياتية بمذكرات إلى كل من إنكلترا وفرنسا واسرائيل مطالبة إياها بوقف العدوان المسلح على مصر. وقد جاء في الرسالة المروجة إلى رئيس الوزراء البريطاني على الأخص «نحن نتوجه إليكم وإلى البرلمان وحزب العمال والنقابات والشعب الانكليزي قائلين: «كفوا عن العدوان المسلح وأوقفوا إراقة الدماء». وأعلنت الحكومة السوفياتية قائلة: «اننا ملائون عزماً على تحطيم المع狄ن وإعادة السلام في الشرق الأوسط باستخدام القوة».

وفي ٥ نوفمبر بعث وزير الخارجية السوفياتية إلى رئيس مجلس الأمن الدولي باقتراح يقضي باتخاذ قرار يطالب المع狄ن بوقف العمليات الحربية في خلال ١٢ ساعة ويسحب القوات من الأراضي المصرية وفي غضون ثلاثة أيام. واقتراح الاتحاد السوفيaticي تقديم مساعدات عسكرية وغير عسكرية إلى مصر في حالة عدم إذعان المع狄ن لمطالب مجلس الأمن. وفي الوقت ذاته تقدمت الحكومة السوفياتية إلى الرئيس الأميركي «دوايت أيزنهاور» باقتراح حول توحيد الجهود واستخدام قوى الدولتين من أجل وقف العدوان. إلا أن الحكومة الاميريكية لم تقبل الاقتراح السوفياتي.

ولكن تصميم الاتحاد السوفيaticي على إنهاء العدوان كان له أثره الفعال. ففي ٦ نوفمبر، وفي الساعة الرابعة عشرة دعي «غي موليه» الذي

كان يتناول في فندق «ماتينيون» طعام الغداء مع المستشار الألماني الغربي «كونراد أديناور» إلى مكالمة هاتفية. وكان على الخط انطوني إيدن الذي أبلغ أنه أصدر أمره إلى «كتلي» القائد العام للقوات الانكليزية، بوقف إطلاق النار في الساعة التاسعة عشرة. ولم تكن تمضي ساعات معدودات على تسليم السفيرين السوفيتين في لندن وباريس مذكري حكومتهما، حتى أوقفت العمليات العسكرية الانكليزية والفرنسية في مصر. وفي تشرين الثاني / نوفمبر أوقفت القوات الإسرائيلية أيضاً إطلاق النار.

وبعد مماطلة المعتمدين سحب قواتهم من مصر، نشرت وكالة «تايم» السوفياتية بياناً في 11 نوفمبر في هذا الصدد، قوَّمَ واقع وقف العمليات العسكرية بالايجابية، ولكنه إلى جانب ذلك عَبَرَ عن الخشية من ألا تكون هذه المماطلة الا مناورة تهدف إلى كسب الوقت. وقال البيان: اذا لم تسحب انكلترا وفرنسا واسرائيل جميع قواتها من أراضي مصر، خلافاً لقرارات الأمم المتحدة، وهدَّدت باستئناف العمليات العسكرية ضد مصر فإن «الجهات المختصة في الاتحاد السوفيتي لن تمانع في سفر المتطوعين السوفيات الراغبين في الاشتراك في كفاح الشعب المصري من أجل استقلاله». ولقد تجسَّم التصميم على وقف العدوان، هذا الذي عبرَت عنه المذكورة السوفياتية بتاريخ ٥ تشرين الثاني / نوفمبر في نقوس المتطوعين السوفيات المستعدين للقتال إلى جانب الشعب المصري.

وكتبَت صحيفة «نيويورك هيرالد تريبيون» في هذا الصدد تقول: «إن السبب الرئيسي الذي حمل انكلترا وفرنسا واسرائيل على اتخاذ قرار الانسحاب كان مذكرة الإنذار السوفياتية».

وفي ١٥ نوفمبر لفت رئيس الوزراء السوفيتي في رسائله التي بعث بها إلى رؤساء حكومات انكلترا وفرنسا واسرائيل الانتباه إلى ضرورة انسحاب القوات المعتلية من الأراضي المصرية في أسرع ما يمكن.

وفي ٢٤ نوفمبر اضطرت حكومات المعتمدين إلى اعلان موافقتها على

سحب قواتها من مصر. وهكذا مني بالفشل العدوان الذي هدد بتصفية مكتسبات الشعب المصري الثورية ودفع البشرية الى حافة حرب عالمية جديدة.

وبقيت عملية «حامل البنديقية» ولا زالت لطحة عار، وصفحة سوداء في تاريخ سياسة الغرب إزاء المشرق العربي . ومن تعود عن وسم سجله بلطخات العار والخزي ، فلن يستغرب إضافة لطحة جديدة الى تاريخه الذي لا تفوح منه الا رواائح العار والهزائم .

المراجع

- ١ - بيتر ميخائيلوف «أزمة السويس وفشل العدوان». مجلة «المدار» (السوفياتية). العدد ١٠ . شهر نوفمبر ١٩٨٦ . ص ١٨-٢١ .
- ٢ - مجلة «إلى الأمام» (الناطقة بلسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة). العدد ٩٦٦. الجمعة بتاريخ ١١/٧/١٩٨٦ . ص ٣٩ .

قضية كستنر بين حقيقة الصهيونية وادعاءاتها الزائفة

برعت الحركة الصهيونية منذ وجودها في فن الدعاية والترويج للوصول إلى أهدافها الاستراتيجية التي تضمنتها مشاريعها السرية والعلنية في مؤتمراتها الدولية، كما من وراء الكواليس. وقلما نجحت حركة في هذا الفن مثلما نجحت فيه الصهيونية، التي تعتبر رائدة فدّة في هذا المجال وأستاذًا بارعًا في هذا العلم، وسجلها حافل بمثل هذه «المأثر»، وذلك تمثيلًا مع قول مؤسس هذه الحركة تيودور هرتزل، والذي كان يطلق عليه اسم «سلاح الصياح»، حيث يذكر في مذكراته أن «الصياح هو كل شيء حقاً. إن للصوت العالي شأنًا كبيراً. الصياح المتواصل تعاقد مأثور. ليس تاريخ البشر سوى قعقة السلاح وجعجة الرأي الزاحف. عليكم أن تصيروا وتصرخوا».

والجدير بالذكر، أن الصهاينة ركزوا دعايتهم بشكل كبير وفاعل على ما قامت به النازية الألمانية ضد اليهود، وعلى ما يسمونه «بأفران الغاز» في المانيا، من أجل كسب الرأي العام الدولي إلى جانب قضيتهم، مع أن الكثير من الوثائق أثبتت عدم صحة وجود هذه الأفران، ومنها في الفترة القربيّة الماضية أطروحة الدكتور «هنري روک» الفرنسي التي استحق عليها حرامنه من لقب الدكتوراه، ومنعه من نشر أطروحته، ومحاكمة أستاده المشرف. وقد جرى كل ذلك بتحريض صهيوني ودعائية كبيرى باعتبار أن هذه القضية تمس « المقدسات» الصهيونية و«محرماتها». وثاني قضية الدكتور «رودولف كستنر»

لتفضح مزاعم الصهيونية ودعایاتها رغم كونه مسؤول لجنة الانقاذ اليهودي في المجر.

فمن هو الدكتور كستر؟ وما هي أسرار قضيته؟

لعبت قضية الدكتور كستر دوراً في إثارة الرأي داخل التجمع اليهودي في فلسطين وذلك لأنها ارتبطت بمسؤولية المنظمة الصهيونية في فترة الحرب العالمية، ومسؤولية حزب المبابي الذي حكم الكيان الصهيوني منذ تأسيسه وحتى عام ١٩٧٧ عن انقاذ يهود المجر، كما ارتبطت بأغراض سياسية داخلية عندما رأى فيها البعض محاولة من حزب حيروت الذي كان يرأسه مناجيم بيغن لإسقاط حزب المبابي الذي كان يرأسه دافيد بن غوريون، وارتبط بأمور سياسية خارجية عندما رأى البعض أنها كانت - مع فضائح أخرى - سبباً في تعرية بن غوريون وحزبه، مما جعلهم، كي يفلتوا من القصاص والانهيار الداخليين يلجأون إلى الاشتراك في العدوان الثلاثي على مصر ومع كل من بريطانيا وفرنسا في عام ١٩٥٦.

ان تفاصيل محاكمة كستر أوردها الكاتب الصهيوني «بن هيشت» في كتابه «الغدر Perfidy». وكانت الحقائق التي وردت في الكتاب على لسان الشاهد والمتهم «كستر» مسؤول لجنة الانقاذ اليهودي في المجر أثناء الحرب العالمية، دليلاً مادياً على عدم صحة الادعاءات الصهيونية في أكثر من مجال. تتلخص قضية كستر على الشكل التالي : نشر المدعو «غرین والد Green Wald» البالغ من العمر ٧٢ سنة في كانون الأول / ديسمبر ١٩٥٣ في احدى نشراته التي تحمل الرقم ٥١ - والتي كان يصدرها بنفسه ويزعها مجاناً على القراء - اتهاماً ضد كستر الناطق الرسمي باسم وزارة التجارة والصناعة الصهيونية عندئذ. وتلخص اتهام «غرین والد» في أن كستر (عضو حزب المبابي) ذهب الى محكمة نورمبرغ الدولية ليدافع عن الكولونيل النازي «كورت بيشر» والذي كان يعمل مدير الاقتصاد في جهاز S. S. وتمكن من تبرئة بيشر وانقاذه من الاعدام ، بحججة أنه ساعده يهود المجر، في حين رأى

«والد» أن «بisher» كان سابحاً في دم اليهود، وكانت علاقته بكستنر علاقة تعاون يستحق عليها هذا الأخير المحاكمة.

ومن تتبع سير محاكمة كستنر كما نشرها «بن هيشت» مفصلاً يمكن الوصول إلى ما يلي :

استطاع كستنر أن يعقد صفقة مع المسؤولين النازيين الآتية أسماؤهم : كورت بישير مدير الاقتصاد في جهاز الـ S. S. النازي ، والكولونييل كرومey KrumeY المسؤول عن ترحيل اليهود ، وفوت فلسنسي أحد المسؤولين عن تنفيذ سياسة النازية ضد اليهود ، وأدولف ايخمان رئيس الدائرة اليهودية في جهاز الـ S. S.

وتلخص الصفقة في انفاذ ١٦٨٠ يهودياً معظمهم كانوا من أقرباء كستنر ومن الصهيونيين ، من بين يهود المجر البالغ عددهم ٨٠٠ ألف ، وذلك في شهر حزيران / يونيو ١٩٤٤ .

كان كستنر رغم السلوك النازي ضد اليهود يتمتع بامتيازات سفير دولة محايده. إذ أُعفى من وضع النجمة الصفراء على صدره وهي التي كان يضعها اليهود بأمر النازيين ، كما كان تحت تصرفه سيارة وهاتف ، وكان دائم التنقل بين المناطق التي يسيطر عليها النازيون دون أن يعترضه أحد ، وفي الوقت نفسه يقابل أكثر من مسؤول نازي .

هذه الصفقة وهذا السلوك أثار الشك في نفس محامي «غرين والد» والمدعو «صموئيل كاتز نلسون» (تممير بعد ١٩٣٧ وأصبح وزيراً للعدل بعد انتخابات سنة ١٩٧٧) وسأل نفسه أثناء المحاكمة لماذا كانت كل هذه الامتيازات لكتسنر؟ وأجاب بيته وبين نفسه : لقد ساعد كستنر النازيين على قتل اليهود . ولم يستطع إثبات ذلك الا عندما وقع كستنر في تناقض مع نفسه وأنكر مساعدته للكولونييل بيشير واعتبر مثل هذه المساعدة خيانة وطنية . ولكن المحامي أبرز وثيقة تحمل الرقم ٢٢ في أوراق القضية وهي عبارة عن رسالة وجهها كستنر بتاريخ ٢٦ يوليو ١٩٤٨ إلى «اليعازر كابلان» أحد مسؤولي

الوكالة اليهودية سابقاً اعترف فيها بمساعدة الكولونيل «بىشر»، كما أثبت المحامي أن كستنر قد أدلى بشهادته لصالح «بىشر» بإذن من «دوين» و«باولاس» (من الوكالة اليهودية) وبإذن السيد «بيرل زويغ Perl Zweig» رئيس الدائرة السياسية في المؤتمر اليهودي العالمي.

كما أثبت صموئيل تامير المحامي أن كستنر سافر إلى نورمبرغ فقط من أجل إنقاذ بىشر، وذلك حسب شهادة «والتر راب» رئيس مجلس الشهداء في محاكمات نورمبرغ وهو كولونيل في الجيش الأميركي.

ذكر كستنر أثناء مناقشة المحامي صموئيل تامير له، أن ما يشاع عن سلب قوات S. S. النازية لملابس وممتلكات اليهود ليس صحيحاً. كما ذكر أن ما يقال حول نزع الأسنان الذهبية من القتلى اليهود ليس صحيحاً بل كذب أيضاً. وفي أقوال كستنر هذه نسف لكل الدعاية الصهيونية حول تصرفات النازيين تجاه القتلى اليهود، وهي دعاية ركز عليها الصهاينة ولا يزالون من أجل ابتزاز المواقف الإنسانية والسياسية لصالحهم.

وكانت المحكمة الصهيونية هنا بين أمرين: إما أن ترى كذب كستنر، أو كذب الدعاية الصهيونية، وكلاهما مر. تبين أن الكولونيل النازي كورت بىشر مسؤول الدائرة الاقتصادية في S. S. والذي يفترض حسب ادعاءات الصهيونية أنه أشرف على تجريد اليهود من أموالهم وممتلكاتهم، كما أنه يفترض أن يكون قد أشرف على نزع كل شيء ثمين من الموتى اليهود قبل دفهم بحكم منصبه، تبين أنه يعيش فيmania غنياً هادئاً ويملك عدة شركات احدها مؤسسة Cologne - handle Geslischah وهي مؤسسة تبيع القمبح لإسرائيل بعد تأسيسها سنة ١٩٤٨.

تبين كذلك أن النازيين كانوا يودون التكتم على قتل اليهود في المجر وذلك لأنها لم تكن أرضاً محتلة وكانت شبه نازية وبها ٥ سفراء لدول محايدة. كما كان بها مثل للبابا وبعثة للصلب الأحمر الدولي. ولم يجد النازيون من يساعدتهم على هذا التكتم غير «رودولف كستنر» مسؤول لجنة الإنقاذ

اليهودي - مثل الوكالة اليهودية والمؤتمر اليهودي العالمي في بودابست - بالإضافة إلى ذلك كان النازيون يريدون سحق يهود المجر على حين غرة، لأنهم كانوا بكمال قوتهم قبل أن يتبعوا إلى الخطة الألمانية النازية وينظمون صفوف المقاومة ضد النازيين بينهم. وقد تم هذا أيضاً عن طريق الدكتور كستر مسؤول الإنقاذ الصهيوني.

استطاع المحامي «تامير» عبر التحقيق المتقطع أن يتزع اعتراف كستر بالقصير والسكوت وعدم اقدامه على إبلاغ يهود مدينة «كلوج» بما سيجري لهم من قتل، رغم علمه بمواعيد ترحيل هؤلاء إلى غرف الغاز التي أعدّت لموتهم في معسكر «أوشفيتز» وأن يضيع عليهم فرصة الهرب الممكنة والمقاومة السهلة بسبب عدم وجود قوات نازية كافية في مدينة «كلوج» في ذلك الوقت مقابل انفاذ ٣٨٠ صهيونياً.

إن أحطر ما أورده «بن هيشت» في كتابه يتلخص فيما أثبته من عدم اهتمام القيادة الصهيونية بكل ما كان يجري في المجر. إذ أن صحافة المجتمع اليهودي في فلسطين في الفترة التي بدأ فيها ترحيل يهود المجر إلى «أوشفيتز» لقتلهم لم تذكر شيئاً عما كان يجري لهؤلاء. وفي الفترة ما بين بداية أبريل ١٩٤٤ ونهاية مايو ١٩٤٤ كان المسؤولون في التجمع اليهودي بفلسطين مشغلين بأمور لا تمس مصير يهود المجر لا من قريب ولا من بعيد، إذ امتنعت الصحف الصهيونية بأخبار أعمال الإرهاب التي كانت تمارسها منظمة الأرغون الإرهابية ضد الفلسطينيين ضد الانكليز، كما أشارت صحيفة «دفار» الصهيونية إلى «أن انكار النازيين لقتل اليهود يقوم على أساس من الصحة، اذ لم يكن قتل اليهود بالكثرة التي كنا نخشها».

وبالإضافة إلى اهمال الصحافة لأخبار يهود المجر ومحاولاتها التخفيف من خطير المحن، حدثت مناسبات صهيونية خطب فيها قياديون صهيونيون ولم يشيروا إلى ما كان يجري ليهود المجر، كما أن المؤسسات الصهيونية التي اجتمعت في تلك الفترة مثل المجلس الوطني (فال OEM) في ٩ يونيو ١٩٤٤ لم

تناقش الأمر وكانت منشغلة بالانتخابات الحزبية وهو موعد بداية ترحيل يهود المجر بمعدل ١٢ ألفاً يومياً.

كذلك حزب المباباي (أقوى حزب صهيوني في فلسطين) الذي عقد مؤتمره في ٢ يونيو ١٩٤٤ إلا أنه لم يشر إلى يهود المجر أو معاناتهم من قريب أو بعيد.

لقد تركت محاكمة كستنر اتهامات موجهة إلى مسؤولي الوكالة اليهودية والى مسؤولي حزب المباباي ومسؤولي المؤتمر اليهودي العالمي . وبدأت ترتفع بعض الأصوات كان د. موشي كيرين مثلاً منها مطالبة بمحاكمة كستنر كمواطن عادي لا تحمي حكومة «اسرائيل» وذلك في ١٤ يوليو ١٩٥٥ . وقد طار موسي كيرين إلىmania في محاولة منه لمقابلة الكولونيل النازي السابق «كورت بيشر»، ولكن موسي كيرين وجد ميتاً في أحد الفنادق الالمانية بعد وصوله بأيام وكان سبب موته «هبوط في القلب». وربما كان موت موسي كيرين بالقلب صحيحاً، ولكن في مثل هذه المواقف يكثر التأويل والاتهام، وهما أمران يجدان في قضية موسي كيرين شيئاً من الصحة والصدق.

يتبع تامير بعد اصدار الحكم في تهمة «غرين والد» وتعريضه بمائتي دولار أمريكي ذيول قضية كستنر، ويطير إلى نيويورك ويطلع على ملفاتمحاكمات نورمبرغ . وهناك اكتشف تامير أن محكمة نورمبرغ الدولية حققت مع الضابط النازي كروميه Krumey مساعد اي>xman في ١٩٤٧/٩/٢٣ واطلعت على رسالة موجهة من كستنر إلى كروميه بتاريخ ١٩٤٧/٢/٥ يتمنى فيها كستنر لكرومي أن يبدأ حياة جديدة، ويعلمه بالجهود التي بذلها لصالحه في المؤتمر الصهيوني المنعقد في بال، ويعرف له فيها بمساعدة كروميه لليهود . ولكن كستنر كان قد ادعى سنة ١٩٤٥ أن كروميه هو الذي كان مسؤولاً عن قتل يهود النمسا والمجر وبولندا . كما حصل تامير على شهادة بخط كستنر موجهة إلى مساعد دائرة التحقيقات الأمريكية في محاكمات نورمبرغ لصالح الضابط النازي كروميه .

وفي أوائل عام ١٩٥٧ تعرض كستنر لمحاولة اغتيال على يد شاب في الرابعة والعشرين من عمره يدعى «زييف أكستين Zeev Eckstein» ثبت أنه كان يعمل قبل اقدامه على اطلاق النار على كستنر مخبراً سرياً في جهاز المخابرات الصهيوني الرسمي. وفي ابريل ١٩٥٧ مات كستنر في عيد القديس سان باتريك. وبموته أسدل الستار على كل ما كان يأمله تامير من محاكمة لكستنر وفضح القيادة الصهيونية، وبالذات قيادة حزب الماباي من خلاله.

والواقع أن قضية كستنر ليست الحادثة الوحيدة التي أحاطت بكثير من محاولات اخفاء الحقيقة حول الدور الصهيوني وعلاقاته بالنازية أثناء فترة الحرب العالمية الثانية. فمن المعروف أن النازيين عرضوا عن طريق اي>xman اطلاق سراح مليون يهودي مجرى مقابل ألف طن شاي، وألف طن قهوة، وعشرة آلاف عربة وبعض الصابون، وقد كلف بإيصال العرض النازي الى الحلفاء والقيادة الصهيونية في استانبول المدعو «جول براند» وهو صهيوني كان يعمل في لجنة الانقاذ اليهودي بالمجر مع رودولف كستنر. ولكن المحامي تامير ثبت أن «جول براند» تعرض للإعتقال على يد المخابرات البريطانية بمساعدة «موشي هرتوك» نفسه - رئيس الدائرة السياسية للوكالة اليهودية آنذاك - في مدينة حلب وتم نقله الى القاهرة حيث احتجز فيها لمدة أربعة شهور ونصف، رحل بعدها الى فلسطين، ولم تلتفت القيادة الصهيونية الى عرض اي>xman، الذي حمله «براند» في ١٩٤٤ / ٥ / ١٩. اضافة لذلك، هناك قصة يتعلّل بها الصهيونيون في حجاجهم ضد الحلفاء لإثبات التقصير في مساعدة يهود أوروبا على الهرب أو الاغاثة. وتتلخص القصة في أن «حاييم وايزمان» طلب من القيادة البريطانية قصف معسكر «أوشفيتز» النازي حيث يقتل اليهود، كما طلب قصف خطوط السكك الحديدية الموصلة الى المعسكر في محاولة لعرقلة عمليات نقل اليهود.

ولقد ذكر «شونفيلد Shonfeld» في كتابه «هولوكوست Holocaust» أن وثائق طلب الوكالة اليهودية بضرب معسكر «أوشفيتز» التي قدمت الى الحكومة

البريطانية لم تظهر الا أثناء محاكمة أدolf ايخمان في فلسطين سنة ١٩٦١ ولم يتقدم لا «موشي شاريت» ولا «دافيد بن غوريون» للشهادة أمام المحكمة حول هذا الأمر، ولم يستدعيها رغم استدعاء أكثر من مائة شاهد في القضية من جميع أنحاء العالم.

كما ذكر شونفيلد أيضاً مديلاً على عدم حدوث الطلب ما نشرته صحيفة معاريف الصهيونية في ١ يونيو ١٩٦١ إثر لقاء مع مارشال الجو البريطاني سير «آرثر هاريس» رئيس القاذفات البريطانية في الفترة ما بين ١٩٤٢ - ١٩٤٥ : «أن المارشال المذكور لا يستطيع التذكر بأنه سمع مثل هذا الطلب حول ضرب معسكر أوشفتز». كذلك ذكر شونفيلد أن ترشل رئيس الوزراء البريطاني أنكر تسلّم مثل هذا الطلب. كما اعترف الكولونيل البريطاني «ليونارد شيشر» الى صحيفة الديلي تلغراف اللندنية في ٢ يونيو ١٩٦١ بأن ضرب معسكر أوشفتز بالطائرات في عام ١٩٤٤ كان ممكناً رغم صعوبته، ولو أن اليهود طلبوا ضرب المعسكر (وهذا ما لم نعرفه) لما كان هناك صعوبة اطلاقاً في تجهيز مجموعة جوية لتنفيذ هذه المهمة.

وهكذا يمكن القول أن القيادة الصهيونية لم تفكّر جدياً في عملية انقاذ اليهود، كما كان المال اللازم للإغاثة أو الانقاذ متوفراً، لأن القيادة رأت بأن هذا المال ينبغي تحويله الى فلسطين من أجل بناء الدولة اليهودية. لوبذا فضلت الدولة على محاولتها انقاذ ملايين اليهود من الموت أو العذاب أو حتى مساعدتهم.

وان «أفران الغاز» النازية ومعسكرات إبادة اليهود هي من صنع يدي الحركة الصهيونية وتفكيرها وأهدافها، وأن عدد اليهود الذين قتلتهم هذه الحركة نفسها أكثر مثات المرات من العدد الذي تمت تصفيته على أيدي الآخرين.

وتبقى براعة الإعلام الصهيوني في اخفاء الحقائق ونسج الأساطير حول إبادة اليهود، من أرقى فنون العصر. الا أن الوثائق التي تتعرض لمحاولات

جادلة ومتواصلة لإبقاءها طي الكتمان، هي وحدها الكفيلة بتحطيم الجدار الحديدي حول حقائق التحالف النازي الصهيوني. كما أن تصفيّة القادة النازيين على يدي الصهاينة هي حلقة أساسية في هذه السلسلة المحكمة، ولم تكن عملية اعدام أدolf ايهمان الا إحداها وأهمها.

وإذا كان «جبل الكذب الصهيوني» طويلاً، إلا أنه ليس ممتدًا. ولن تبقى الحقيقة في النهاية أسريرة في «المعتقلات» التي تعشش فيها عنصرية الصهاينة وذهنيتهم. وستنتصر الحقيقة.

المراجع

- ١ - عبدالله النجار «أسرار المؤامرة الصهيونية» ذون تاريخ . ص ١٨ .
- ٢ - بن هيشت «الغدر» .

Ben Hecht «Perfidy» Julian Messnerine. N. Y. 3 rd Printing 1961.

- ٣ - د. عبد الرحيم أحمد حسين «النشاط الصهيوني خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥». المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٤ . ص ٢٢١ - ٢٢٨ .
- ٤ - صحيفة «معاريف» الصهيونية بتاريخ ١٩٦١/٦/١ .
- ٥ - صحيفة «الديلي تلغراف» اللندنية بتاريخ ١٩٦١/٦/٢ .

الخطبوط الصهيوني وأسرار عملية التجسس الكهنوتي في لبنان وسوريا

«الجاسوسية أمر لا مفر منه ما دامت هناك حدود قائمة بين الدول وبعضها، وفي الواقع فإنه لا نهاية لأعمال الجاسوسية».

وعندما كانت الجهد تبذل على مختلف المستويات وفي كل اتجاه في سبيل تأسيس ما يسمى بدولة «إسرائيل»، فقد كان «للدروب السرية» التي انتهجتها «الموساد» الدور الأكبر والأعظم في تحقيق النصر الدرامي في إقامة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين العربية. هذا مع العلم أن «المادة البشرية» شكلت أهم الهواجس التي أفلقت بالمخطفين والمنفذين، وما نزال على هذا الأساس، كان «للهمرة اللاشرعية» أهميتها القصوى في القاموس الصهيوني وفي الميدان العملي على السواء.

ولقد كانت العقبة الأساسية في وجه تحقيق المشروع الصهيوني هي مشكلة الهجرة اليهودية إلى الأرض التي يدعون أنها «أرض ميعادهم». فلقد وجد تاريخياً من يفكرون في المشروع استراتيجياً من الدول الأوروبية الاستعمارية الكثير، بل وأصبحت عملية الصراع فيما بين هذه الدول على تبني المشروع هي الفكرة السائدة، الأمر الذي أتاح للصهيونية أن تستفيد من جميع هذه الدول. ولقد وجد أيضاً من بين اليهود من يتصهين للفكرة الأوروبية حول المشروع ويتبنوها ويعطيها أساً ايديولوجية ومادية وعقائدية واستراتيجية، وبذلك ولدت الصهيونية السياسية ونمّت وترعرعت

وعاشت في أحضان الغرب لما يقارب من نصف قرن ويزيد، قبل أن يتم تحقيق المشروع وتقوم الدولة العنصرية «إسرائيل».

ولقد وجد كذلك من بين اليهود من يقع ضحية هذه المؤامرة المتعددة الأطراف، ويختبئ لأكبر عملية تزوير عرفها التاريخ وهي عملية «لا سامية» شعب أوروبا، وبالتالي اضطهاد اليهود (لأنهم مجرد يهود) تحت وطأة حمى وطيش العنصرية والشوفينية، التي غذتها ورعنها الحكومات الأوروبية في تلك الفترة من أجل تحقيق المشروع، الأمر الذي أجبر بعض اليهود على الهجرة والرحيل عن مواطنهم الأصلية باتجاه مجتمعات جديدة أكثر رخاء وأماناً واستقراراً لحياتهم وطموحاتهم.

هذا ولقد تمت من ناحية أخرى عملية اغلاق الدائرة في وجه هؤلاء اليهود، والابقاء فقط على باب فلسطين مفتوحاً من هذه الدائرة لزجّ هذه الجماهير اليهودية داخل أسوارها، كفيتو جديداً يجبر فيه اليهود على اقامة دولتهم القومية العنصرية، ويدخلوا في عملية صراع طويلة (لا تنتهي الا بانتهاء الدولة) مع جيرانهم العرب، من أجل تمزيق وحدتهم وتكريس هذا التمزيق، والمحافظة عليه كأحد عوامل التخلف والتبعية والقهـر.

وليس أدل على ذلك من التقرير المعروف دولياً باسم تقرير «كامبل بنسمان» البريطاني عام ١٩٠٧ ، الذي يحدد تحديداً دقيقاً أهمية النقطة الاستراتيجية في الوطن العربي والمتمثلة بفلسطين ، ويعطى وبالتالي حلأً ما يقال فيه أنه صهيوني .

لقد حددت «لجنة بنزمان» في تقريرها، الوسائل الضرورية الكفيلة بتأخير سقوط الاستعمار عبر السيطرة على البحر الأبيض المتوسط، وعلى شواطئه الجنوبية والشرقية (لأن من يسيطر على هذه المنطقة يستطيع التحكم بالعالم). كما يجب العمل على تقسيم المنطقة العربية ويدرك الشقاق والانقسام بين سكانها لتلافي وحدتهم وتماسكهم باعتبارهم الشعب الذي يمتلك كل مقومات قوميته. وتنهي اللجنة تقريرها باقتراح «إقامة حاجز بشري

قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط آسيا بأفريقيا، ويربطهما معاً بالبحر الأبيض المتوسط بحيث يشكل في المنطقة، وعلى قرب من قناة السويس، قوة صديقة للإستعمار، وعدوة لسكان المنطقة» فكانت «إسرائيل».

من هنا كان هذا المشروع بحد ذاته، عملية هجرة لا شرعية للندرة من بين اليهود الى فلسطين.. هجرة لا شرعية للنسبة الضئيلة والأقل من جماهير اليهود سلخها عن مجتمعاتها التي عاشت فيها، والتي كانت تطمح للبقاء فيها، الى فلسطين. هجرة لا شرعية لنفر من اليهود مورست عليهم كافة أنواع هدر حقوق الإنسان الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والروحية والنفسية، لإيجاره على تنفيذ غaiات ومطامح لم يكن لي يريدها، ولم تتوفر حتى الآن أرضيتها المادية للدفاع عنها لو عرف الحكماء العرب كيف يعملون على إبطال مفعول المخططات التي وضع من أجل تنفيذها، وذلك عبر «الموساد» (جهاز مخابرات ارهابي) والأجهزة النازية والفاشية والمخابرات المركزية الأميركية باعتراف الصهاينة أنفسهم أمثال «جون» و«دافيد كيمحي».

وعندما كانت «المادة البشرية» هي جوهر المشكلة، كان لابد من الحل، ولم يكن الحل الا بالأدوات والوسائل الكفيلة للوصول الى الهدف والمبتغي. وهكذا وجد المركز القيادي للموساد في باريس بقيادة «دافيد بن غوريون»، رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية وأحد نشطاء ذلك الجهاز، بالإضافة الى كل من «يهود آفرييل» و«فرارييم ديكيل» و«يتجاجك شامادي» على صعيد أوروبا، والذين بدأوا يفصلون قماشهم ليتناسب مع مهماتهم الجديدة، كما أقيمت شبّع أربع منفصلة ومستقلة لتحقيق هذه الغاية وهي :

١ - ها آبالا Ha apala - الهجرة -

٢ - بريتشا Bricha - الهروب -

٣ - رتشيش Rechech - الأسلحة والمعدات العسكرية -

٤ - هاغاناه Haganah - التدريب العسكري -

أما على صعيد المنطقة العربية، فقد أرسل أعضاء من الموساد لإدارة العملية وهم «دأيد ناميри» في سوريا ولبنان، و«اينزوسيريني»، وأخرون في العراق، و«روث كليجر» في مصر. كما أرسل «بارجيلا» إلى إيران. وكثيراً ما استخدم «العامل الديني» سلاحاً فعالاً في يد القادة الصهيونيين، إن كان ذلك على صعيد اقامة «إسرائيل الدولة» أو في خدمة وجودها وبقائها واستمرارها وديموتها.

ولم تكن شبكة التجسس التي اتخذت «الدين» ستاراً لها في لبنان، إلا حلقة في السلسلة الصهيونية التي تريد «ختن» العرب عبر أحکام الطوق على رقبتهم للفظ أنفاسهم الأخيرة.

فما هي أسرار هذه الشبكة الكهنوتية؟ ومن هم أبطالها؟.

ان قصة التجسس هذه كانت تبدأ في دمشق لتتجمع حصيلتها في زجاجة فارغة يغرسها في بيروت أحد العملاء الصهاينة في بقعة تقع خلف تمثال الأمير فؤاد ارسلان على طريق الشويفات بالقرب من مطار «خلدة» القديم. وهناك يلتقطها عميل آخر مكلف بنقلها إلى إسرائيل. هذه الطريقة البدائية كانت ترسل المعلومات العادية بواسطتها. أما المعلومات السريعة فكانت تبث عن طريق موجات لاسلكية موجهة يلتقطها جهاز لاسلكي في جوف تمثال خشبي للسيد المسيح.

في الواقع لم تكن أجهزة المخابرات العربية السورية تجهل نشاطات الجاسوس القدس «جميل الفرح» الذي كان يعمل لحساب إسرائيل مع شبكة تجسسية، متخذة من «الدين» ستاراً يخفى وراءه - كما توهם - عملاته. لقد كانت أجهزة الأمن السورية هذه على علم تام بما كان يقوم به هذا الجاسوس سواء في سوريا أو في بيروت بالذات. وحينما تجمعت لها الأدلة التامة حولتها المحكمة العسكرية إلى خيوط وحبال تأرجح بها أفراد تلك العصابة على أعمدة المشانق.

هذا وقد تمت عملية التجسس لحساب إسرائيل على الشكل التالي؟.

بصوت كالهمس عرض «شفيق قنلفت» على جميل الفرج أن يعمل في شبكة جاسوسية تنشط في بيروت، لنقل كل ما يصل إليها من أخبار وأسرار إلى إسرائيل. ولم تمض أيام معدودات حتى كان جميل أكثر من عميل بسيط؛ وإنما عهد إليه برئاسة شبكة وعليه اختيار عناصرها لتعمل تحت اشرافه. وتوجيهه.

لم يكن جميل الفرج العميل الكسول أو المتوازي الانكالي، وإنما كان العميل الناشط في مختلف المجالات... واتخذ المظير الديني ستاراً لأعماله. فراح يجوب القرى والمدن اللبنانية بحثاً عن عناصر تعاون معه. ولم يفشل في مسعاه عندما وجد ضالته الأولى في شخص «جميل حداد» نزيل مستشفى بحثس في لبنان... وهناك اتصل به جميل الفرج خلال زياراته المتكررة للمستشفى، حيث كان يوزع الأنجليل المقدسة ويدعو المرضى إلى الإيمان بالمذهب «البروتستانتي» وخشية الله وعبادته.. بالإضافة إلى عبادة «إسرائيل» والصهيونية سرياً.

وانقطع الفرج عن زيارته للمستشفى حينما غادر جميل حداد الذي تسبّع «بالإيمان» ويفكره العمل لحساب المخابرات الصهيونية، وسافر إلى تل أبيب.

واحتضنته المخابرات الصهيونية ضيفها وعميلها الجديد. وبدأت في تدريبه على استعمال اللاسلكي بشكل متقن، فعاد بعد ثلاثة أشهر إلى لبنان ومنه إلى سوريا، وهو يحمل في جيبه أربعة آلاف ليرة سورية دفعة أولى من المخابرات الصهيونية ليتصرف بها العميل الجديد جميل حداد.. وبعد أسبوعين تقريباً ورد إلى جميل حداد جهاز لاسلكي لاقط ومرسل خبيء في غالون بنزين بهدف تلقي التعليمات والأسئلة، وبالتالي ارسال المعلومات والأجوبة.

وسافر جميل حداد مرة ثانية وثالثة خلال عامي ١٩٥٤ و ١٩٥٥ ... وفي عام ١٩٦١ سافر مرتين إلى تل أبيب، حيث تلقى تدريباً فنياً كان أحدث

من التدريب السابق في مجال كيفية استعمال أجهزة لاسلكية حديثة.

وفي دمشق عاود حداد نشاطه بعد أن اتفق مع المخابرات الاسرائيلية على تحديد رموز التخاطب والمراسلة (الشيفرة). واستأجر داراً في «شارع حلب» أودع فيها أجهزة اللاسلكي وكذلك العبر السري الذي كان يستعمله لكتابه الرسائل وتحويلها إلى بيروت، حيث يتم نقلها إلى إسرائيل.. وأصبح على تلك الدار صفة «كنيسة بروتستانية». بينما كانت تضم أجهزة الارسال والاستقبال اللاسلكي.

وأخذ جميل يزود الشبكة بمختلف المعلومات التي تتوفر لديه، وذلك بإرسالها عن طريق جهاز اللاسلكي، أو بكتابتها بالجبر السري وإرسالها إلى بيروت، حيث يعيد جميل الفرج مراجعتها وبالتالي تنفيذها وبيعها إلى إسرائيل ..

وكان جميل حداد يتولى ارسال المعلومات في الساعة الرابعة والربع بعد ظهر كل يوم اثنين وجمعة.. ويتلقي التعليمات في الساعة الرابعة والربع أيضاً بعد ظهر كل يوم سبت وثلاثاء، عن طريق موجات سلكية موجهة يلتقطها جهاز لاسلكي مثبت في أسفل مروحة كهربائية، وأخر في جوف تمثال خشبي للسيد المسيح... والأجهزة اللاسلكية هذه خصصت لإرسال المعلومات السريعة. بينما المعلومات الخطية العادية فكانت ترسل الى بيروت حيث كان جميل الفرج يضعها في زجاجة فارغة مكسورة يغرسها في الأرض الواقعه خلف تمثال الأمير فؤاد ارسلان على طريق الشويفات قرب مطار خلدة القديم قرب بيروت.. وبأتم، بعدئذ أحد الجوايس المكلفين بنقلها الى اسرائيل.

وفيما بعد عمد جميل الفرح الى ضم صهره «وليم بستولي» الى حلقته .. وأوفده الى المانيا الغريبة بحجة قضاء شهر العسل، بينما هناك تلقفه الجاسوس «روبير طوطح» الذي تولج ايضاً الى اسرائيل، حيث ظل يتدرّب على استعمال أجهزة اللاسلكي مدة ثلاثة أشهر. ثم أعيد الى المانيا، ومنها الى بيروت. بينما كان الفرح قد ضم أيضاً الى بؤرة الخيانة والجاسوسية كل من : «عقل انطون» و«حنا مسعد» و«يوسف لقطينة» و«يوسف كعدي».

وأضحت عصابة التجسس هذه خاضعة لإشراف وتوجيه رئيسها القس جميل الفرح، الذي كان بدوره يقوم بزيارة إسرائيل مرة في كل شهر، سواء عن طريق التسلل من منطقة الجنوب إلى حيفا.. أو عن طريق البحر بواسطة زورق بخاري كان ينقله ومن معه، من المياه اللبنانية إلى نهاريا قرب عكا. وكلما ذهب جميل الفرح إلى إسرائيل كان يعود محملاً بالأموال الطائلة، ثم تلحق به أحدث الأجهزة اللاسلكية للبث والالتقطان، ومنها جهاز مثبت داخل هيكل ساعة مكتب عادية ويعتبر من أحدث الأجهزة وأدقها في نقل المعلومات وتلقيها.. كما وصل إليه جهاز لاسلكي - تليفوني (Radio - Phon) يمكنه الاتصال بتل أبيب بمجرد تدوير قرص الهاتف بالأرقام المحددة له.. وقد حرص جميل الفرح على سلامته هذا الجهاز فخبأه في الجزء العلوي من آلة طبع الأفلام كانت لديه بداره.

في ذلك الوقت كانت إسرائيل تستميت جاهدة للحصول على معلومات تتعلق بالجيش السوري، وتقارير الفرح وعصابته لا تفي بالغرض المطلوب.. فأبلغت الفرح باستعدادها أن تدفع له عشرة ألف ليرة لبنانية إذا تمكّن من تأمين أحد العسكريين في القوات المسلحة السورية للعمل مع العصابة، لقاء مبلغ خمسة وعشرين ألف ليرة سورية تدفع مقدماً لذلك العسكري، وألف وخمسين ليرة شهرياً، إلى جانب دعوته لقضاء رحلة ممتعة يطوف خلالها أوروبا.

سال لعام الفرج أمام العرض المغربي، فنشط يسعى لإيجاد «ال العسكري السوري». وبواسطة «عقل انطون» توهם أنه وجد ضالته ممثلة في شخص عنصر عسكري قريب لعقل المذكور..

وبدافع الشرف العربي وتوصلاً لاستئصال شأفة هذه العصابة، تظاهر ذلك العسكري بقبول العرض المغربي، في الوقت الذي كان فيه على اتصال بالمراجع ذات الاختصاص في الجيش ينفيها بكل شيء. فتطلب إليه متابعة الاتصال وتزوذه بما لا ينفع إسرائيل، وبالتالي بمعلومات عسكرية خطأة.

وهكذا استنفرت أجهزة الأمن السورية التي كانت على علم تام بكل نشاطات العصابة في دمشق كما في لبنان، وترى في القضاء عليها ريثما تستكمل كافة ملامح القضية التي لم تكن بغافة عنها منذ ولادتها ونشأتها، وإنما ترقب الوقت المناسب لخنقها والخلاص منها.

وجاء القس جميل الفرج يوماً مزوداً برسالة خاصة من أحد أفراد عصابته، إلى مكتب أحد الصحفيين، لمساعدة حاملها الحصول على اجازة تصوير العرض العسكري المسبق للجيش العربي السوري، دون أن يدرى أن ذلك المكتب هو فرع لجهاز أمن يكافع الجاسوسية المعادية. فقررت رئاسة الجهاز الأمني وضع يدها عليه وعلى عصابته وانهاء اللعبة بالضربة القاضية. فأوزعت بمرافقته إلى الأركان العامة بحججة ضرورة تقديم طلب الحصول على الاجازة أولاً، بهدف التعرف على شخصه ووضعه تحت المراقبة الدقيقة، بينما أصدرت تعليماتها إلى «ال العسكري» بتنفيذ الخطة المرسومة. وهكذا كان.

وفي اللحظة المحددة، كان القس جميل الفرج وزوجته والعسكري في دار أحد العملاء الخونة بدمشق. وأمسك جميل بالوثائق والخرائط والمعلومات السرية التي سلمها إليه العسكري السوري. في تلك اللحظة كان رجال المخابرات السورية يحيطون بالمنزل.. فشعر جميل الفرج بأنه وقع في الفخ، فسارع إلى اعطاء زوجته المغلف السري ويدورها أسرع إلى «الحمام» وخجأه ضمن مخلف من النايلون وأخففه في مكان حساس بجسمها. وبدأت عملية التفتيش فلم يعثر رجال المخابرات على شيء. واقتيد الجميع إلى التحقيق حيث استحضرت امرأة قامت بتفتيش زوجة القس الفرج فعثرت على كيس النايلون.

وبعد التحقيق السري العاجل وثبوت تجسس تلك العصابة لحساب العدو الصهيوني واعتقال معظم عناصرها، تم إبلاغ جهاز أمن اللبناني في بيروت، حيث اعتقلت بعد التحقيق الواسع وبعد الثبوت، أفراد العصابة،

وقدمتهم الى المحاكمة.

وبتاريخ ١٩٦٤/٣/٣٠ أُعلن القضاء العسكري في دمشق كلمة الحق والعدالة في جرائم وخيانات أفراد هذه الشبكة، وأصدر أحکامه القطعية بحقهم مقرونة بعرض وافٍ للواقع التي تتوضح خيانات هؤلاء الجواسيس، وكذلك الأدلة التي ثبت ادانتهم بجرائم التجسس وجمع المعلومات وكتابة التقارير وإرسالها الى المخابرات الصهيونية.

وقد صدر الحكم بإعدام كل من: القس جميل الفرح، جميل حداد، يوسف لقطينة والرقيب أول حنا مسعد. وبتاريخ ١٩٦٤/٣/٣١ نفذ حكم الاعدام بكل من القس جميل فرح وجميل حداد ويوسف لقطينة.

وكانت هناك أيضاً أحکام مختلفة صدرت بحق بقية أفراد العصابة تراوحت ما بين الاعدام غيابياً وبين الاشغال الشاقة المؤبدة.

يبقى أن نقول أخيراً بأن الذين أعدموا السيد المسيح لن يتورعوا عن استخدام تماثيله الخشبية والبرونزية أماكن سرية لأجهزتهم التجسسية.. إلا أن الغرابة تكمن في «أبناء» السيد المسيح أنفسهم الذين يحملون هوية الانتماء له، ويترىون بزي الكهنوت، ويتحولون تماثيله وكتائسه في الوقت نفسه الى مخابئ سرية لأجهزة العدو الذي صلب مسيحيهم وغدر بالنبي الكريم (محمد».

المراجع

- ١ - جون ودافيد كيمشي «الدروب السرية» ترجمة «فلسطين المحتلة». منشورات فلسطين المحتلة. مطبع الكرمل. الطبعة الأولى. بيروت ١٩٨١. ص ٥ - ١٣.
- ٢ - نزار عمار «الاستخبارات الاسرائيلية». المؤسسة العربية. الطبعة الأولى. بيروت ١٩٧٦.
- ٣ - فتحي كركوتلي في مجلة «الدستور» اللندنية. العدد (لندن ٣٥٣). الاثنين ١٧ كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٤. ص ٣٦ - ٣٨.
- ٤ - أحمد هاني «الجاسوسية بين الوقاية والعلاج». ص ٧٧.
- ٥ - عوني عبد المحسن فرسخ «الظروف الأقليمية في الوطن العربي». منشورات الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين. الطبعة الأولى. بيروت ١٩٧٤. ص ١٨٧.
- ٦ - زكي شهاب في مقابلة مع وليد جنبلاط (رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي) لمجلة «المجلة» الباريسية بتاريخ ٨ - ١٤ ديسمبر ١٩٨٤.
- ٧ - جريدة «الأنباء» اللبنانية (ناطقة بلسان الحزب التقدمي الاشتراكي) العدد ١٥٤٩. الاثنين ٢٤ كانون أول / ديسمبر ١٩٨٤. ص ٨ - ٩.

الحرباء الاسرائيلية وأسرار اختفاء الغواصة داكار

البشرية ميدان واسع لمختلف العلوم والفنون، التي كان للإنسان، الفضل الأول، في اكتشافها واظهارها الى النور. وقد اختلف اهتمام البشر، على مر العصور والتاريخ، بهذه العلوم والفنون، حتى لازم بعضهم علم معين، كما التصدق بالبعض الآخر فنًّا، فلما برع فيه غيره كبراعته هو. وليس الصهيونيون إلا أحد هذه النماذج التي احتكرت مرتبة الأولوية في فن المكر والكذب والخداعة، حتى وصل الى حد «الإدمان»... ومن «أدمَنَ» على فن ما، ليس سهلاً أن يتخلَّ عنْه، وليس هناك من نية للتخلِّي عنه، باعتباره مصدر حياة وبقاء وجود.

هكذا يتنفس الصهيونيون فنَ الكذب والتضليل، كما يتنفسون الهواء. ومتن تعودت شرائين الجسم على دمٍ من هذا النوع، يصبح معرضاً لأية حساسية عند تغذيته بدمٍ من نوع آخر.

ومنذ وجدت دولة الاحتلال الصهيوني على أرض فلسطين العربية، لم يتخلَّ قادتها عن هذا الفن، بل كان نهجاً استراتيجياً في قاموسهم العنصري الارهابي الجرائي. وقلما كشفوا حقيقة أمام الرأي العام في فلسطين المحتلة، أو أمام الرأي العام العربي والدولي.

وتبقى سياستهم لغزاً يتعذبونه لإشغال بالكثيرين في حلّ رموزه. الا أن سرَّ الغواصة الاسرائيلية «داكار» التي اختفت بتاريخ 25 يناير سنة 1968 ، ما زال يشكل هاجساً وكابوساً يثقل كاهل الصهاينة.

فما هو سر هذه الغواصة؟ وكيف اختفت؟ وهل كان السبب وراء اختفائها أيام الشواطئ المصرية التعديلات التي أدخلت عليها أم أن المصريين أغرقوها؟.

ذلك ما يقلق الاسرائيليين منذ تسعه عشر عاماً - ولا يزال -. وبعد هذه المدة يعود الاسرائيليون الى بعث هذا السؤال بمناسبة الاتفاق على بدء عملية موسعة للبحث عن الغواصة «داكار» في أعماق البحر المتوسط.

في الخامس والعشرين من شهر يناير سنة ١٩٦٨ ، وفي الساعة الثامنة صباحاً، انتظرت قيادة سلاح البحرية الاسرائيلية برقية اعتيادية من الغواصة «داكار». كانت هذه الغواصة واحدة من ثلاثة غواصات حصلت عليها اسرائيل من بريطانيا بعد إدخال بعض التجديدات عليها. وكانت في طريقها من بريطانيا الى ميناء حيفا في فلسطين المحتلة، وعلى متنها طاقم مكون من تسعة وستون ضابطاً ومجندًا. ولم تصل البرقية، وفقدت الغواصة «داكار»؛ وبقي سؤال أو لغز لم يفسّر ولم يحل الى اليوم ويدور حول ملابسات اختفائها ومصيرها المجهول.

وفي العشرين من شهر آب /أغسطس ١٩٨٦ ، مع بدء تقضي أسباب اختفاء الغواصة «داكار»، طرح «جدعون راز» وكان يشغل منصب نائب قائد البحرية الاسرائيلية آنذاك، فرضية جديدة حيث قال: «ان الغواصة داكار التي تم بناؤها في عام ١٩٥٤ أدخلت عليها تجديدات في ترسانة البحرية البريطانية لتتوافق مع احتياجات سلاح البحرية الاسرائيلية. وقد تسبّبت هذه التجديدات في اضعاف هيكل الغواصة، مما أضعف من مقدرتها وإمكاناتها على مواجهة ضغوط المياه في الأعماق وقيد من كفاءتها على الغوص. وقد أورد «راز» أنه استند لهذه الفرضية بناء على الاختبارات والفحوص التي خضعت لها الغواصة «الهركول» بعد اختفاء «داكار»، والتي أدخلت عليها تجديدات مماثلة في الترسانة البحرية البريطانية. وقد ظهرت نقاط ضعف كانت هناك ضرورة لاصلاحها، لكن لم تكن نقاط الضعف هذه سبباً مباشراً في مصيرها. بل ان

هذه الفرضية التي يطرحها ترجح احتمال أن يكون ضعف الهيكل الخارجي لـ «داكار» عنصراً إضافياً للعوامل التي أودت بها، وأن يكون السبب في ذلك مجموعة متشابكة من الأخطاء الفنية والبشرية، بحيث هبطت الغواصة لأعماق سحيقة، مما نتج عنه اندفاع الماء لداخلها دون أن يتمكن طاقمها من فعل شيء.

بعد اختفاء هذه الغواصة طرحت عدة أسباب لذلك، وخضمت كلها لفحص علماء سلاح البحرية الاسرائيلية سواء احتمال اغراقها على يد أطراف معادية أو الاستيلاء عليها أو احتمال حدوث مواجهة بينها وبين سلاح بحري معادي، أو اصطدامها بجسم غريب تحت سطح الماء. وقد رفض الخبراء الاسرائيليون كل هذه الافتراضات واحداً تلو الآخر، وذلك بناء على معطيات أمنية مؤداها عدم رصد أي حادث غير عادي في البحر الأبيض المتوسط في تلك الفترة، ولم يستثن إلا فرضية واحدة وهي الفشل الفني. ويقول «جدعون راز» في هذا الصدد: بعد إدخال التجديفات على هيكل الغواصة في ترسانة البحرية البريطانية تم فحص الغواصات الثلاث، ولم يكتشف أي عيب أو خلل في غلافها الخارجي. الا أن هذه الاختبارات والفحوص تمت في قناة بحر المانش ولم تتم في المياه العميقية.

والتقدير الحالي الذي يورده الاسرائيليون للغواصة «داكار» أنها غرفت وامتلاء بالمياه، ولكن لم يتحطم هيكلها، وما زالت على أقل تقدير ترقد في أعماق البحر على عمق يتراوح ما بين ۱۰۰ و ۱۵۰ متراً تحت سطح البحر. ويستند هذا التقدير على طوافة الغواصة التي عشر عليها بعد عام من غرقها بالقرب من شواطئ البحر.

وقد دحض «زيف الموج» قائد الغواصة «الهركول» ما أدعاه «راز» بقوله: «إن ما يدعوه «راز» من أن التجديفات التي أدخلت على الغواصة داكار وكانت سبباً في غرقها، إدعاء يفتقر للصحة والحقيقة».

وأضاف قائلاً: «بما أنني كنت قائداً للهركول - الغواصة الشقيقة

لداكار - فإنني أؤكد أن ما أدخل من تجديدات على الغواصات الثلاث قد تم فحصه نظرياً وعملياً، وكان طاقم الغواصة ملماً بكل ما أدخل عليها».

وهكذا تنهار بشهادة الاسرائيليين أنفسهم كافة النظريات التي صاغوها لتفسير اختفاء الغواصة «داكار». وهناك أيضاً دليلاً أكثر قوة على أن هذه النظريات بعيدة عن الحقيقة، هذا الدليل هو أن اللجنة العسكرية التي شكلت للتحقيق في الحادث، وكانت برئاسة الجنرال «اسرائيل طل» نائب رئيس الأركان في ذلك الوقت، توصلت إلى نتائج محددة، ولكن كبار المسؤولين في اسرائيل، وفي الجيش الصهيوني، أمروا بعدم نشر نتائج هذا التحقيق حتى الآن. ويبقى سؤال مهم حول طبيعة الغواصة «داكار» ومميزاتها.

فهي غواصة تفقد واستطلاع. تم بناؤها في ترسانة «دون بورت» في بريطانيا سنة ١٩٥٤ . وكانت ضمن غواصات الاسطول البحري البريطاني. وتم ادخال تجديدات عليها في نفس الترسانة، وذلك بزيادة طولها ثلاثة أمتار. هذه الغواصة فيها ست فتحات طورييد سعة ٢١ بوصة، وفيها محركين ديزل وأربعة محركات كهرباء. وتبلغ سرعتها تحت سطح الماء ١٧ عقدة.

حصلت عليها البحرية الاسرائيلية سنة ١٩٦٥ بعد إدخال تجديدات أخرى عليها وضمت للخدمة سنة ١٩٦٧ . وأطلق عليها اسم «داكار» - وهو اسم نوع من الأسماك الضخمة التي تألف المياه الدافئة العميقة - .

بعد عدة تدريبات أبحرت إلى اسرائيل في ٩ كانون الثاني /يناير ١٩٦٨ ، وعلى متنها طاقم بحري اسرائيلي مكون من تسعة وستين فرداً منهم أحد عشر ضابطاً. ورست يوماً واحداً في جبل طارق في ١٥ كانون الثاني /يناير ١٩٦٨ ، وكان متوقعاً. وصولها إلى ميناء حيفا في ٢٩ كانون الثاني /يناير. واستمر الاتصال اللاسلكي معها بكافة الطرق وبانتظام.

في ٢٤ كانون الثاني /يناير، وفي الساعة السادسة وعشرين دقيقة أبرقت الغواصة لقيادة البحرية الاسرائيلية تحدد موقعها بأنها على درجة عرض ٦١ شماليًا وخط طول ٢٦,٢٦ شرقاً. وفي نفس اليوم أيضاً أرسلت الغواصة

برقيتين اعتياديتين.

في ٢٥ يناير، وفي الساعة الثانية عشرة ودقيقتين ظهراً، التقط مقر القيادة اتصالاً لاسلكياً متقطعاً اعتقد خطأ أنه من الغواصة «داكار». وفي الساعة الثامنة صباحاً كانت قيادة سلاح البحرية في انتظار اتصال لاسلكي اعتيادي مع داكار. الا أنه لم يتم. فتم تركيز الاستماع ونادي عليها عدة مرات، ولم تلتف القيادة ردأ، فقامت وحدات بحرية وطائرات من كل من اسرائيل وبريطانيا وأميركا واليونان بالبحث عنها حتى يوم ٣٠ يناير، حيث أعلن مركز البحث في قبرص بأنه لا يوجد أمل في العثور على طاقم الغواصة على قيد الحياة، وتوقفت وحدات باقي الدول عن البحث. واستمرت اسرائيل فيه إلى يوم ٤ فبراير، وأعلن بعده عن فقد الغواصة، وتم تعيين الجنرال «اسرائيل طل» نائب رئيس الأركان الإسرائيلي رئيساً للجنة العسكرية للتحقيق في حادثة اختفاء الغواصة. لكن نتائج تحقيق هذه اللجنة لم تنشر إلى اليوم. واضطرب حاخام الجيش الصهيوني في «اسرائيل» لإصدار شهادات وفاة لطاقم الغواصة المفقودين.

وفي ٩ فبراير ١٩٦٩، أي بعد مرور ثلاثة عشر شهراً من اختفائهما، عثر أحد مواطنين خان يونس من العرب على شاطئ البحر، على عوامة الطوارئ الخاصة بالغواصة، والمزودة بجهاز إرسال يعمل دورياً كل عشرة دقائق بإرسال استغاثة إنقاذ ورقم هوية الغواصة. وبعد فحص حالة عوامة الطوارئ، حدد الخبراء الاسرائيليون المنطقة التقديرية التي فقدت بها الغواصة «داكار»، وذلك في المنطقة الوسطى شرقاً للبحر الأبيض المتوسط وعلى بعد ما بين ٤٠ و ٧٠ ميلاً بحرياً من شواطئ ميناء حيفا.

وأخيراً نستطيع القول، أنه اذا حدد الخبراء الاسرائيليون منطقة اختفاء الغواصة أو لم يحددوها، فليست هذه هي المشكلة، وإنما المشكلة في تحديد موقع «اسرائيل» ذاتها، والمنطقة التي يجب أن تغرق فيها، وبأي أسلوب، تمهدًا لاختفائتها من الوجود، تماماً كغواصتها «داكار». ولو عشر بعد ذلك على بعض أجزائها، فلن تعود بمشكلة، شأنها شأن الغواصة المختفية.

المراجع

- ١ - د. أسماء ابراهيم سيف. مجلة «الدفاع» القاهرةية. العدد التاسع. سنة ١٩٨٦ . صن ٦٦ - ٦٧ .
- ٢ - «الموسوعة العسكرية» الجزء الثاني ، بإشراف المقدم الهيثم الأيوبي: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. الطبعة الأولى . بيروت ١٩٧٨ . صن ٤٣٠ .

الاغتصاب الصهيوني بين سرقة فلسطين وشحنة اليورانيوم

لعل من أغرب المفارقات في القرن العشرين، أن يصبح «اغتصاب الأوطان» مهنة رابحة في قاموس المستعمررين وشذوذ الأفاق، حتى أنها وصلت مرتبة «الاحتراف»، كما هي الحال لدى الصهيونيين في فلسطين العربية. وعندما يلمع بريق هذه المهنة كقرصن الشمس، تأخذ عمليات الاغتصاب الأخرى مرتبة أقل أهمية من العملية «المركزية» ضمن دائرة الشعاعات التي تردد «المركز الأم» من أجل الديمومة والاستمرارية.

وهذا ما ينطبق على «دولة اسرائيل» وقيامها عام ١٩٤٨، كما على كل عملياتها الاغتصابية الرديفة. وليس أشهرها عملية سرقة اليورانيوم من أوروبا لإنتاج القنبلة الذرية، والمعروفة بـ«عملية بلقيس» سنة ١٩٦٨.

فكيف حصلت هذه العملية؟ وما هي أسرارها، التي ما زالت لغزاً حتى اليوم؟

منذ بداية وجودها، عملت اسرائيل على إيهام العرب بأنها دولة عملقة، وبيان جيشها «أسطورة لا تقهق». ولتكريس هذا الوهم وتجسيده واقعياً في نفوس العرب، كان لابد من خطوات وعمليات تظاهرها بمظهر «السوبرمان». مرة بصورة علنية، وأحياناً أخرى بشكل سري. ولم يكن نشاطها النوري يستلزم الدعاية والبهرجة الإعلامية، بل كان واجباً ملحاً في

بقاءه سرياً وطبيّ الكتمان.

وقد تجسّم نشاط اسرائيل في المجال النووي بإنشاء مؤسسة الطاقة الذرية الاسرائيلية بعد اعلان قيام الدولة بثلاثة أشهر. وبدأت هذه المؤسسة نشاطها منذ إنشائها في ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٨ بالعمل على استغلال الطاقة النووية في مختلف المجالات. وفي سبيل الغاية الصهيونية المنشودة عملت اسرائيل على بناء مفاعلات نووية أولها مفاعل «ريشون لوزيون» سنة ١٩٥٧، ومفاعل «ناحال سوريك» سنة ١٩٥٩، ومفاعل «التكنيون» لتدريب الخبراء والمهندسين والباحثين في مواضيع الفيزياء والكيمياء النووية، ومفاعل «ديمونا» أهم مفاعلات اسرائيل الذرية وأخطرها، حيث لم يعترف بوجوده إلا عام ١٩٦٦، ومفاعل «نبي روين» الذي بدأ بنائه عام ١٩٦٦، وغيرها.

وفي نفس الوقت، كان النشاط الصهيوني منصبًا على تأمين المواد الخام، والمادة البشرية. ولم تكن مادة «البورانيوم» إلا أحدى أهم المواد التي تستخدم في إنتاج القنبلة الذرية، التي بذل الصهيونيون قصارى جهودهم للحصول عليها وسرقتها عبر احدى الشركات الالمانية المسماة بـ: «أسمرة كيمي». ESMRA KIMY

تأسست «أسمرة كيمي» في مدينة فيسبرادن الالمانية القرية من فرانكفورت في ابريل ١٩٥٢ كشركة بين «ميريرت شولزن» و«ميريرت سكارى»، وكانت الشركة تقوم بصناعة وبيع المنظفات الصناعية، أو بمعنى أدق، كانت تشتري مكونات الصابون وتخلطها ثم تعبئها وتبيعها. ولم يكن لدى الشركة مكان لتقوم باعمال أكثر من هذا، لأن مقرها كان عبارة عن حجرتين تطلان على فناء صغير. وفي أوائل السبعينيات، وبمساعدة اثنين من رجال التسويق الممتازين، تمكنت الشركة من الحصول على عقود لتوريد انتاجها الى القواعد العسكرية الاميركية الموجودة في المانيا. كما أصبح للمشترين علاقات صداقة ممتازة مع المسؤولين بمكتب التموين التابع للجيش الالماني.

وفي عام ١٩٦٢ دفع «هيريرت سكارى» بالشركة الى العمل في مجال انتاج المواد المضادة للتلويث النووي . ويحلول عام ١٩٦٤ كان لشركة «أسمرة كيمي» مركز ممتاز في سوق المستلزمات الدفاعية، الى جانب اتصالاتها الواسعة في المجالات الصناعية والعسكرية .

كان «هيريرت شولزن Cholzen» هدفاً ممتازاً للمخابرات الاسرائيلية «الموساد» . وكان يعني من أثر إصابة قديمة في أثناء الحرب العالمية الثانية، عندما أصيب في رأسه إصابة خطيرة في احدى المعارك الجوية . وظل أثر الجرح يسبب له آلاماً متزايدة على مدى السنين التالية، ونصحه الأطباء عام ١٩٦٤ بضرورة إجراء عملية جراحية .

وبعد العملية تلقى دعوة من مصنع للأثاث في تل أبيب لقضاء فترة التقاهة؛ وخلال الزيارة نظمت له المخابرات زيارة لمعهد وايزمان للأبحاث . وعندما عاد الى فيسبادن كان قد شفي تماماً من ذكريات جرحه، حاملاً معه ذكريات جديدة حارة، وكتاباً مصوراً عن «اسرائيل»، وضعه أحد معارفه الاسرائيليين الجديد . ولم يمض وقت طوويل حتى أدت زيارة «شولزن Cholzen» لاسرائيل، الى تلقي شركة «أسمرة كيمي» طلبيات من شركات اسرائيلية، جاء بعضها مباشرة، وبعضها عن طريق شركات المانية أخرى . وكانت هذه عمليات تجارية بحتة، ومن بينها طلبيات تتعلق بمادة كيميائية تستخدم في صناعة المنسوجات . وفي يونيو ١٩٦٧ حدثت تغييرات في الشركة، حيث سلم «هيريرت سكارى» البالغ من العمر سبعين عاماً السلطة الفعلية في الشركة الى «شولزن» . وبعدها مباشرة بدأت عمليات الشركة مع «اسرائيل» تأخذ الطابع العسكري الحالص .

فقد زودت الشركة الجيش الاسرائيلي بعدد /٣٠٠/ جهاز لمقاومة التلوث، وبعدها حاولت الشركة أن تبيع «لإسرائيل» معدات للتوصير من الجو .

حصلت الشركة على أكبر صفقة تم إبرامها مع «اسرائيل» في عملية

أن البيرانيوم يتطلب معالجة معينة، قبل أن يصبح من الممكن استخدامه كوسيل كيميائي. وقد أخبرت شركة «أسمرة كيمي» مسؤول ديويز بأنها اتفقت مع شركة «شيماجار» للمواد الكيماوية، ومقرها الدار البيضاء في المغرب، على معالجة البيرانيوم، ثم إعادةه بعد المعالجة إلى فيسبادن. لقد كان هناك تعامل بالفعل بين الشركات، إلا أن هذا التعامل كان قد توقف منذ فترة طويلة. وكان اختيار شركة «شيماجار» فكرة ذكية، لأنها لو اكتشف اختفاء البيرانيوم فإن مسؤولية الحادث تقع على الوطن العربي لا على «إسرائيل».

قال «ديويز» في هذا الوقت، إن شركة «أسمرة كيمي» قد تجاهلت بأن المانيا عضو بالسوق الأوروبية المشتركة، وأن أي تحركات أو نقل للبيرانيوم بين دول السوق ست كانت تحت رقابة وكالة تابعة للسوق تسمى «بوراتوم». كما أن تصدير البيرانيوم، ولو بصفة مؤقتة للمعالجة، إلى دولة خارج السوق كان يستلزم الحصول على إذن من الجهاز التنفيذي الأعلى في السوق (اللجنة الأوروبية). ولذا حذر «ديويز» شركة أسمرة من أن الحصول على إذن بتصدير البيرانيوم إلى الدار البيضاء لن يكون مسألة سهلة، ولن يتم بسرعة. وأفادت شركة أسمرة بأنها ستبحث عن شركة أخرى داخل السوق الأوروبية المشتركة، وكيفية التسلیم وغيرها من المسائل التي سيتم تذليل عقباتها.

كانت المفاوضات حتى صيف ١٩٦٨ تم بالمراسلة أو عن طريق التليفون، مما جعل الجمعية العامة للمعادن جاهلة بحقيقة شركة أسمرة. ولذا اقترح «ديويز» زيارة «شولزن» في فيسبادن لإجراء المفاوضات النهائية وجهًا لوجه. وكانت الزيارة في مقر شركة أسمرة مشكلة صعبة، لأن ديويز سيرى بنفسه ذلك الفنان المؤدي إلى المدخل الفسيط للشركة، وسيدرك استحالة أن يكون لدى الشركة مكان يكفي لتخزين /٢٠٠/ طن من البيرانيوم، واستخدامها بأي صورة من الصور.

لكن شولزن بخبرته الطويلة كرجل تسويق، تصرف بأسلوب لبق للغاية.

انتزاع / ٢٠٠ / طن من أكسيد الاليورانيوم من أحد المعامل بأوروبا. فقد وصل أمر توريد الاليورانيوم إلى مقر الجمعية العامة في بروكسل في مارس ١٩٦٨، وهذه الجمعية تابعة لمنظمة عملاقة أخرى هي «الجمعية البلجيكية العامة»، ذات المصالح والاهتمامات المتنوعة التي تمتد من الأعمال المصرفية إلى الشحن، إلى صناعة الورق، إلى التعدين. وقد ورد الأمر الخاص بالاليورانيوم إلى «دينيس ديويز» رئيس قسم الاليورانيوم في الجمعية.

وكان من ضمن الشركات القائمة بجانب الجمعية، شركة التعدين العملاقة «انيون منير»، التي كانت القوة الكامنة وراء استعمار بلجيكا للكونغو، وتمكنـت من شحن كميات ضخمة من أكسيد الاليورانيوم إلى بلجيكا. وتم تخزين هذه الكميات في مخزن بالقرب من قرية تقع إلى الشرق من «انتويرت». وكانت الجمعية العامة للمعادن تجد صعوبة في ايجاد مشترى لتصریف هذه الكمية من الاليورانيوم.

وعندما تلقت الجمعية الطلبة التي تكلّف عدة ملايين من الدولارات من شركة «أسمرة كيمي»، لم يكن أحد في الجمعية قد سمع بهذه الشركة من قبل. ومن الطبيعي أن ديويز كان مهتماً بالتعرف على مدى قدرة هذه الشركة العجمولة على الدفع. وجاء رد الشركة ليؤكد الثقة بها.

فقد كانت المبالغ الالزامية قد أودعت بالفعل في مصرف بزيوريخ. وصدق البنك على ما قالته الشركة. ولكن أحداً في الجمعية لم يكن قد سمع بهذا البنك. وطلبت الجمعية اجراء تحريات بشأن المركز المالي للبنك. وعندما جاءت نتيجة التحريات مُرضية، قالت الجمعية أنه سوف يسعدها أن تعامل مع شركة «أسمرة كيمي».

انها خدعة كبيرة في الحقيقة ضمن مسلسل الخداع الصهيونية الطويل. إذ أن «شولزن» كان يصرّح بأن الهدف من الصفقة هو أن شركته تبني انتاج البتروكيمايات على نطاق واسع، وأنها بحاجة إلى الاليورانيوم لاستخدامه ك وسيط في بعض عملياتها الانتاجية. ولكن الحقيقة كانت خلاف ذلك؛ حيث

قدعا «ديويز» الى منزله الواقع وسط تلال مليئة بأشجار الصنوبر في قرية «هتهاين»، على مسافة عشرة أميال من فيسبادن، والمجهز على الوجه الأكمل بحمام السباحة الموجود فيه، والكراج بسياراته الثلاث؛ وتم اللقاء بحضور عدد من الرجال حسبيهم «ديويز» من العاملين في الشركة، وكانوا يتحدثون بالألمانية فيما بينهم (وهم من رجال الموساد) بينما المفاوضات كانت بالإنجليزية. وعندما أثيرت مشكلة الشركة المغربية، أعلن «شولزن» أنه وجده شركة أخرى في إيطاليا يمكن أن تتولى الأمر، واقتصر وسيلة النقل بالبحر، اذا لم تكن هناك مشكلة بسبب ابعاد شحنة اليورانيوم عن أراضي السوق الأوروبية المشتركة لفترة من الوقت. وأفاد «ديويز» بأنه لا توجد مشكلة لأن الرحلة لا تمثل تصديراً للاليورانيوم خارج دول السوق الأوروبية المشتركة. إلا أن الجمعية العامة للمعادن لم يكن لديها فضول للتحقق من ماهية شركة «أسمرة كيمي»، كما أنها لم تهتم بالشركة الإيطالية «سايكا» التي اختارها شولزن.

وعند عودة «دنيس ديوير» من فيسبادن الى بروكسل لتنفيذ الطلبية، كان هناك فصل آخر من التمثيلية المتقنة تدور أحداه في زبوريخ.

ففي ١٩/٨/١٩٦٨، تم تفويض مكتب خاص في زبوريخ لمثل هذه العمليات. وبعد ٢٤ ساعة من تفويض المحامي، تم تسجيل شركة ملاحية ليبيرية تحت اسم «بيسكاين تريدرز كوربوريشن» ومديرها «بورهام ياريصال» كما هو مبين في السجلات الليبيرية.

وفي أواخر أغسطس ١٩٦٨، طلب «ياريسال» من سمسار البوارخ «ميلا» في هامبورج شراء سفينة حمولة / ١٥٠٠ / طن، وتم شراؤها بمبلغ / ١٦٠ / ألف استرليني، ودفع ثمنها عن طريق بنك هامبورج. وأصبح لدى شركة «بسكاين تريدرز كوربوريشن» سفينة بعد خمسة أسابيع من تكوينها. وتمت الصفقة بسرعة أثارت دهشة مالكي السفينة شيرزبرج وهم أصحاب احدى شركات الملاحة في هامبورج. وقد دار بخلاف المسؤولين في هامبورج

أن شيرزبرج ربما تستخدم في تهريب الأسلحة. كما تراءى للبعض أنها سوف تستخدم في أي عمل مريب.

ولكي تكتمل التمثيلية المتقنة، طرد «ياريسال» بحارة السفينة في شيرزبرج في اليوم التالي. وأحضر مجموعة من البحارة نقلوا من سفن أخرى مملوكة لياريسال. ولم يصل القبطان الجديد الذي عيشه ياريسال إلا يوم ٨ أكتوبر. وفي اليوم التالي / ٩ أكتوبر/ بدأت السفينة شيرزبرج التي سميت «شيرزبرج - ١» رحلة طويلة إلى الجنوب يرفرف عليها العلم الليبي، حاملة شحنة توجهت بها إلى ميناء نابولي. ورغم عدم علم البحارة، فإن هذه الرحلة كانت «البروفة» النهاية للعملية. وبعد اتمام الرحلة إلى نابولي تلقى بحارة «شيرزبرج - ١» أنباء تفيد بأن ياريسال باع السفينة، وأن ملاكها الجدد يريدون أن يضعوا عليها بحارة وقبطاناً آخر من التابعين لهم. وتم تنفيذ ذلك بمجرد وصول السفينة إلى روتردام يوم ١١ نوفمبر ١٩٦٨، حيث تلقى البحارة أجورهم وتركوها.

وفي ١٥ نوفمبر ١٩٦٨، غادرت السفينة «شيرزبرج - ١» روتردام في طريقها إلى انطويرت لشحن اليورانيوم. وكان الشيء الغريب ظهور «هيريرت شولزن» فجأة على ظهر السفينة، ودون سابق إعلان، مهتماً بكل شيء يتعلق بالشحنة. حتى أنه كان يقوم بالتميم على البراميل. والشيء الغريب أيضاً أن عدد البحارة كان محدوداً للغاية. فقد كانوا نصف العدد المعتمد.

وبعد دقائق من منتصف ليلة الأحد ١٧ نوفمبر ١٩٦٨ أبحرت «شيرزبرج - ١» وبداخلها /٢٠٠/ طن من أكسيد اليورانيوم المعبأ في براميل مكتوب عليها «بلمبات» وهو الاسم الرمزي الذي اختارته الموساد للعملية. وكانت الوجهة المعلنة للسفينة هي جنوى، لكنها لم تصل قط إلى هناك. وفي ٢ كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٨ ظهرت السفينة في ميناء الاسكندرية؛ وقال القبطان لسلطات الميناء أن السفينة فارغة، الأمر الذي لم يكن صحيحاً.

وبعدها أخذ القبطان ويحارته السفينة الى «بالرم» بصفلية واختفوا تماماً.

ومرة أخرى عاد ياريسال ووضع البحارة القدامى على السفينة. وكان هذا الإجراء محيّراً، مما أثار فضول البحارة لمعرفة المكان الذي ذهبت اليه السفينة خلال الشهر الذي غابوه عنها. وراجعوا السجلات ووجدوا الصفتين الأخيرتين متزوعتين.

وفي أواخر سنة ١٩٦٩ اجتمع المسؤولون من أعضاء السوق الأوروبية سرّاً لبحث الموضوع، وقرروا إغلاق ملف القضية والبقاء على سريتها. وكان لدى البعض الشك في أن إسرائيل هي المسؤولة عن العملية، وأن السفينة شيرزبرج - ١ قد اتجهت إلى مكان بالقرب من قبرص، وأن الشحنة نقلت في البحر إلى سفينة أخرى، وأن الوجهة النهائية لشحنة اليورانيوم هي «فاعل ديمونة» الذي يوجد في بيرشيا بصحراء النقب. وبواسطة هذا المفاعل يمكن تحويل اليورانيوم إلى البلوتونيوم الذي تصنع منه القنابل النووية.

ولكن الحكومة الاسرائيلية تفي مسؤوليتها عن الموضوع باستمرار منذ تسرّب هذه القصة. وفي تموز/يوليو ١٩٧٣، بعد خمس سنوات من حادث شيرزبرج، اعترف عميل إسرائيلي يدعى «دان أربيل» بدوره في هذه العملية بعد القاء القبض عليه مع خمسة إسرائيليين في الترويج، واتهامهم بالتجسس والاغتيال. وذلك بعد فشل محاولة اغتيال «أبو حسن سلامة» هناك، وقتل على أثرها عامل مغربي شبيه به.

وكشف هذا العميل عن أن السفينة شيرزبرج شاركت في عملية إسرائيلية أخرى بعد عام واحد من عملية اليورانيوم، حيث استخدمت في نقل الوقود لتمويل الزوارق الخمسة التي اختطفتها إسرائيل من ميناء فرنسي يوم عيد الميلاد عام ١٩٦٩، برغم الحظر الذي فرضته فرنسا على تصدير الأسلحة إليها. إضافة لذلك، وأثناء التحقيق مع العميل «دان أربيل»، اعترف للمحقق الترويجي قائلاً: «أنتي كنت أمتلك شيرزبرج - ١»، فتساءل المحقق: ثم ماذا؟ وكان ردّ «أربيل»: إنها قد حملت اليورانيوم إلى «إسرائيل».

وهكذا فشل المسؤولون في وكالة الرقابة الأوروبية «بيوراتوم» في ضبط صفقة «أسمرة كيمي» بسبب الانشقاق السياسي داخل السوق الأوروبية المشتركة، ويسبب رفض الحكومات الأوروبية الاعذان للضوابط التي وضعتها «بيوراتوم». كما أن الصفقة أجازها محامٍ لا يفهم في الأمور المتصلة بالطاقة النووية، عندما اكتفى بحديث غير رسمي جرى بينه وبين «ديبورن» نائب مدير الجمعية العامة للمعادن. ولا يستغرب أن يكون هذا المحامي «موسادياً»، بمعنى ارتباطه بالمخابرات الاسرائيلية وتمرير صفقاتها المشبوهة.

وأخيراً نستطيع القول، أن «اللصوصية» هي فنٌ قائم بذاته؛ والصهاينة أساتذة مهرة في هذا الفن. ومن يسرق ويغتصب وطننا بكماله اسمه: فلسطين، فلن يتورع عن سرقة شحنة من اليورانيوم، لاستخدامها لاحقاً في إبادة شعب فلسطين وأشقاء من العرب أجمعين، تمهدًا للقضاء على الجنس البشري بأكمله باستثناء «شعب الله /المختار» !!.

المراجع

- ١ - اللواء الركن خضر الدهراوي «اسرائيل والبيورانيوم وأسرار عملية بلمبات». مجلة «العربي» (الكونفدرالية). العدد ٣٣٦. تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٦. ص ١٨ - ٢٢.
- ٢ - الدكتور محمد خيري بنونة «السياسة النووية لاسرائيل». منشورات دار الشعب - القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٧٠. ص ١٩ - ٢٠ و ٧٦.
- ٣ - محمد عطوي «أسرار جديدة حول السياسة النووية لاسرائيل» جريدة «الشرق» (اللبنانية). الجمعة ١٤/١١/١٩٨٦. ص ٧.
- ٤ - مجلة «إلى الإمام» (الناطقة بلسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة). العدد ٩٦٤. الجمعة ٧/١٠/١٩٨٦. ص ٧ (نقلًا عن صحيفة «البرافدا» السوفياتية).

الخطبوط الصهيوني وأسرار عملية تغلغله في العراق

ليس من المستغرب، في أي عصر من العصور، أن يعمد التجار إلى عمليات تهريبية لكثير من البضائع والسلع، عبر أوسع الحدود والدول، بغية جني الأرباح الهائلة وتكدس الأموال. إلا أن ما يثير الاستغراب، أن يصبح الإنسان في القرن العشرين، خاصعاً لقوانين السلع المستوردة والمصدرة، بقصد ليس بعيداً عن بربرية القرون الوسطى وأهداف الغزو والقتل والتشريد، وصولاً لبناء دولة سلطانية في قلب الوطن العربي أطلق عليها اسم «إسرائيل».

وعندما كانت «المادة البشرية» هي أكبر العقبات أمام المشروع العنصري الاستعماري الاستيطاني الصهيوني، فقد كان ضرورياً، لدى المخططين، اتّهاج جميع السبل والأساليب لإغراق هذا الكيان - الوليد بمقومات وجوده واستمرارته وديمومته: فكانت عمليات تهريب اليهود من شتى أقطار العالم إلى أرض فلسطين العربية باعتبارها - صهيونياً - «أرض الميعاد لشعب الله المختار». وقد كانت عملية تهريب اليهود من العراق إلى إسرائيل من أكبر العمليات وأهمها في تاريخ هذه الدولة. كما كانت شبكاتها التجسسية فيها من أخطر الشبكات وأعظمها أثراً. كيف تمت هذه العملية؟ وما هي أسرارها؟

شكل الصهاينة، في الواقع، مجلساً شرفيًّا لإدارة عمليات الهجرة

اللاشرعية الى فلسطين، وخاصة من البلدان العربية. وكان في عداد من أرسلوا من «الموساد» كل من «دافيد ناميير» في سوريا ولبنان، و«اینزوسيزیني» وآخرون في العراق، و«بارجيلا» في ايران، و«روث كليجر» في مصر.

لقد كان التنظيم في العراق شاقاً، بوجه خاص (باعتراف جون دافيد كيمحي)... وكان من الضروري الاحتفاظ بالسرية التامة، وابقاء جميع النشاطات سرية بشكل دقيق. فالسلطات العراقية كانت لديها مصادر جيدة للمعلومات. وقد حاربت بشدة عمليات النقل السرية الى فلسطين. وكان نصيب الكثرين من اليهود العراقيين المتعاونين مع «الموساد» أحكام طويلة بالسجن وبعض أحكام الاعدام. ورغم ذلك بنيت منظمة صهيونية ناجحة تضم اليهود من جبال.. كردستان في الشمال نزواً الى البصرة على الخليج العربي، حيث كانت الشاحنات المزودة بغرف صالحة للاختفاء تنقل مجموعات من عشرة الى خمسة عشر شخصاً. وكان «اینزوسيزیني» أحد المنظمين الرئيسيين لهذه المنظمة الصهيونية السرية، وللهجرة اللاشرعية الى فلسطين من العراق. وبعد عامين من اجتياح الحلفاء لسوريا في يونيو ١٩٤١، والذي شاركت فيه وحدات من منظمة الهاغانا، واجه «اینزوسيزیني» الموت على أيدي الالمان، بعد أن نزل بالمظلة بمساعدة بريطانية خلف الخطوط النازية بهدف اقامة تنظيم يهودي سري مماثل في ايطاليا.

كان موته خسارة كبرى للموساد. واحتلت مكانه زوجته «أدا» الجميلة، التي أصبحت احدى العميات القياديات للموساد في ايطاليا بعد الحرب. غير أنه من العراق نفذت بنجاح أول عملية نقل جوية «لللاشرعية» على متن طائرة «داكوتا» كانت تهبط في مطار حيفا.

وتطورت عملية «الهجرة - التهجير» بعد قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ ، حيث تولى دافيد بن غوريون شخصياً هذه العملية، وأرسل الكثير من عملاته لزرع المتفجرات في الأحياء اليهودية لدفعهم الى الهجرة، ونجح في ذلك.

وقد لعبت ايران دوراً أساسياً في الموضوع بعد أن تحولت «عبادان» و«المحمرة» الى مركزين رئيسيين لانطلاق جواسيس اسرائيل عبر مياه الخليج العربي الى البصرة فالمدن العراقية الأخرى، الى جانب اقامة مراكز التدريب التجسيسي فيما لتدريب العمالة على أعمال التجسس والتفجير والتخرير وتسميم المياه وتدمير المراكز الحساسة وإشعال الحرائق المفتعلة، وإقنان التزييف، الى آخر ما هناك من أعمال تؤدي الى الخدمات الفعالة لصالح المخابرات الاسرائيلية - الايرانية المشتركة ضد العروبة بتوجيهه من ستة عشر ضابطاً اسرائيلياً كانوا يقيمون في مناطق ايرانية مجاورة للأراضي العراقية.

ففي شهر نوفمبر ١٩٦٦، أوقفت المخابرات العراقية المدعو «فجر عبدالله» - ايراني الجنسية - ولدى تحرّيه وجدت معه رسالة تضمنت معلومات هامة عن القوات البحرية العراقية، مقرّونة بوثائق أخرى ثبت تعامله مع جهة أجنبية في مجال التجسس على الجيش والقوات المسلحة العراقية. وتطور التحقيق وتشعب فأدى الى اكتشاف شبكة تجسس رهيبة تعمل لحساب اسرائيل في الأراضي العراقية، وكشف المتهم الأول فيها «يعقوب يوسف جاسم» المتزوج من ايرانية، ويتعاطى التهريب عبر الحدود، كشف النقاب عن أساليب المخابرات الايرانية - الاسرائيلية في المنطقة، كما حدد طريقة تجنيدها الأفراد باعترافه التالي : «أنه تعرّف خلال اجتيازه منطقة قرية من الحدود الايرانية - العراقية على شخص يدعى «عبد نابلون» الذي سيطر عليه بعد ما أدرك مكامن الضعف في نفسه، وجعل منه عميلاً للمخابرات الاسرائيلية. ومن ثم قدمه الى مدير المخابرات الايرانية الذي يحمل اسم رمزاً «أبو منصور» والذي حدثه باللغة الفارسية وأفهمه أن ارتباطه سيكون مع رجل آخر في المخابرات...».

ويصف يعقوب ما حصل له فيما بعد بقوله: «أخذني عبد نابلون الى بناء في احدى الشوارع الرئيسية ويرقم (١٥)، ودخلنا غرفة رقمها (٦) حيث التقى برجل أطلق عليه نابلون اسم «أبو صادق». فيما بعد علمت أنه هو المسؤول عن ادارة شبكات التجسس في المنطقة. وخلال حديثه لمعي طلب

مني تزويده بمعلومات عن الأسلحة التي تقرر ارسالها الى عمان فيالأردن وعما يحتويه المخزن رقم (٣) من أسلحة، فوعده خيراً، ثم افترقنا لا بدأ مهمتي». ويضيف يعقوب قائلاً: «لقاء كل ما قمت به من نشاط تلقيت مبالغ من المال الى جانب تعيني في وظيفة وهمية بإحدى الشركات التي يملكها بعض أفراد اليهود في طهران». وجاء في اعترافاته أيضاً ما يلي: «وكان المتهم عزاوى الجبوري قد وصل ايران ومعه ورقة خط فيها رسالة رمزية باللغة الفارسية (خرمشهر جنابانه بهلوى شهر يافى)، وتعنى هذه الجملة أن عزاوى هذا قد التحق بالشبكة... ومهمته كانت الحصول على معلومات تتعلق بالطائرات الروسية وشبكة الرادار». ويضيف يعقوب قوله: «وقد علمت أن هناك ستة عشر ضابطاً اسرائيلياً تابعون للمخابرات الصهيونية وموزعون على الشكل التالي: اثنان في عبادان، واثنان في كرمنشاه واثنان في شيراز وعشرة في طهران».

هذا وقد اعترف عزاوى الجبوري، الذي جند عن طريق شخص يحمل اسماً رمزاً (فهد) اعترافاً كاملاً عن طبيعة مهمته في الحصول على معلومات عسكرية عن الجيش العراقي وتسلیحه ونوعية السلاح الروسي الموجود لديه. وقبل أحداث ١٩٦٧، كشفت السلطات العراقية النقاب عن عملية تجسس لحساب «اسرائيل» وفضحت شبكتها التي كان يديرها الصهيوني «فيكتور عزرا مناحيم» عن طريق ايران، حيث كان يقيم شقيقه في طهران باعتباره صلة الوصل بينه وبين المخابرات الاسرائيلية.

ولم يكن فيكتور لوحده، وإنما كان يساعدته في مهام عمله عدد من الاشخاص أغراهم بالمال الذي كانت تغدقه عليه المخابرات الاسرائيلية بسخاء. وأبرز هؤلاء «شيخان» حيث كانت مهمته تقديم المعلومات عن السلاح البحري، وأآخر هو «فجر» الايراني الجنسية ومهمته التسلل عبر الحدود لإيصال التقارير وتسلم التعليمات الخاصة بالشبكة.

أمام كل ذلك، لم تكن المخابرات العراقية بغافلة أيضاً عن خيوط

أخطر وأكبر شبكة تجسس إسرائيلية عرفها الشرق الأوسط... نشطت في منطقة الخليج العربي وامتدت فروعها من بغداد إلى السودان مروراً بليban والكويت وسوريا ومصر...

افتضح أمر هذه الشبكة في بداية عام ١٩٦٨ ، وتبين أن المخابرات الإسرائيلية أوجدتها خليطاً من إيرانيين وعراقيين وإسرائيليين ومن جنسيات مختلفة. سلطت أصوات المراقبة على تحركاتها. وما إن حل شهر أيلول / سبتمبر ١٩٦٨ حتى كانت كافة عناصرها في قفص الاتهام.

وذلك التحقيقات المقرونة باعترافات المقبوض عليهم، وعددهم (٣٦) جاسوساً، أن معظم أفراد الشبكة هم من اليهود الذين يحملون الجنسية العراقية، وأنها كانت تسعى للحصول على معلومات من النواحي التالية:

١ - معلومات عسكرية عن الجيش العراقي وتنظيماته وتشكيلاته

الوريث.

٢ - تحديد نوعية صفات الأسلحة الجديدة التي تسلمها الجيش العراقي ويشمل ذلك:

المصدر - وعيار الأسلحة وأنواعها وكمية الذخيرة الواردة معها - ومدى تجاوب العناصر العسكرية لأوامر قيادتها - ومعنى وسائل العسكريين من ناحيتي الدفاع والهجوم.

وجاء يوم ١٥ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٦٨، فنشرت السلطات العراقية المختصة أسماء الـ (٣٦) متهمًا أعضاء هذه الشبكة التجسسية العاملة لحساب المخابرات الإسرائيلية، من بينهم ستة عشر عنصراً من اليهود وهم:

حزقيل صالح حزقيل - هارون سلمان هارون - حزقيل زلخا - عزرا ناجي عزرا - فؤاد كباي - سعيد حزكي - جورج موشى حاييك - شاؤول ساسون - البير حاخام - صباح حاييم - يوسف زلخا - صبيح حكيم - زكي اندر روبيتو - داود حزقيل - داود غال - ونعميم خضوري هلالي ...

وتشعب التحقيق فيما بعد مع عناصر هذه الشبكة فذكر المتهم «صادق جعفر الحاوي» بأن مجموعته كان يرأسها اليهودي «يوسف زلخا» المقيم بالبصرة... وكان صادق وزملاؤه يقومون بجمع المعلومات عن الأسلحة العراقية ويعثون بها إلى البصرة حيث كانت تنقل إلى إسرائيل بواسطة بحارة يعملون على ظهر باخر تسير ما بين البصرة وعبادان... .

وأضاف «صادق» في اعترافاته بأن لدى أعضاء الشبكة جهازاً لاسلكياً أخفوه في «كنيسة السبتيين» بالبصرة... بالوقت نفسه أوضح دوره الفعال المكلف به من قبل القائمين على توجيه الشبكة، بأنه مولج باستقصاء المعلومات عن التواهي العسكرية التالية في منطقة البصرة وتشمل: - مراكز التدريب - أسلحة الدبابات والمدرعات - القاعدة الجوية (ذكر عدد الطائرات وأنواعها وتسلیحها) - القاعدة البحرية (تحديد نوعية القطع البحرية ومدى استيعاب الحوض البحري وبيان عن تسلیح كل قطعة) - تحديد الحالة النفسية للقوات العراقية التي تتوجه إلى الضفة الشرقية في الأردن.

وذكر أيضاً: ان عناصر النسف والتخريب التي كانت تعمل تحت امرة الشبكة كانت تتلقى تدريبيها على أيدي أخصائيين إسرائيليين في مدينة عبادان بإيران. واختتم اعترافاته مؤكداً بأنه قام شخصياً بنقل عدة رسائل إلى عبادان لصعوبة ارسالها عن طريق جهاز اللاسلكي الذي كانت تملكه الشبكة.

كما واعترف المتهم «عبد الهادي البخاري» أنه «كان يتسلم الرسائل التي تصله من الجاسوس اليهودي زلخا وسلمها إلى الناجر عبد الحميد الدامرجي المقيم في بغداد، والذي كان على اتصال مباشر بـ «شاؤول ساسون» و«أبي حاتم» وسواهما من عناصر الشبكة».

اما المتهم «صباح حايم» الصهيوني، فقد اعترف بأنه استدعي من قبل المتهم الرئيسي ناجي زلخا ليتبع دورة تدريبية في عبادان، وبعد أن أمض هناك ثلاثة أسابيع درب خلالها على أعمال النسف والتفجير والتخريب، عاد إلى العراق بطريقة غير مشروعة.

واعترف المتهم «فؤاد كباي» الصهيوني أيضاً أنه «اتصل - بالاتفاق مع المتهم زلخا - بالمتهم البير حبيب توماس الذي وافق على نقل رسائل الشبكة خارج العراق عن طريق أخيه الذي يعمل على ظهر احدى البوانخر» . . .

واستناداً لاعترافات بقية المتهمين ثبتت ادانة هؤلاء العاملين لحساب المخابرات الصهيونية، كما دانتهم المستمسكات . . . فقالت العدالة كلمتها، وأصدرت المحكمة حكمها بالإعدام على كل من: عزرا ناجي زلخا (رئيس الشبكة) - البير حبيب توماس - عبد المحسن جار الله - زكي اند روبيتو - يعقوب برجي تامردي - داوود حزقيل - داوود غالى - حزقيل صالح حزقيل - صباح حايم - نعيم خضوري - كارلوس رفائيل هاوش - تيودور رفائيل هاوش - عبد المحسن محمد الحاج - فؤاد كباي - داوود باروخ دلال - تشارلز اندروس - محمد علي حاجي - وجعفر صادق الحاوي. أما الذين نفذ حكم الاعدام فيهم شنقاً حتى الموت، فكان من بينهم تسعة من اليهود العراقيين هم: عزرا ناجي زلخا - فؤاد كباي - يعقوب برجي تامردي - داوود باروخ دلال - حزقيل صالح حزقيل - صباح حايم - نعيم خضوري هلالي - تشارلز اندروس - ورفائيل حوريش.

أما بالنسبة للمتهم «جعفر صادق الحاوي»، فنظرأً لوجود أسباب مخففة تقديرية، قررت المحكمة تخفيض عقوبة الاعدام الى الاشغال الشاقة المؤبدة على اعتبار أن المتهم ساهم مساهمة فعالة في الكشف عن شبكة التجسس وسهل مهمة التحقيق.

كما حكم على المتهمين: نزار باقر السرج، وعبد الرزاق الحسين الجراح بالسجن ثلاث سنوات . . . كما وعلى المتهمين: هارون سلمان هارون - وسعيد زكي بالسجن ستة أشهر، بينما قررت المحكمة الافراج عن المتهم حزقيل زلخا لعدم توفر الأدلة رغم أنه شقيق المتهم الرئيسي.

هذا ولم يقف الأمر عند هذا الحد. ففي الناسع عشر من شباط / فبراير 1979، أصدرت محكمة الثورة في بغداد حكمها بإعدام شبكة جاسوسية

صهيونية قوامها العناصر الشامية التالية أسماؤهم : عبدالله داود سليمان - عبدالله جاسم الجبوري - عباس جلود (جندي) - قاسم قاطع اللامي - رعد طه أحمد الجناوي (طالب) . محمد غفور (جندي) - محمد اسماعيل (رئيس غرفة في الجيش) وعماد حنوش (طالب) .

ويعد هذا التاريخ بعده لا تتجاوز أسبوعاً ثلاثة ، افتضح أمر شبكة جاسوسية لحساب «اسرائيل» ، مؤلفة من أربعة عناصر (اثنان عراقيان واثنان ايرانيان) وضبط لدى أحد المتهمين جهاز ارسال لاسلكي كانت الشبكة تستخدمنه في إرسال المعلومات الى ايران ، حيث يتسللها العميل المركزي الاسرائيلي المقيم هناك .

وكانت الشبكة مولجة بجمع المعلومات عن الأوضاع الاقتصادية في العراق وإرسالها عن طريق جهاز لاسلكي الى ايران .

وقد اعترف أحد المتهمين ، والمدعى «عبد العامر الشرقاوي» بأن هذه الشبكة كانت تعمل فعلاً لحساب المخابرات الاسرائيلية ولها فروع في ايران وتركيا .

وبتاريخ ٢/١٩٦٩ أصدرت محكمة الثورة في بغداد حكمها بإعدام المتهمين الأربع شنقاً حتى الموت . وفيما بعد نفذ الحكم .

وتاتمت السلطات العراقية تصفية أوكرار التجسس العاملة لحساب الصهاينة ومخابراتهم ، فكشفت النقاب عن وجود شبكتين ، تتألف الأولى منها من :

- جواد عبد المجيد الحداد (ملازم أول في الجيش العراقي المرابط في الأردن) .

- مجید أحمد العلوان (رئيس عرفاء في الجيش) .

- طالب عبدالله الصالح وأخوه علي (وهما مدنيان من أهالي البصرة) .

وكذلك كان حكم الاعدام جزاء لهم ، حيث نفذ فيهم الحكم في أواخر

ابريل ١٩٦٩ . أما الشبكة الثانية ، فكانت تتالف من عنصرين مدنيين وهم من منطقة البصرة أيضاً :

- عبد العجليل مهاوي - وعبد الرزاق ذهب .

وأثناء محاكمتهم أدلياً بمعلومات مفصلة عن دور كل منها بالتجسس على الجيش العراقي لحساب المخابرات الاسرائيلية عن طريق الاتصال بالمركز التجسي الاسرائيلي في المحمراة بإيران ، فصدر قرار الحكم بإعدامهما ، حيث نفذ في مطلع شهر أيار / مايو لعام ١٩٦٩ .

يدو من خلال ذلك ، أن دولة الاحتلال الصهيوني ، التي زرعت زرعاً في وطننا العربي ، لن تذر جهداً في التغلغل إلى كل أعضاء الجسم العربي كما يتغلغل داء السرطان . وهي تدرك تماماً أن ما يصيب أي عضو في هذا الجسم سينعكس حتماً على الأعضاء الأخرى ويؤثر فيها وعليها . . بينما نرى في المقابل أن هذا المرض الخبيث آخذ في التغلغل والتوصع مقابل التشرذم والتمزق والشلل بين أعضاء الجسم الواحد بعيداً عن الوحدة والتوحد في مقاومته . . . وسيقى الخطير مستشارياً ما دام الشلل والتفرد سيد الموقف .

المراجع

- ١ - جون ودافيد كيمشي «الدروب السرية» ترجمة «فلسطين المحتلة» مطابع الكرمل. بيروت ١٩٨١ . ص ٥٧ - ٦١.
- ٢ - فتحي كركوتلي في مجلة «الدستور» اللندنية. العدد (لندن ٣٥٦). الاثنين ٧ كانون الثاني / يناير ١٩٨٥ . ص ٢٦ - ٢٨ .
- ٣ - نزار عمار «الاستخبارات الاسرائيلية» ص ٣٧ - ٤٢ .
- ٤ - غادة المقدم علدة «هجرة الطائفة اليهودية من العراق». مجلة «تاريخ العرب والعالم». العدد ٥٤ . ابريل ١٩٨٣ . ص ٦٦ .

غسان كنفاني: من العذاب إلى الخلود

ليس المهم أن نستشهد بل المهم أن نصنع باستشهادنا اسطورة الحياة لأجيال لاحقة بنا، لاقتطاف ثمرة الاستشهاد وتحويلها لصالح الشعب والوطن والقضية.

فالشهادة ليست طريق الفناء وال نهاية ، بل هي طريق البقاء والاستمرار والخلود.

وفق هذا المبدأ عمل المناضل العربي الفلسطيني والكاتب المبدع: غسان كنفاني . وعلى أساس هذا المبدأ أيضاً، استشهد غسان كنفاني في الثامن من شهر يوليو ١٩٧٢ ، على أرض بيروت التي أصبحت قطعة من لحمه ودمه ، وبالتحديد على أرض منطقة الحازمية في صباح يوم حار ، على صعيد الطقس والوضع السياسي .

فمن هو غسان كنفاني؟ وكيف كانت عملية اغتياله؟ .

طرق الأديب حليم بركات الى ذلك قائلاً: غسان حلم جميل في ليل عربي حار. يمر الزمان ويظل يتوجه ، يفعل في النفوس ، يوحى ، يشع ، يضيء الزوايا المظلمة في الحياة العربية. يتحول الليل الى صباح ، فهو بداية دائمة. غسان ظاهرة نادرة. يجمع بين طاقات متعددة ، تتلاحم وتعمل بانسجام في خدمة قضية هي من أعدل القضايا وأنبلها ، إنها قضية تحرير الانسان؛ وتحريره في فلسطين ، هو تحرير الانسان في كل مكان وكل زمان.

أقبل غسان بكل طاقاته ودفعه واحدة وبأسلوب هادر، فكان وما يزال كالنبع والبرق والرعد والمطر فوق صحراء حياتنا... الرمل يتحول إلى تراب، والتراب يكتسي بالعشب والزهر... تطور غسان منذ طفولته في القضية الفلسطينية، ونضج بفعل نيرانها، كل كلمة كتبها كانت بوحها ومن أجلها. وكما الشروق يعني بداية الفروب، كذلك الغروب يعني بداية الشروق. ولأنه صنع استشهاده، سيظل غسان طاقة هائلة تحرك الوجود العربي. سيظل يوحي ويشع ويفجر ينابيع الخلق في حياتنا. وسر عظمته أنه رفض الخضوع واختار الموت طريقاً إلى الشمس.

ولد غسان كنفاني في مدينة عكا بفلسطين عام ١٩٣٦، في تلك السنة العربية التي شهدت أطول اضراب عربي في التاريخ ضد المستعمر البريطاني وخلفائه الصهاينة. ولد من عائلة متوسطة، وانتقل مع أبويه إلى يافا، حيث تلقى دراسته الابتدائية في مدرسة تابعة لإرسالية فرنسية، وقبل أن يكمل عامه الثاني عشر، قامت العصابات الصهيونية بمهاجمة المدن الفلسطينية وارتكتب فيها المذابح التي تشعر لها الأبدان، والتي تؤكد أن العنصرية والاجرام يسري مع الدم في عروقبني صهيون وخلفائه الكبار والصغار. فاضطر غسان إلى التزوج مع عائلته المكونة من أبويه وجده وسبعة أشقاء إلى جنوب لبنان، حيث أقاموا هناك فترة قصيرة من الزمن قبل أن تنتقل العائلة إلى دمشق.

في بداية الخمسينات التحق غسان كنفاني بحركة «القومين العرب» المناهضة للإستعمار والاحتلال. وفي عام ١٩٥٣ كتب قصته الأولى وكان اسمها «أنقذتني الصدفة» وأرسلها إلى برنامج أسبوعي كانت تبثه إذاعة دمشق تحت اسم «ركن الطلبة». وبالفعل أذيعت القصة مساء ٢٤ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٣.

ثم نشر قصته الثانية في جريدة «الرأي» عام ١٩٥٣ بعنوان «شمس جديدة» التي تدور أحداثها حول طفل صغير من غزة. وفي العام ١٩٥٦ سافر

غسان الى الكويت ليعمل مدرساً للرسم والرياضة في مدارسها الرسمية. وكان في هذه الأثناء يعمل في الصحافة، كما بدأ انتاجه الأدبي في الفترة نفسها بالنصوص. وهناك ومن خلال مشاهدته للصحراء، ولابناء شعبه، وللعلاقات السائدة، يختزن في ذهنه مئات الصور والفواجع الإنسانية، ليستفيد منها بعد سنوات في روايته الشهيرة «رجال في الشمس» التي كتبها عام ١٩٦٣.

انتقل كنفاني الى بيروت عام ١٩٦٠، حيث عمل محرراً أدبياً لجريدة «الحرية» الأسبوعية، ثم أصبح عام ١٩٦٣ رئيساً لتحرير جريدة «المحرر». كما عمل في جريدة «الأنوار» تحت اسم «فارس فارس»، وكذلك في مجلة «الحوادث» حتى عام ١٩٦٩، والتي نشر فيها رواية شهيرة بعنوان «من قتل ليلى الحاييك؟» و«عائد الى حيفا». ثم أسس مجلة «الهدف» الأسبوعية الناطقة بلسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وبقي رئيساً لتحريرها حتى استشهاده.

يمثل غسان كنفاني نموذجاً خاصاً للكاتب السياسي والروائي والقاص والناقد. فكان مبدعاً في كتاباته كما كان مبدعاً في حياته ونضاله واستشهاده. وقد نال سنة ١٩٦٦ جائزة «أصدقاء الكتاب في لبنان» لأفضل رواية عن روايته «ما تبقى لكم». كما نال جائزة منظمة الصحفيين العالمية عام ١٩٧٤، ونال جائزة «اللوتس» التي يمنحها اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا عام ١٩٧٥.

وفي صباح الثامن من يوليو ١٩٧٢، وبعد دقائق معدودة على خروج غسان كنفاني من منزله في الحازمية كعادته الى مركز عمله في مجلة «الهدف» وبرفقة «لouis حسين نجم» (ابنة أخيه)، دوى انفجار كبير اهتزت له منطقة الحازمية، وسمع في مختلف أنحاء بيروت العاصمة. وتطاير على أثره غسان كنفاني كما تطاير الشظايا في الفضاء.

استشهد غسان على أيدي عملاء «اسرائيل» عندما زرعوا عبوة ناسفة في سيارته الخاصة من نوع «اوبل»، وهي عبارة عن قنبلة بلاستيكية ومعها خمسة كيلو غرامات من الديناميت انفجرت بدورها لتفجر السيارة ومن فيها.

وفي هذا الاطار تقول زوجته ورفيقه نضاله السيدة «آني»: بعد دقائق من مغادرة غسان ولميس، سمعنا انفجاراً رهيباً وتحطم كل نوافذ البيت... نزلت السلم راكضة لكي أجد البقايا المحترقة لسيارته... وجدنا لميس على بعد بضعة أمتار... ولم نجد غسان... ناديت عليه... وثم اكتشفت ساقه اليسرى. وقفت بلا حراك، في حين أخذ فائز - ابنه - يدق رأسه... بالحائط، وليلي - ابنتنا - تصرخ: بابا... بابا... لقد قتلوك...

والجدير ذكره هنا، أن المحققين وجدوا الى جانب السيارة المنسوبة ورقة تقول: «مع تحيات سفارة اسرائيل - كوبنهاغن». هذه الورقة لها معناها المحدد. وهي تكشف عن جانب هام من جوانب نضاله السياسي... فماذا تعني هذه الرسالة الغامضة؟

من المعروف أن غسان كتفاني كان متزوجاً من فتاة دانماركية اسمها «آني». هذه الفتاة كان لها دور كبير في حياة غسان ونضاله السياسي ونشاطه الشوري. وقد اعتمد عليها غسان في توثيق صلاته بكثير من الأوساط الأوروبيّة... بل واعتمد على مساعدتها له في الحصول على كثير من الوثائق المتصلة بواقع العرب في الأرض المحتلة، هؤلاء الذين كانوا يبلغون أكثر من نصف مليون عربي داخل فلسطين المحتلة قبل عام ١٩٦٧، والذين أصبحوا أكثر من مليون ونصف مليون مواطن بعد أن وقعت الضفة الغربية لنهر الأردن تحت سيطرة الاحتلال الصهيوني. لذلك فإن هذه الورقة التي عشر عليها المحققون بمكان الانفجار تعني اشارة واضحة للدور الذي لعبه غسان من خلال هذه الزوجة المثقفة الوفية لزوجها، ولشعب فلسطين العربي. وتتجدر الاشارة الى أن غسان التقى مع «آني» لأول مرة وهي تقوم بزيارة لبعض الدول العربية لاعداد دراسة عن «اللاجئين الفلسطينيين». وقد تعرفت على غسان باعتباره كاتباً فلسطينياً يمكن أن يساعدها في إعداد البحث وتقصي الحقائق... وانتهت هذه المعرفة الى الزواج...

لقد أبدت الصحف الصهيونية، في الواقع، اهتماماً كبيراً باشتشهاد

غسان كنفاني في اليوم الأول لصدورها بعد الاغتيال. وركز «زيف شيف» في مقال كتبه في جريدة هارتس بتاريخ ١٩٧٢/٧/٩، على علاقة غسان كنفاني بجماعة اليابانيين، أعضاء الجيش الأحمر اللبناني، الذين قاموا بعملية مطار اللد، وهم: «اوكانوتو» و«اوكانديرا» و«ياسودا»، حيث استشهد الأخيران ولم يبق سوى اوكانوتو الذي اعتقل وعذب حتى قارب الموت، ولم يطلق سراحه الا منذ فترة قصيرة على اثر عملية تبادل للأسرى، وجاء الى منطقة البقاع اللبناني. وأضاف «زيف شيف» قائلاً: بحسب جميع الدلائل كان ل肯فاني علاقة مباشرة بعملية تخفيط المذبحنة في مطار اللد... وأن المسلمين سيفهمون موت كنفاني على أنه انتقام لمجزرة اللد». ووصف «زيف شيف» كنفاني بأنه «الرجل الثالث في المنظمة بعد جورج حبش والدكتور وديع حداد» وأضاف: « بينما كانت هناك حرامة مشددة على حبش وحداد، كان كنفاني مكشوفاً أكثر بسبب مهمته كناطق باسم الجبهة، وكرئيس تحرير لمجلتها «الهدف». ويعتبر مراقبون عسكريون وخبراء بشؤون الفلسطينيين مقتل كنفاني أنه ضربة قاسية». وقد أوفدت جريدة هارتس مراسلها «يهودا آرثيل» الى عكا، ونشرت معلومات عن غسان وعن عائلته قبل التزوح.

كما كتبت «دافار» بنفس التاريخ مقالاً أظهرت فيه تشفيأً بقتل غسان كنفاني وقالت: «إن موت كنفاني هو ثمرة نشاطه في حياته. إن التحرير على الإرهاب وتبريره هو جزء لا يتجزأ من تدبيره وتنفيذـه. ولجميع الذين يمارسونه المصير نفسه. إن أولئك الذين يساعدون الإرهاب، نهايتهم دفع الثمن بالعملة نفسها التي جعلوها هم أنفسهم متداولة... إن هذا الأمر لا ينطبق فقط على المسلمين من القاعدة الذين يفقدون حياتهم، وإنما على الذين يرسلونهم أيضاً، والذين يظهرون بمظهر السياسيين والكتاب».

وكانت معاريف (٦/٧٢) قد نشرت بعد العملية الفدائية في مطار اللد مقالاً عن علاقة الجبهة الشعبية بالجيش الأحمر اللبناني. ونشرت مع المقال صورة ظهر فيها غسان وكتب تحتها: «ثوري ياباني» انضم الى الجبهة في لبنان بصحبة غسان كنفاني من زعماء «المخربين». والحقيقة، أنه اذا

عدنا الى ما كتبه غسان فاننا ندرك بعمق أنه كان على مستوى الخطورة. ولو لم يكن كذلك لما اغتيل. كان شعاره «الحقيقة كل الحقيقة للجماهير». لم يخف على رأسه مرة واحدة، كما فعل الكثيرون في أيامه. ولو خاف على رأسه مرة لما اغتيل. أليس هو القائل: «نحن الجيل الذي يمهّد لجيل الثورة؟» نعم... إنه مع الشهداء، يمثلون جسر العبور من المنفى الى فلسطين. انهم جسر الحرية الذي جبل بدم الكرامة والتضحية والشرف والفاء.

والثورة وقودها رجال «رجال لا حطب...» ومرحى بأمثال هؤلاء الرجال الذين يعرفون كيف يزقّون حب القضية الى أبنائهما وأصحابها أولاً وقبل كل شيء، لكي تدخل بعدها كل بيوت الدنيا من الباب الواسع ولكن... «الأشخاص يزولون، والقيادات تتغير... وتبقى القضية أكبر من القيادات والأشخاص».

المراجع

- ١ - مجلة «الهدف» (الناطقة بلسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين). بيروت العدد ١٦٥ . تاريخ ١٩ آب/أغسطس ١٩٧٢ .
- ٢ - مجلة «الأداب» (اللبنانية) بيروت. آب/أغسطس ١٩٧٢ (مقال بقلم رجاء النقاش).
- ٣ - هاني الخير «يحدثونك عن أنفسهم» الجزء الثالث. دمشق.
- ٤ - العدد الرابع عشر من نشرة منظمة التحرير الفلسطينية.
- ٥ - الصحف الصهيونية: هارتس /دافار/. معاريف بتاريخ ٧٢/٦/٩ . ١٩٧٢/٧/٩ .

الاخبطوط الصهيوني وأسرار إقالة الدبلوماسي الزنجي اندر ويانغ من الأمم المتحدة

اليهود.. وراء كل جريمة، هذا ما صرخ به المؤرخ الشهير «وليم كار»، ونتيجة للقرار التاريخي الذي اتخذه «محرر العبيد» في أمريكا، الرئيس «ابراهام لنكولن» والقاضي بتحرير جميع الارقاء ابتداء من أول كانون الثاني / يناير ١٨٦٣ ، وموافقة الكونغرس الأميركي على التعديل الثالث عشر للدستور الأميركي الذي قضى بتحريم الرقيق في جميع أراضي الولايات المتحدة الأمريكية في ١٨ كانون الأول/ ديسمبر ١٨٦٥ . . . نتيجة لذلك، عمد الاخبطوط اليهودي في أمريكا الى اغتيال الرئيس لنكولن باعتباره عقبة أساسية أمام مشاريعهم وأهدافهم المناهضة للإنسان وحقوقه المنشورة.

واستناداً الى تغلغل النفوذ الصهيوني في المؤسسات الدولية، والوزارات الأمريكية ذاتها (الخارجية والبنتاجون)، فقد تربّع أحد كبار الصهاينة المدعو «تريجيفي لي» على العرش الاول لهيئة الأمم المتحدة كأمين عام لها، عام ١٩٤٨ ، ليساهم في مشروع تقسيم فلسطين العربية وتشريد شعبها الى خارج الحدود.

وما زالت مؤامرات الصهيونية ودسائصها مستمرة في الربع الأخير من القرن العشرين. وعندما كانت القيم الإنسانية والمثل العليا، لا وجود لها في تاريخ الصهيونية، وحتى في قاموسها، فليس من المستغرب أبداً أن يكون الرجل «الزنجي» الأميركي، الدبلوماسي الحاذق «اندر ويانغ» ضحية من

ضحايا الخبث الصهيوني والمكر الذي لا يجاريه مكر آخر في تاريخ البشرية. واستناداً إلى مقوله «شعب الله المختار» التي تنخرها العنصرية وسياسة التمييز العرقي، فقد كان من الطبيعي أن يشن «اللويي الصهيوني» الأميركي - مدعوماً من إسرائيل - هجوماً عنيفاً على الممثل الحقيقي للزوج بعد «مارتن لوثر كينغ»، والمدافع الأكبر عن «حقوق الإنسان» من فوق أكبر منبر دولي ممثل بالأمم المتحدة: ذلك هو «اندرو بانغ» مثل أمريكا في الأمم المتحدة في عهد رئيسها جيمي كارتر، صديقه الحميم.

فمن هو هذا الدبلوماسي «الأسود» الذي أخاف الصهيونية، ليس بلونه بل بتصریحاته وموافقه الجريئة المناهضة لسلب انسانية الإنسان وانتزاع حقوقه المشروعة، أينما كان؟ ولماذا اعتبر كابوساً خطيراً هدد مشاريع القيادة الصهيونيين في أمريكا وخارجها، وززع نظرياتهم وادعاءاتهم؟ لقد توقف الرجل الأسود... وما أكثر ما توقف في مسیرته الطويلة على مدى قرن أو يزيد من الزمان منذ أن حرر لنكولن «العبد»، من أجل تأكيد حقه في الحياة... توقف ليتساءل: «من هو العدو؟» بالأمس كان الرجل الأبيض هو عدوه. ولكنه اليوم، وبتحديد أدق «الصهيوني» الأبيض الذي يملك قوة التأثير والضغط على كل المؤسسات الحكومية والأهلية ابتداء من رجل الشارع حتى «البيت الأبيض» الأميركي.

وامتلاً الهواء برائحة الكراهة، وهي رائحة ليست غريبة. فقد كانت تملأ سماء أمريكا على اتساعها منذ أكثر من ربع قرن من الزمان أو أكثر قبل أن يخرج الرجل الأسود ويمشي تحت الشمس ليعبر في حرية عن أحزانه أبان حكم الرئيس القوي الجنرال «دوايت آيزنهاور»، ثم جون كينيدي من بعده. وقال السود «(الذين يبلغ عددهم في أمريكا ٢٢ مليون نسمة)»: هذه هي مشاعر اليهود تجاهنا اذن... وانهالت المكالمات الهاتفية على زعماء الصهيونية في أمريكا: «أنتم تخدمون مصالح إسرائيل في أمريكا. أنتم تضعون مصلحة هذه الدولة الأجنبية فوق مصلحة أمريكا وقبلها».

وامتلأت السماء بغيوم، لا أحد يعرف متى وكيف تنقشع. هكذا بدت الصورة في الولايات المتحدة الأميركيّة، في أعقاب الفضحة التي أثارتها «إقالة» اندرؤ يانغ سفير أمريكا في الأمم المتحدة.

ويبقى السؤال المحيّر هنا: كيف حدث ما حدث؟ والكل يعرف طبيعة العلاقة القوية التي تربط بين الرئيس الأميركي جيمي كارتر... وبين الرجل الذي اختاره هو ليتمثل بلاده في المنظمة الدوليّة. من الذي تخلى عن من؟ هل هو كارتر الذي بكرّ و هو يكتب الرسالة التي أعلن فيها قبول استقالة يانغ، صديقه الذي أحبه ووضع فيه كل ثقته؟ أم هو يانغ الأسرّ الذي قال مبرراً أسباب استقالته بأسلوب مهذب منمق: «لقد أشفقت على صديقي كارتر من العرج الذي سيجد نفسه فيه».

رأى يانغ في رئيس أمريكا الذي تحمس له، ووقف بجانبه مدة ثلاثة سنوات وهو يخوض المعركة الانتخابية العاتية، إنه رجل أمين نظيف متدين... ثم انطلق إلى الشارع يبشر بفضائل الرجل حتى أوصله إلى «البيت الأبيض». ورأى كارتر في يانغ الذي لازمه كظلّه أيام المعركة التي خاضها من عالمه المجهول في حقول «الفول السوداني» إلى الشارع الأميركي... رأيه أن يانغ «أعظم دبلوماسي عرفته في حياتي». فقد كان اندرؤ أو «أندي» كما يحلو لكارتر أن يناديه هو الذي أخذ على عاتقه مهمة الإجابة على الأسئلة التي كان كارتر يصطدم بها في كل مكان يذهب إليه ويُخاطب منه ضمير الأمة الأميركيّة: «من أنت يا مستر كارتر؟».

لماذا ذهب يانغ اذن؟ ما الذي حدث بين الصديقين؟ والجواب: «النفوذ الصهيوني الذي يحكم تصرفات أكبر وأغنى دولة في العالم». إذ ليس في السياسة عواطف دائمة، بل هناك مصالح دائمة.

ففي أوائل الستينيات، وفي أعقاب انتهاء حكم رئيس أمريكا القوى الجزال أيزنهاور، وجه بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل في ذلك الوقت نداء إلى يهود أمريكا يدعوهم فيه إلى اعلان ولائهم لإسرائيل أولاً، ولا بأس من

أن يدينوا بالولاء أيضاً لأمريكا، البلد الذي يعيشون فيه ويرتزقون، ولكن بعد اسرائيل.

وثار اليهود الأميركيون، وقالوا أنهم الأميركيون وليسوا إسرائيليين، ومات رئيس حكومة إسرائيل العجوز - بن غوريون - ولكن سرور ندائه بقيت تسير في عروق العديد من اليهود الذين يملكون قوة الضغط والتأثير. لقد كان السُّمْ هناك قبل هذه «الجرعة» المنشطة، ولكنها على أية حال نجحت في تحصينهم وزيادة مقاومتهم.. وقد كان هؤلاء هم الذين وقفوا بكل ثقلهم وراء الحملة المحمومة التي أدت في النهاية إلى طرد السفير الأميركي «اندرو يانغ» من منصبه الذي أمضى فيه ما يقرب من ثلاثة سنوات، قطع فيها الآلاف من الأميال، وتحدث في العشرات من الاجتماعات مع مثلي ١٤٧ دولة (هي عدد الدول الأعضاء في المنظمة الدولية)، وأدلى بمئات التصريحات بهدف الوصول إلى تقديم صورة أفضل لبلاده أمام عيون العالم الخارجي.

ونجح يانغ باعتراف بلاده ورئيسها... حتى أن مندوب أحدى الدول الآسيوية لم يجد حرجاً في أن يقول للسفير الأميركي «يانغ»: «لا أدرى لماذا أشعر كلما لقيتك بأنك تنتمي إلينا... أو ربما كنا نحن ننتهي إليك... أنا نحس بأنك واحد منا».

ما الجريمة التي ارتكبها يانغ؟ ولماذا أقيل من الأمم المتحدة؟

أنه في شهر آب /أغسطس ١٩٧٩ ، التقى «اندرو يانغ» بمندوب فلسطين أو مراقبها في الأمم المتحدة، في بيته صديقه سفير دولة الكويت بمدينة نيويورك.. ولم يكن سفير أميركا هذا أول مسؤول أمريكي يتصل بزعماء حركة التحرير الفلسطينية أو من يمثلهم. فقد تمت اتصالات على مختلف المستويات كما ذكرت مجلة «تايم» الأمريكية، وحدّدت تواريخ هذه اللقاءات، بين الرسميين الأميركيين ومنظمة التحرير في بيروت.. ودمشق.. وفيينا وأمريكا نفسها، ثم في بيروت مرة أخرى.. فلماذا كانت هذه الضجة اذن حول اجتماع «اندرو يانغ» بالمسؤول الفلسطيني؟

في الواقع أن تصريحاته في مناسبات ماضية لم تعجب اسرائيل حيث قال مثلاً: «ان مندوبي منظمة التحرير الفلسطينية في الأمم المتحدة شخصيات لطيفة هادئة». كما وصف «النصف الاسرائيلي لجنوب لبنان بالنصف الامريكي لفيتنام».. لقد كان «يانغ» واضحاً وصريحاً منذ اللحظة الأولى التي بدأ يمارس فيها نشاطه السياسي في الأمم المتحدة بحكم منصبه الجديد.

فقد قال للصحفيين الذين التفوا حوله في مقر المنظمة الدولية: « شيء واحد أستطيع أن أؤكده لكم، وهو أنني لن أكون أبداً الرجل الأسود في «البيت الأبيض»، أو «زنجي البيت الأبيض». والمعنى الذي ذهب إليه «يانغ» مفهوم تماماً. فهو يريد أن يقول أنه لن يكون أداة لأحد وأنه لن يدللي برأي ولن يتخذ موقفاً.. أي موقف لا عن قناعة وبدون خضوع لأي «ضغط أبيض».

فقد عاش يانغ آلام الزنوج وأحزانهم في طفولته وشبابه.. وكان هناك على مقربة من الزعيم الزنجي الراحل «مارتن لوثر كينغ» بطل المقاومة العنصرية، الذي قتل في شهر ابريل من عام ١٩٦٨ فقتلوا معه ضمير أمة... يومها وقف يانغ يقول أمام الجثمان المسجّي أمامه: «سيقى لوثر كينغ ملكاً ومالكاً لقلوب الملايين من محبي السلام والحرية».

وحمل «اندرو يانغ» آلام زنوج أمريكا بعد رحيل «لوثر كينغ». فهو الذي مضى يكمل الرسالة التي بدأها استاذه ومعلمه. من هنا كان وقع سقوطه قوياً بين السود في أمريكا (وعددهم ٢٢ مليوناً) والسود وغير السود في الخارج، وفي أفريقيا بصفة خاصة.

وخلال محاولاته الأخيرة لتهيئة الفوس الثائرة في روسييا وجنوب أفريقيا قال يانغ: «لقد اخترع الانكليز العنصرية»، وقرأ «الجذور» ورأى هذا الوجه القبيح لهؤلاء الذين أسروا الرجل الأسود وباعوه وسخروه في بناء «امبراطوريتهم» الجديدة في هذا العالم الجديد البعيد. فلما انتهت مهمتهم

جلسوا يحتفلون بذبحه.

وقد أثرت أمريكا معه قصة الرجل الأسود الذي بنى بدمه وعرقه هذه الدولة الكبرى... وكانت من أكثر الكتب رواجاً وتوزيعاً في العالم خلال العامين الأخيرين وأكثرها تأثيراً على المُساهدين الذين تابعوا حلقاتها المصورة على شاشة التلفزيون. كان والد «يانغ» طبيب الأسنان المعروف في مدينة «اتلانتا» يرى آثار الكراهية على وجوه أبناء الحي الذي يعيشون فيه من السكان السود... وكانت نقطه دماء... البيض يتبعونهم، ورجال الشرطة يطاردونهم... وأشفع الأب على ابنه وقرر أن يعاونه على مواجهة هذا البغي والعنوان، فعلمته الملاكمه على يد ملاكم محترف.. ولكن يانغ لا يذكر أنه استخدم قبضة يده مرة في حياته، فقد كان له دائمًا طريق آخر بعد تخرجه من الجامعة في عام ١٩٥١... لقد اختار أن يكون قسيساً... درس اللاهوت وحصل على الليسانس بعد سنوات أربع.

وفي هذه المدرسة الهدافه، تعلم «يانغ» الحوار المقنع، وتعلم اليمان بالله، ويحقوق الإنسان في كل مكان... وتعلم قبل وبعد هذا كله نبذ العنف. كان يدخل اجتماعاً - أي اجتماع - في ولاية جورجيا، حيث التقى بصديقه كارتر بعد ذلك بسنوات طويلة... وكانت التفرقة العنصرية بين السود والبيض أعنف ما تكون في تلك الفترة في منتصف الخمسينيات... فقد كان الرجل الأسود مواطناً من الدرجة الثانية في بلده، محروماً من ممارسة حقه السياسي لأنه غير متعلم... مغلوب على أمره في كل مجال من مجالات الحياة... كان يعيش وراء حائط عال، وويل له إذا حاول أن يتسلق هذا الحائط لمجرد أن يلقي نظرة عابرة على ما يحدث وراءه على الجانب «البيض».

وكانت هناك اجتماعات كثيرة تعقد بين زعماء السود وحدهم لبحث ومناقشة آلامهم ومحاولة العثور على حل لها... وكانت هناك اجتماعات أخرى بين السود وعقلاء البيض لتجنب الانفجار الذي يوشك أن يودي بوحلة

الأمة الأمريكية.. وكان يانغ يحضر هذه الاجتماعات الأخيرة التي كانت دائماً ساخنة وملتهبة لا مجال فيها للحديث الهادئ أو المناقشة العاقلة. ويصل الشاب المتحمس إلى مقر الاجتماع، فلا يكاد البيض يلمحونه حتى يبدؤون في التحفيز، ولكنه يسارع إلى تهدئتهم: سأمضي بيكم دقيقتين أو ثلاثة ثم أنصرف. سأكون مستمعاً فقط ولن أتكلم الا اذا طلبتكم الى الكلام».

وتلتقط اذنه وسط الصخب الذي يملأ المكان كلمة او عبارة تعبّر عما تحمله قلوب هؤلاء العنصريين المتتعصبين من كراهية لكل ما هو أسود، وبيتسم «يانغ» ثم يقول في هدوء: «دعونا نشارك جميعاً في صلاة قصيرة». ويرفع الجميع أيديهم ويصلّون وتهدا النفوس وتحين الفرصة التي انتظراها... . فيمضي في حديثه، وكانه في صلاة طويلة... . وعندما يتّهي الاجتماع يكون قد مضى على يانغ ثلث ساعات. وهو يتكلم... .

ويقدر ما كان «أندرو يانغ» صريحاً ولبقاً في حديثه الذي يشد المستمعين، كان أيضاً مستمعاً ذكياً، يحفظ وبهضم ما يسمع، ولا ينفل حتى لو كانت كلمات محدثه تحمل له الشتائم والاهانات... . كانت الابتسامة لا تفارق شفتيه لحظة واحدة... . ولكن لا يلبث أن يتحول إلى الجذب سرعة إذا استمع إلى تفسير خاطئ أو إلى معلومات يحاول صاحبها من ورائها أن يقلب حقائق معينة لأحداث عرفها ودرسها.

وحتى بلاده، لم تسلم من النقد، وهو الذي قال: «إن السجون الأمريكية مليئة بالمسجونين السياسيين». وكذلك. «إن السود في السويد يلقون نفس المعاملة السيئة التي يتعرض لها الرجل الأسود في «كوبينز» بنيويورك».. «إن جيرالد فورد وريشارد نيكسون من أنصار السياسة العنصرية.. . وأن باتريشيا هيرست ابنة ملك الصحافة في أمريكا، سجينه سياسية أيضاً.. .». لقد قال يانغ وهو يعلن بما استقالته على الصحفيين، أو على الأصح الاستقالة التي أجبرته وزارة الخارجية على تقديمها بعد الضجة الاسرائيلية المفتعلة قال: «من الصعب جداً أن أفعل ما أظن أنه في مصلحة

بلدي، وفي الوقت نفسه أحافظ على قواعد البروتوكول والدبلوماسية. اتنى لا أشعر بأي أسف لاي عمل قمت به.

ولن أستطيع أن أقول أتنى لن أفعل ما فعلت اذا واجهت نفس الموقف مرة أخرى».

«كان من أقدر السياسيين الذين عرفتهم أمريكا» هكذا قال عنه صديقه كارتر الذي أراد أن «يتأمّل» على الحادث المفتعل كما قال لمساعديه بالحرف الواحد لولا الضغوط الصهيونية التي أملت عليه ارادتها وسلبته أقدس حق من حقوقه المشروعة بوصفه رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية.

لقد اشتغل «يانغ» بالسياسة عقب مصرع الزعيم الزنجي لوثر كينغ مباشرة، ورشح نفسه لعضوية الكونغرس الامريكي مرتين... وفاز في المرة الثانية، عام ١٩٧٢ ، وكان يمثل مدينة «اتلانتا» بولاية جورجيا. ومن هذا المنبر الجديد راح يدعو الى الحب والتسامح والتعايش السلمي بين السود والبيض. أما صلته بالرئيس كارتر، فقد بدأت في عام ١٩٧٥ ، وعندما بدأ يتحمس لهذا الرجل الذي اعتزل عمله كعمالم من علماء الذرة في البحريه الامريكية ليتفرغ لزراعة «الفول السوداني» في مزرعته، كان يؤمن بأن جيمي كارتر يمكن أن يكون رئيساً مثالياً لأمريكا... .

وعندما وصل كارتر الى «البيت الأبيض» في النهاية، أراد أن يكافئ «يانغ» على المجهود الذي بذله خلال حملته الانتخابية فعينه سفيراً لأميركا في الأمم المتحدة. وجاء «يانغ» الى نيويورك مع زوجته «جين» وأولاده الأربع: اندرية وليزا وبولا وأندرو الصغير، وأقام الجميع في الطابق الثاني والأربعين بفندق «والدورف تاورز». وقال أصدقاؤه مدعاين تعليقاً على اختياره لهذا الدور العلوي في الفندق: «أنه يريد أن يكون دائماً قريباً من السماء». واستغنى «يانغ» عن سيارته الرسمية الفاخرة «الكاميليا» واستبدل بها سيارة فورد عادية. وكان يدعو سائق سيارته لتناول الافطار معه في كافيتيريا الأمم المتحدة، قبل أن يذهب الى مكتبه الذي اختار للعمل فيه أكبر عدد من

السيدات السود المتعلمات.

وتبقى للأم في النهاية كلمتها الممزوجة بالحنان والعاطفة. ففي اللحظة الحرجة التي كانت تمر بها أمريكا كلها عندما اختير «يانغ» سفيراً لها في الأمم المتحدة، اتصلت به والدته تليفونياً عقب إعلان نبأ تعينه قائلة: «هل تركت مقعده في الكونغرس من أجل هذا المنصب؟ أرجوك ألا تفعل. أبق حيث أنت... فهذا أفضل لك ولنا ولكل رجل وامرأة من السود في أمريكا».

أما المرأة الثانية التي اتصلت به، فكانت «كورا» أرملة الزعيم الزنجي الراحل «مارتن لوثر كينغ» وكانت هي الأخرى تعترض بقوة على تركه مقعده في مجلس الشيوخ الأمريكي من أجل هذه الوظيفة الجديدة في الأمم المتحدة.

«لم أكن أريد هذا المنصب... لم أكن أريده». كانت هذه كلمات «أندرو يانغ» بعد العاصفة ولكن كيف ستنتهي؟ هل تهدأ الشورة التي تعتمل دوماً في صدور السود في أمريكا وهم يرون الرجل الذي يمثلهم ويحمل آمالهم لمستقبل أفضل يهوي تحت مطرقة التفود الصهيوني؟.

ولا أحد في أمريكا أو في خارج أمريكا يتوقع أن يهوي «يانغ» هكذا في هدوء، أو أن يختفي لفترة طويلة، فهو رجل يؤمن بمبادئه ومثله عليا، في زمن أصبحت فيه هذه المبادئ عملية نادرة.

ولابد أخيراً من القول، أن من صلب السيد المسيح على الجلجلة، لن يتورع مطلقاً عن اغتيال أبناء المسيح ورسالته، ولا عن اقفاله ممثلي الفقراء والمدافعين عن «حقوق الإنسان» في أي زمان ومكان.. والذين رضعوا مع الحليب، وقبل أن يروا النور، الخبث والمعكر والحدق والكراء، على كل ما هو بشري وإنساني، وتغلغلت في عروقهم مع الدم الفاسد، عنصرية العرق والنقاء العرقي، لا يتضرر أن يصدر عنهم ما يعتبر خدمة للإنسان والإنسانية. وليس الأبراء العرب - الذين يقدر عددهم بأكثر من مائة وخمسين

مليوناً - الا الضحية الكبرى للصهيونية السياسية في هذا العصر من القرن العشرين .

وإذا تغلبت القوة على الحق في مرحلة ما من عمر التاريخ ، فإن قوة الحق هي التي ستنتصر في النهاية ، وكل آت قريب .

المراجع

- ١ - عبد المجيد نعوني «تاريخ الولايات المتحدة الاميركية الحديث» دار النهضة العربية . بيروت ١٩٧٤ . ص ١٣٧ .
- ٢ - منير نصيف «حكاية اندر ويانغ» . مجلة «العربي» الكويتية . العدد ٢٥١ . تشرين أول / أكتوبر ١٩٧٩ . ص ٢٨-٣٢ .
- ٣ - ابراهيم ابراهيم «من يحكم الولايات المتحدة؟» مجلة «العربي» الكويتية . العدد ٢٩٨ . أيلول / سبتمبر ١٩٨٣ . ص ١٧-٢٢ .
- ٤ - عبد الحميد الكاتب «الأمين العام للأمم المتحدة في خدمة الصهيونية» مجلة «العربي» الكويتية . العدد ٢٩٨ . سبتمبر ١٩٨٣ . ص ٤٤-٥٠ .
- ٥ - نجدة فتحي صفوة «رسالة الى وايزمان» مجلة «العربي» الكويتية العدد ٣٠١ . كانون أول / ديسمبر ١٩٨٣ . ص ١٣٠-١٣٣ .

حرب الأذهان بين المخابرات المصرية والمخابرات الاسرائيلية

ما أعظم الانسان الذي يفخر بانتقامه لوطنه يحمل هويته وجبه المتغفل في الدم والشرابين، كما يحمل إيمانه القوي بقدسية الدفاع عنه حتى آخر رمق.

وقليلون جداً في هذا العصر، هم الذين يضعون «الكرامة الوطنية» في سلم الأولويات على حساب مصالحهم الشخصية، في وقت كثري فيه ضعفاء النفوس أمام اغراءات العدو الصهيوني الذي برع في استخدامها بكل دقة وفن. ومهما حاول هذا العدو أن يظهر نفسه بمظاهر «الانسان الذي لا يقهر» فإنه مجرّد على الاعتراف «بقيمتته» وضعفه أمام الأقوباء في نفوسهم وإيمانهم. ولم يكن نموذج المناضل العربي المصري أحمد محمد عبد الرحمن، الذي خدع العدو الصهيوني مدة ثمان سنوات، إلا أحد هذه النماذج التي تؤكد عبرية الانسان العربي الواعي وذكاءه الخارق في وجه كل الأساطير التي يفتركها العقل الاجرامي الصهيوني، ليظهر «تنوّقه» أمام الخصوم.

فما هي قصة المناضل المصري الشريف أحمد عبد الرحمن مع المخابرات الاسرائيلية؟ وما هي أسرار خداعه لهذا العدو التاريخي؟ .

بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، والدمار الذي أصاب مدن القناة من جراء القصف الوحشي بأطنان القنابل للمدن المصرية الواقعة على قناته السويس،

خاصة وأن هذه المدن لا تحوي أهدافاً عسكرية، نجح عنه هروب جماعي للسكان الذين بقوا على قيد الحياة، باتجاه القاهرة. وكان المناضل أحمد عبد الرحمن أحد هؤلاء الذين تركوا منازلهم وهربوا إلى العاصمة، مع زوجته وولديه: حمادة ومها، ليبدأ حياة جديدة فيها.

ولد في ١٩٣٩/٨/٦، وهو من سكان السويس - حي الغريب. كان يعمل قبل هجرته موظفاً في شركة س抿ل للسياحة في السويس. وحين وصل إلى القاهرة استقر مؤقتاً لدى أقرباء له شاركوه المنزل والمأكل والمشرب. ولم يستطع أن يجد عملاً يناسبه، وهو المواطن الذي يرغب - كما يقولون - أن يكسب خبزه بعرق جبينه، فقرر السفر إلى اليونان، وودع زوجته وأولاده بعد أن أوصى بهم أقرباءهم، ثم سافر إلى أثينا، حيث تمكّن من إيجاد عمل على الباخرة «آرتا» التي تتجول في موانئ أوروبا، حتى وصلت إلى ميناء «بريتون لانكشير» في إنكلترا، فوافت لإفراج ما فيها من البضائع للتجار البريطانيين. ولما انتهى أحمد من عمله نزل إلى المدينة لإرسال بطاقة بريدية إلى زوجته. وبعد ذلك جلس في أحد مقاهي الرصيف لشرب الشاي الانكليزي، فتعرف على فتاة جميلة جداً، أدعّت أنها انكليزية وابنة مليونير. وربّطت بينهما علاقة عاطفية بعد أن تمكّن من الحصول على اجازة من الباخرة التي يعمل عليها لقضاء الليل في أحد الفنادق معها. ثم سافر في اليوم التالي، وكانت صديقته التي زعمت أن اسمها «جوجو» واقفة على رصيف الميناء لوداعه. ثم بدأت تلاحقة من ميناء إلى ميناء، وأحياناً تتنقل بالطائرة لتلقاء في البلاد التي يتواجد فيها. كما كانت ترسل له الخطابات الغرامية. وعرضت عليه ترك العمل في البحر وستجد له العمل المناسب. وعند ذلك بدأ يشك في نوایاها ورفض عرضها قائلاً أنه يفضل البقاء في البحر.

وصلت الباخرة «آرتا» إلى ميناء «كيل كانال» فيmania الغربية، ونزل منها كالعادة بعد انتهاء عمله للتجول في المدينة. فتعرف على اثنين أدعيا أنهم من رجال الأعمال. أحدهما يدعى «جاك» والأخر «ابراهام»، وحاولا

التقرب منه، ووجها الدعوة له لقضاء الليل في المدينة. فوافق وهو الواثق من نفسه. وأنباء السهرة كرّرا نفس طلب صديقته «جوجو» (حيث تأكّد أنها يهودية) - والتي اختفت من على المسرح بعد أن أرشدتهما إليه - بضرورة ترك العمل على الباخرة وسيجدا له العمل المناسب. وأخبره جاك أن والده مليونير، وسيتوسط له للعمل معه ويترك المركب. وفي اليوم التالي ظاهر جاك بأن والده وافق على أن يعمل أحمد لديهم بعد جهد كبير، وعليه أن يترك العمل حالاً.

ولكن أحmdاً، الصادق مع نفسه، أجابهما: كيف لي أن أترك العمل مع كابتن يعتزمي ويساعدني؟ فقالا له: افتعل مشاجرة في الباخرة. فأجابهم بأنه ليس من أخلاقه المشاجرة. ولكي يضعاه تحت الأمر الواقع أحضرا له رسالة باللغة العربية ضمن مظروف عليه طابع مصرى، مرسلة اليه من والدته «المربيضة جداً» حتى يوافق الكابتن على تركه العمل. وفعلاً نجحت حيلة جاك وزميله. ووافق القبطان على محاسبة أحmd، الذي قبض جميع ما أداهه من رواتب طيلة الأشهر الماضية، وأعطاه فوق ذلك مبلغ / ١٠٠ / دولار مكافأة له؛ وطلب منه أن يلتحق بهم عندما يطمئن على والدته. وردعه وتوجه إلى الفندق. فحضر جاك وابراهام واصطحباه معهما للسهر احتفالاً بهذه المناسبة. وفي أثناء السهرة أعلمه جاك بأن والده (المليونير المزعوم) قد وافق أن يكون أحmd «وكيلًا» لشركته في القاهرة، وأن عمله سيكون الاستعلام عن المراكب الغارقة في قناة السويس، وحجم الغاطس، وطول المركب وعرضه (وهذه في الحقيقة معلومات وهمية وبسيطة تستعمل لجرّ الرجل العميل ليستعين بالعمل المكلف به) وسلمه مبلغ / ٥٠٠ / دولار، دفعة على الحساب، وبطاقة الطائرة أيضاً وعنوانهما فيmania لإرسال الرسائل والبرقيات بعد استقراره بالقاهرة.

ودع جاك وابراهام عميلاهما الجديد أحmd في المطار، وتمنيا له سفراً سعيداً، وهما يعتقدان أنه أصبح عميلاً لهما بين ليلة وضحاها، لا سيما وقد

وعدها بإعادة المياه إلى مجاريها بينه وبين «صديقه جوجو» حين يفكر بزيارتها إلى المانيا.

وحين هبطت الطائرة في مطار القاهرة الدولي وخرج منها، لم يصدق نفسه بعودته هكذا، وبهذه السرعة. فيروي قصته قائلاً:

عدت إلى بلدي مصر ورأسي يكاد ينفجر. لم أنم ليلة وصولي إلى القاهرة، حيث ضمت ولدي حمادة ومها، وأنا أبكي بدموع لم تنزل. رأيت فيما أطفال بلدي الصغار الذين فتك بهم القنابل الاسرائيلية في وحشية وهمجية... ورأيت في أمي وزوجتي مصر العزيزة بكل شموخها وأصالتها... رأيت في أهلي جميعاً ذكريات بلدي السويس وتذكرت جاك وابراهام... ماذا يريدان مني؟ هل يظننان بهذه السذاجة - وأنا ابن السويس - أن يمررا على الأعييّهما هكذا ببساطة؟ هل تخيلاً لحظة واحدة أنني بلعت «الطعم»؟ لقد قرأت كثيراً عن طرق اصطيادهم للمصريين في الخارج. قرأت كثيراً عن أسلحتهم المعهودة - المال - الجنس - إيجاد العمل واستثمار حالات الضياع... لكتني لن أضيع ما دامت تلتقط أقدامي بأرضي الحبيبة، وما دمت أتذكر أخوتى وأصدقائي وجيرانى الذين صرعوا برصاصهم، وما دام يتحرك في كيانى كبراء مصر، فلن أكون لهم ولن أخون بلدي مثل بعض ضعفاء النفوس الذين انتهوا على حبل المشنقة.

ويتابع المناضل أحمد عبد الرحمن كلامه بقوله: نمت في الفجر ساعات قليلة وقد عزّمت على أمر ما. وفي الساعة العاشرة خرجت من المترّل وتوجهت إلى مبنى (المخابرات المصرية)... لم أتردد وأنا أدخله. وفي مكتب اللواء ع - ف - ارتميت على المقعد أمامه وشرحـت له كل شيء... شـرحت له القصة كاملة من لحظة مغادرتي مصر حتى عودتي... لم أخبره أي تفاصيلـات. كنت أتكلـم وكأنـما أزـيـع عن صدرـي كابوسـاً مخيفـاً جـثـمـ على أنـفـاسـي... وبعد أن انتهـيـت استـرـحتـ. وبعد ذلك عـرـضـ علىـ رجالـ المـخـابـراتـ صـورـاًـ للـعـدـيدـ منـ عـمـلـاءـ المـخـابـراتـ الـاسـرـايـلـيةـ فيـ أـورـوباـ،

فتعرّفت على صوري جاك وابراهام.

على أثر اجتماع ضم كبار ضباط المخابرات المصرية جرت الموافقة على استمرار أحمد عبد الرحمن بمتّسّيل دور العميل، حيث أرسل لهما رسائل تتضمّن معلومات مدقّقة وضعت بإشراف المخابرات، حتى وصلته رسالة يطلب فيها جاك حضوره إلى إيطاليا. وأيضاً سمح لها المخابرات بالسفر، فسافر إلى جنوبى، وأرسل من فندقه برقية إلى جاك على العنوان الموجود معه. فجاءه الجواب من جاك بأنه موجود في نابولي، فسافر إليه. وتم اللقاء بينهما حيث أعطاه أحمد المعلومات التي حملها معه. وهنا كشف جاك النقاب عن شخصيته وطلب من أحمد التعاون مباشرة مع المخابرات الإسرائيلي وتزويدها بالمعلومات العسكرية والاقتصادية والاجتماعية في مصر. وأعطاه اسمًا رمزياً هو (جورج سايكو)، وأخبره بأن المخابرات الإسرائيلي سوف تحميه. وقام بتدريبه على جميع الفنون وطريقة إرسالها. وأعطاه مبلغ ألف دولار. وطلب إليه العودة للقاهرة لتنفيذ التعليمات الجديدة. عاد أحمد إلى القاهرة وأعلم المخابرات بما جرى معه. والجدير ذكره أن المخابرات المصرية أرسلت ضابطاً برتبة رائد بدون علم أحمد، ليكون على اطلاع باتصاله بالمخابرات الإسرائيلي في إيطاليا. ولما رجع أحمد إلى القاهرة كان ضابط المخابرات المصرية يتبعه كظله.

وثقت المخابرات المصرية بأحمد، وسلمته معلومات جديدة ليرسلها إلى المخابرات الإسرائيلي. وبذلك استطاع أحمد أن يحوز على ثقة الموساد التامة، حيث تكررت زياراته إلى أوروبا لتسليم المعلومات التي لا يمكن إرسالها بريدياً. وقد سلمته المخابرات الإسرائيلي جهاز اتصال حديث ليثبت عليه الرسائل الضرورية، إلى أن جاءته برقية بطلبه للقاء في روما، حيث تسلم جواز سفر الإسرائيلي باسم «يعقوب منصور» وسافر إلى تل أبيب على أحد طائرات شركة العال الإسرائيلي، حيث التقى بمجموعة من ضباط المخابرات الإسرائيلي الذين رحبوا به ترحيباً حاراً، وأنزل في فيلا فخمة في بئر السبع.

تحوي جميع متع الحياة - ومنها النساء - وجرى تدريسه أثناء ذلك على كيفية التصوير السري وتحميس الأفلام وقراءة الميكروفيلم. وقضى هناك /٢٢/ يوماً ثم عاد إلى القاهرة عن طريق روما، حيث التقى برجال المخابرات المصرية، وشرح لهم ما جرى معه وما درّب عليه. وأيضاً أعطي معلومات مدرسية ليرسلها لإسرائيل. وبعد مدة طلبوا منه الحضور أيضاً إلى أوروبا حيث سلموه جواز سفر إسرائيلي وأرسلوه إلى تل أبيب ليبحث معه كبار ضباط المخابرات الإسرائيلية الأمور الهامة في مصر على الطبيعة. وتعرض خلال ذلك للعديد من الاختبارات النفسية والعرض على (جهاز كشف الكذب) فنجم في جميع هذه الاختبارات. ولم يفطن رجال المخابرات الإسرائيلية إلى حقيقته، ولم يتطرق اليهم الشك في اخلاصه (بسبب توجيه المخابرات المصرية له مع مراعاة كافة الاحتمالات).

وفي شهر سبتمبر ١٩٧٣ أرسلت له المخابرات الإسرائيلية برقة تستفسر فيها عن الموقف العسكري في مصر خاصة على الجبهة، وهل هناك احتمال للحرب مع إسرائيل؟ وكان الرد ضمن خطة الخداع الاستراتيجية الكبرى، حيث أشارت برقيتها الجوابية إلى أن ما يجري على الجبهة ليس إلا أحد تدريبات الجيش المصري، وأن احتمالات الحرب ليست قائمة على الاطلاق. وصدقت المخابرات الإسرائيلية البرقية ونقلتها إلى رئيس الوزراء غولدا مائير، على أنها برقة من أحد عملائها المخلصين. وكانت بعد ذلك حرب رمضان /أكتوبر ١٩٧٣ التي غسلت العار وبرزت الكبرياء المصري والإمبريالية السورية من الأعمق وذلك كدليل على خداع المخابرات المصرية للعدو الإسرائيلي. واستدعي أحمد عبد الرحمن في أعقاب الهزيمة القاسية ليسافر إلى تل أبيب، فسافر هذه المرة عن طريق زيوريخ، وكان قد تم إعداده من قبل المخابرات المصرية لهذه الرحلة بعد الحرب للتعرف على الوضع الداخلي في إسرائيل، وما تركته الحرب من بصمات على المجتمع والمواطن الإسرائيلي.

وفي مطار اللد كان كل شيء مختلفاً هذه المرة... الوجوم يسود

الوجه... الحزن في كل مكان. ووُجد أحمد عبد الرحمن وجهاً جديدة في المخابرات الاسرائيلية. الوجه القديمة اختفت بعدما اعتبرت مسؤولة عن الهزيمة، وقوبل بترحاب شديد، ونقلته سيارة من المخابرات إلى شقة فاخرة في شارع (ديز نفوت) وهو أفخم شارع في تل أبيب. وأعيد بعد استراحة قصيرة لمقابلة مدير المخابرات الاسرائيلية الجديد الذي سُمي نفسه تمويهاً «داني»، وكانت تقوم على خدمته ضابطة برتبة ملازم أول جميلة جداً. وبعد أن رحب به المدير أحاله إلى لجنة من ضباط المخابرات الاسرائيلية تضم حوالي ١٨ ضابطاً أخذوا يكيلون له الأسئلة والاختبارات عن مصر وعن الأحوال العامة بعد حرب رمضان. وكان أحمد يجيبهم بما درّب عليه من الاجابة في المخابرات المصرية. وأخيراً بعد أن اطمأنوا إليه جرى تسليمه أحدث جهاز الكتروني في العالم للإرسال والاستقبال، لكي يستخدمه في إرسال المعلومات لهم. وقد قدر ثمن هذا الجهاز بمائتي ألف دولار ويقوم بإرسال البرقية في حوالي الثانية ولا يمكن التشویش عليه أو اكتشاف موجاته الالكترونية. ومن المعروف أن المخابرات الاسرائيلية لا تعطي مثل هذا الجهاز إلا للعميل الذي تثق به تماماً.

وكلفوه باليقطة وإبلاغهم أولاً بأول عن الاستعدادات العسكرية في مصر وإنذارهم بأي حالة من حالات الاستعداد العسكري مهما كانت؛ وهذا يعكس حالة الرعب والفزع التي عاشتها إسرائيل في أعقاب حرب رمضان، والتي زلزلت كيان المجتمع الصهيوني. كما طلبوا منه استئجار شقة في القاهرة لتكون مسرحاً لنشاطه خشية اكتشاف أمره من قبل أهله أو أصدقائه، وأعطي مبلغ ألفي دولار لهذا الغرض، مع أنه كان يستلم منهم دفعات شهرية مغربية. وعاد إلى مصر ليقدم الجهاز الالكتروني (هدية للمخابرات المصرية). وقد أبقى معه الجهاز وأعطي شقة مفروشة حسب طلب المخابرات الاسرائيلية. واستأنف إرسال البرقيات على الجهاز. وكان مجموع البرقيات التي أرسلها ٢٠٠ / برقية اشتملت على معلومات مدقورة بدقة متاهية حتى لا تكشف

المخابرات الاسرائيلية أي خداع فيها أو أية هفوة تدعوها للشك بعميلها لحظة واحدة.

بعد ذلك سافر مرات عدّة الى أوروبا تحت حماية المخابرات المصرية وإشرافها على كل الاتصالات، حتى لا تتعرض لأي خطأ أو ينكشف أمره. كما كانت تدرس كافة الاحتمالات قبل سفره الى أوروبا أو تل أبيب، وتعده للاجابات المسبقة على كافة الأسئلة التي قد تطرحها المخابرات الاسرائيلية. ونظراً لتكرار سفره الى أوروبا واسرائيل خلال سنوات فقد زودوه خلال هذه المدة بأحدث ما لديهم من الوسائل الالزمة للتتجسس ومنها:

- ١ - كتب محفورة لتهريب الرسائل والنقود بداخلها. ومن هذه الكتب:
المرايا - بائعة الخبر - أول الطريق.
- ٢ - عروس لعبة مجوفة، وعلبة شوكولا تهرب فيها النقود.
- ٣ - علبة مسح أحذية تفرغ ويوضع داخلها كريستالات.
- ٤ - جهاز الراديو العادي أول الأمر.
- ٥ - الجهاز الالكتروني.
- ٦ - كتب الشيفرة.
- ٧ - الكاميرا التي تصوّر في الظلام (لكنه لم يستعملها).

استمرت العملية طوال ثمانى سنوات دون أن يتطرق الشك أو تزعزع ثقة المخابرات الاسرائيلية «بالعميل» أحمد. واستمرت عملية الاتصالات والسفر الى تل أبيب. وكانت آخر رحلة له في شهر يونيو ١٩٧٦، حيث نقل الى المخابرات المصرية كافة المعلومات المطلوبة بدقة متناهية. عند ذلك قررت المخابرات المصرية انهاء هذه العملية مع المخابرات الاسرائيلية بعد أن حققت أهدافها، وبعد جهد شاق وخارق للغاية بذلك المخابرات المصرية الى جانب المواطن المصري الشريف الذي ضرب مثلاً رائعًا في

الوطنية والفاء والخلاص لوطنه .

لقد كان الاتفاق تماماً بين المخابرات المصرية والمواطن الشريف أحمد محمد عبد الرحمن على إنهاء العملية لاستحالة السير بها أكثر من ذلك بعد أن استنفدت المخابرات المصرية المخابرات الاسرائيلية لأخر قطرة، فقد أعطيت البرقية الآتية لأحمد ليرسلها على الجهاز الالكتروني الى المخابرات الاسرائيلية :

«من المخابرات المصرية الى المخابرات الاسرائيلية : نشكركم على إمدادنا بأدق وأخطر أسراركم التي كشفت لنا المزيد من عملائكم داخلياً وخارجياً على مدى ثمان سنوات. والى اللقاء في معارك ذهنية أخرى».

وهكذا أسدل الستار على معركة من حرب الدهاء بين المخابرات المصرية والمخابرات الصهيونية التي كان بطلها المناضل العربي المصري أحمد محمد عبد الرحمن، الذي استحق اعجاب وتقدير واحترام كل مصرى وكل مواطن عربي شريف.

ولتعلم المخابرات الاسرائيلية وقادرة دولة الاحتلال الصهيوني ومن يدعمها بأن الكرامة العربية ما زالت بآلف خير، باعتبار أن الأمة العربية من المحيط الى الخليج التي أنجبت أحمد عبد الرحمن، قادرة على إنجاب الملائين أمثاله . وهم بالمرصاد لكل أساليب الصهيونية ولأعيتها في معركة الصراع التاريخي العربي - الصهيوني .

المراجع

* سعيد الجزائري «المخابرات والعالم». الجزء الثاني. منشورات مكتبة النوري. دمشق. دون تاريخ. ص ١٤٩ - ١٥٥.

أمينة المفتى بين الأمانة والخيانة

جميل جداً أن يموت الإنسان في سبيل وطنه، ولكن الأجمل أن يعيش لأجله... وليس من جريمة كبرى في العالم أكبر من أن يخون الإنسان وطنه وشعبه وأمته.

وعندما تصبح الشعوب والأوطان سلعة تُباع وتُشرى بالmızاد العلني، تضرب قضية «المساواة والعدالة» أقدامها في الأرض، مثبتةً أن لا فرق بين الرجل والمرأة في عملية المتاجرة والخيانة... وعندئذ، لا مكان ولا وجود، لأقدس المقدسات في قاموس البشرية، والمتمثلة بـ: الشرف والكرامة.

وكثيراً ما أثبتت النساء جدارتها في عالم المخابرات والتّجسس، وبرعت في هذا المضمار، وفاقت فيه رجالاً كثيرين. ومنهنَّ منْ سقطَنَ في بداية الامتحان، وفي مرحلة «الروداج»، كما هو الحال مع الدكتورة في علم النفس «أمينة داود المفتى». الأردنية الجنسية، والعربية المولدة، لكنها «اسرائيلية الهدف والمعنى».

فمن هي أمينة المفتى؟ وكيف جندتها المخابرات الصهيونية؟ وما هي المهمة التي أوكلت إليها في بيروت؟ وماذا كانت نهايتها؟

ولدت الآنسة «أمينة داود المفتى» في العاصمة الأردنية، عمان، سنة ١٩٣٦. حصلت على الثانوية العامة بدرجة جيدة، وكانت تمثل أثناء دراستها

إلى «علم النفس»، فسافرت إلى النمسا، ودرست في جامعتها هذا الاختصاص، وتخرجت وهي تحمل شهادة الدكتوراه. وحين عادت إلى عمان بعد حرب يونيو سنة ١٩٦٧، عملت على استئجار بناء جعلته مستشفى للمعاقين جسدياً وعقلياً؛ ثم ما لبثت أن اختلفت مع وزير الصحة في حينه الذي اتهمها بالاختلاس، وفسخ عقدها مع الوزارة بعدهما تبين له أن شهادة الطب النفسي التي تحملها مشكوك بها... وبعد تصفية مستشفاها حقدت على وزير الصحة وعلى جميع العرب (حسب ادعائهما فيما بعد)، وعادت إلى النمسا للعمل هناك، فتعرفت على طيار نمساوي يهودي سرعان ما تزوجت منه برضاء أهله ومعارضة أهليها. وبقيت معه في النمسا كزوجة حتى اندلعت حرب تشرين الأول / أكتوبر عام ١٩٧٣. وانطلاقاً من حقدها على العرب شجعت زوجها على الالتحاق بطيران العدو الصهيوني.

كانت إسرائيل قد فتحت باب التطوع والتعاقد للكثير من الطيارين خاصة اليهود منهم. فحضرت أمينة مع زوجها اليهودي إلى إسرائيل، وقد أصبح اسمها بعد زواجهها من الطيار «آنی داود». وقد أحق زوجها فوراً بالطيران الإسرائيلي برتبة نقيب طيار، حيث أدخل إلى الخدمة الفعلية باستلامه طائرة قتال «سكاي هوك»، توجه بها في أول غارة على الجبهة السورية، فأسقطته وسائل الدفاع الجوي السورية التي كانت له ولأمثاله بالمرصاد، واعتبر مفقوداً. أما زوجته الخائنة «آنی» فقد اعتبرته أسيراً لدى الجيش العربي السوري؛ فاستأذنت السلطات الإسرائيلية بالسفر إلى بيروت للبحث عن زوجها وتسقط أخباره هناك، فسمح لها. وخرجت بجوازها النمساوي إلى قبرص، وهناك أخرجت جوازها الأردني وكان صالحًا للإستعمال بسبب تجديدها له في السفارة الأردنية في فيينا لوقت الحاجة.

وصلت أمينة المفتي إلى بيروت، ونزلت في أحد فنادق شارع الحمراء، حيث تعرفت على سيدة لبنانية تدير محلًا لبيع الألبسة النسائية في الشارع نفسه، واشترت منها بمبلغ كبير لتغريها على التحدث عما سمعته عن أخبار

الطيارين الاسرائيليين الأسرى في سوريا. ولم تنس أن تسألاها عن وجود بعض الصحف السورية لديها من تاريخ فقدان زوجها. ولكنها لم تحصل على نتيجة فقررت العودة الى النمسا بعد أن قطعت الأمل بوجود زوجها الطيار الاسرائيلي على قيد الحياة، وذلك للمطالبة بميراثه هناك والذي يقدر بنصف مليون دولار تعود اليها وحدها حسب القوانين النمساوية.

وصلت الى فينا فاستقبلتها ذوو زوجها بالترحاب، وقدموا لها العزاء بزوجها، وأحاطوها بالرعاية والطف، ثم عرّفواها على ثلاثة أشخاص (ضباط في المخابرات الاسرائيلية) أظهروا لها اهتماماً خاصاً بقضية الإرث وأبدوا استعدادهم من أول اجتماع معها أن يقنعوا أهل زوجها بعدم اقامة العرائيل في وجهها على هذا الصعيد (لقاء) تعاملها معهم لصالح المخابرات الاسرائيلية، فوافقت على ذلك انسياقاً مع حافزها الأساسي في عدائها للعرب، وحافزها الثاني وهو حصولها على الميراث.

وهكذا بدأت اللعبة... وأقام لها الضباط الثلاثة دورة تدريبية مكثفة في نفس منزل عائلة زوجها، وهي عائلة يهودية نمساوية، جرى تدريبيها في مدة شهر على ما يلي :

١ - أساليب التجسس الأولية.

٢ - المراقبة وتشمل مراقبة الأشخاص مع تحديد أماكن اقامتهم ورسم أماكنهم لمعرفة ورصد عنوانينهم.

٣ - التصوير ويشمل التصوير عن بعد والتصوير في الليل.

٤ - الشيفرة والكتابة بالحبر السري.

وباعتبارها دكتورة في علم النفس فقد نجحت في هذه الدورة نجاحاً جعل مدرباتها أن يوعزوا لها بالسفر حالاً الى بيروت لتنفيذ مهمات حذروها لها، وقد دفعوا لها مبلغ ٥٠٠٠ / خمسة آلاف دولار تحت الحساب، وطلبوها منها إرسال عنوانها عندما تصل الى بيروت لكي يحوّلوا لها ما تحتاجه من

أجل نجاحها في تنفيذ مهمتها.

وصلت الى بيروت وقررت الاقامة في منطقة «عين الرمانة» السكنية. فاستأجرت شقة مفروشة فيها بمبلغ ألف ليرة لبنانية شهرياً /٢٠٠٠ ل.ل/. وقامت بصرف الخمسة آلاف دولار التي تحملها من أموال المخابرات الاسرائيلية بمبلغ عشرين ألف ليرة لبنانية، وهو مبلغ جيد في حينها. ثم تقدمت بطلب للحصول على خط هاتفي للشقة، فسجل الطلب تحت رقم ٣٤٥١/ ووعدت خيراً. ولكن الجيران أفادوها بأن تفريغ الهاتف يلزمها «واسطة»، فتذكرت عند ذلك صديقتها التي تدير محلًا تجاريًا في شارع الحمراء، فذهبت اليها ورجحتها باعتبارها لبنانية (بنت البلد) أن تدلها على «واسطة قوية» للحصول على الخط الهاتفي المنشود؛ فعرفتها على موظف في إدارة التلفونات اللبنانية الذي أوضح لها أن الخطوط قليلة في منطقة عين الرمانة، ولكنه سيبذل جهده لتأمين خط لها بأقرب وقت، خصوصاً بعد أن حدثته صديقتها اللبنانية عن الأحوال المادية لهذه السيدة، وأنها على استعداد (للدفع)، حيث لم ينس هذا الموظف أن يقدم لها بطاقة (كرت فيزيت) التي تحمل عنوانه ورقم هاتفه للإتصال به عند الحاجة.

شكرت أمينة صديقتها وعادت الى شقتها وهي تفكّر في هذا الموظف، فوجدت فيه صيداً ثميناً لمعاونتها في عملها التجسسي، تستخدمنه كنافذة يمكنها الاطلاط منها على المجتمعات، فضلاً عما يمكنها أن تحصل عليه من معلومات عبره نظراً لكونه موظفاً في مصلحة التلفونات، فلم تترك الوقت يمضي، وقد أصبحت نفسها هي ذاتها نفسية جواسيس اسرائيل من حيث التضحية بكل شيء (حتى الشرف) مقابل الحصول على المطلوب. فاتصلت به من محل بقال وطلبت منه الحضور الى شقتها للتباحث في موضوع الهاتف، فحضر مسرعاً، وهو الذي يرحب بل ويسمى جهده لإقامة مثل هذه العلاقات من وراء عمله في الهاتف. أما أمينة فقد أكرمت وفادته، ومن ضمن هذا الاعمال تناول الوجبة بعد الطعام، كما أقامت معه علاقة

غرامية عربوناً لإيصال الخدمة الهاتفية لها.

سر العوطف كثيراً بهذا الصيد (امرأة في ريعان الشباب تقدم له نفسها على طبق من الويسيكي) كل ذلك لأجل (التلفون). فقام بإحضار صديق له وعرفها عليه على أساس أنه يساعده في تأمين الهاتف، فقبلت إنشاء علاقة مع الثاني، وهي تضرر في نفسها أن تستدرجه للعمل معها في نطاق خلية جاسوسية لصالح المخابرات الاسرائيلية، فكتبت بذلك كله إلى «الموساد» في فيما مع ذكر عنوانها حسب طلبهم. فجاءها الجواب أن تترك موضوع الخلية الجاسوسية جائباً وتنفذ المهمة التي جاءت من أجلها بمفردها (وهي وضع تقرير ومحظط شامل ومصور عن منازل ثلاثة من قادة المقاومة الفلسطينية وهم: الشهيد زهير محسن، رئيس منظمة الصاعقة، وأبو الزعيم (عطالله عطالله) مسؤول المخابرات العسكرية في حركة فتح، والثالث من آل «بسبيسو» كما جاء في اعترافها لاحقاً).

كانت أولى خطواتها أن استعلمت عن منزل أبو الزعيم في الريحانية على وجه التقريب، لكنها لم تقدر أن تستعلم عن مدخل المنزل وعن القوى التي تحرسه، فقررت الذهاب ب نفسها إلى الريحانية، ووضعت الكاميرا على كتفها لتبدو كسائحة أجنبية. فاكتشفت مستشفى بالقرب من منزله فدخلته (كمريضة) لإجراء فحوصات عامة ليتسنى لها الاقامة فيه ومراقبة وتصوير المنزل. لكنها وجدت أن شقق المستشفى لا تطل على المنزل بالشكل المطلوب، فخرجت منه في نفس اليوم بعد أن دفعت مبلغاً لا بأس به، وتوجهت إلى بناية تقع أمام بناية أبو الزعيم مباشرة، فاستقبلتها الناطور - وكان من الجنسية المصرية - فسألته عن وجود شقة فارغة للإيجار، فأجابها بالنفي . ولكي لا تقطع الحوار معه، سأله اذا كان لديه أولاد، فأجابها بنعم، وقد أوهنته أنها تحب الأولاد وتهوى تصويرهم، ثم طلبت منه أن يأتي بأولاده وزوجته المقيمين معه بنفس البناء لكي تلتقط بعض الصور معهم.

ذهب الناطور مسرعاً وجاء بزوجته وأولاده للسلام على هذه السيد

الطيبة، فرحبَتْ أمينة بهم وأعطت الزوجة خمسين ليرة لبنانية، وعشرين ليرات لكل واحد من الأولاد. ثم طلبت الصعود إلى سطح البناءة لالتقاط الصور. فلسرع الجميع حيث التقى التقطت الجاسوسية من خلالهم بعض الصور لبنياء أبو الزعيم المقابلة. وبعد انتهاء التصوير قدمت لها زوجة الناطور الشاي، فسألتها أمينة إن كانت تطبخ الملوخية لأنها تحبها، فأعترضت زوجة الناطور وصرحت لها بأنها لم تذق الملوخية منذ وقت طويل (بسبب ضعف راتب زوجها). فقامت أمينة بإخراج متى ليرة لبنانية أعطتها للناظور ليعد لها الملوخية. وأنها ستحضر نهار غد لتناول هذه الأكلة التي تحبها معهم وفي منزلهم المتواضع. وعلى أساس المبدأ القائل: (أذكروا الفضل فيما بينكم) فقد تحدث ناطور البناءة إلى أحد حراس الأمن في بناء أبو الزعيم عن السيدة الأنثى الطيبة هاوية التصوير والملوخية، فشكَّ هذا الحراس بالأمر وأعلم رئيسه بذلك فوراً، فتقرر كشف حقيقة هذه السيدة. وعندما حضرت في اليوم التالي جرى اعتقالها ثم تسليمها للأجهزة الأمنية اللبنانية المختصة التي حفقت معها فأنكرت أن تكون قد قامت بـ أي عمل يمس الأمن، وأنها مواطنة أردنية صالحة ودكتورة في علم النفس تحاول إنشاء مستشفى أو عيادة لها في بيروت لمساعدة اللبنانيين المعاقين عقلياً وجسدياً، فجرى اطلاق سراحها، حيث بادرت «أجهزة أمن الثورة الفلسطينية» باعتقالها في أول شهر أيلول / سبتمبر سنة ١٩٧٥ وأخضعت للتحقيق، فاعترفت بكل ما ذكر من أعمال التجسس لصالح المخابرات الإسرائيلية، وصودرت من شفتها أدوات التجسس والفيلم الذي قامت بتصويره لبنياء أبو الزعيم من خلال أولاد الناطور.

أما المخابرات الإسرائيلية «الموساد» التي كانت تتضرر منها المعلومات التي أوفدت لأجلها فقد انتظرت كثيراً. ولدى اطلاعها من الصحف اللبنانية على أنها اعتقلتها جنَّ جنونها، وبدأت بإجراء اتصالات ومفاوضات من خلال الصليب الأحمر الدولي من أجل استعادتها. ونجح الصليب الأحمر بعد مفاوضات مع الثورة الفلسطينية على إعادة أمينة إلى إسرائيل مقابل اطلاق سراح أسيرين فلسطينيين هما:

- ١ - وليم نصار المعتقل في سجون اسرائيل منذ سنة ١٩٦٨ .
 - ٢ - محمد مهدي بسيسو المعتقل في سجون اسرائيل منذ سنة ١٩٧١ .
- بقي على الصليب الاحمر تأمين مكان التبادل، حيث جرى الاتصال مع الدكتور ليساريدس رئيس الحزب الاشتراكي القبرصي الذي قبل القيام بترتيب عملية التبادل على أرض مطار «لارنكا» الدولي في قبرص ، بالتعاون مع وزير الداخلية القبرصي «بنيامين» والمخابرات القبرصية . وقد تحدّد يوم ١٣ فبراير سنة ١٩٨٠ موعداً لإجراء التبادل . فقامت السلطات القبرصية بإجراءات أمن مشددة في مطار «لارنكا» الدولي ، منها انتشار المصفحات والدببات حول المطار، وإخلاء المطار من السواتر أو ما يمكن استعماله كساتر لأي عملية عسكرية محتملة تعكّر عملية التبادل . كما سحبت جميع السيارات التابعة للخطوط الجوية المختلفة ، والسلام ، وأبعدت جميع الطائرات المتواجدة في المطار عن المكان المخصص لوقف الطائرة الاسرائيلية . ومنعت الحركة تماماً في المطار والمباني المحيطة به منذ وصول الطائرة الاسرائيلية التي تقل الأسرى وحتى إقلاعها . وقد تم التبادل بالتعاون مع السلطات القبرصية التي سهلت العملية . فقد حطّت الطائرة الاسرائيلية المقلة للأسرى في المطار، بعد أن أذن لها برج المراقبة ، وبقيت في المدرج المعذ لها مدة عشر دقائق بدون أن تفتح الأبواب خشية أن يكون هناك أي كمين أو تغيير في الخطة . ثم فتح باب الطائرة ونزل منها ضباط مخابرات اسرائيلي باللباس المدني ومندوب الصليب الاحمر الدولي ، حيث تقدما باتجاه سيارة للأمن العام القبرصي كان يداخليها الجاسوسة أمينة المفتى وضباط من قوات أمن الثورة الفلسطينية ومندوب الصليب الاحمر . وقد بقي ضابطاً المخابرات الاسرائيلية وأمن الثورة الفلسطينية بعيدين عن بعضهما بينما تصافح مندوبي الصليب الاحمر ونقلت رغبة الضابط الاسرائيلي بالتعرف على أمينة، أي مشاهدتها للتأكد . فتشاور مندوب الصليب الاحمر مع ضباط أمن الثورة الذي وافق على ذلك ، فتقدّم الضابط الاسرائيلي من السيارة وهو يحمل صورة الجاسوسة بيده ، فتأكد أنها هي نفسها ، فعاد إلى الطائرة وأنزل منها الأسرى اللذين تبعاه حتى مكان

وقوف مندوب الصليب الأحمر فوقا بجانبها، ثم توجه مندوب الصليب الأحمر مع ضابط المخابرات الصهيوني إلى السيارة حيث نزلت منها أمينة وتوجهت معهما إلى الطائرة الإسرائيلية التي عادت بهم إلى إسرائيل. ركب الأسرى سيارة الأمن العام ومعهما مندوب الصليب الأحمر وضابط أمن الثورة الفلسطينية وتوجهوا إلى مدينة «لارنكا». وفي مكان متفق عليه في الطريق كانت سيارة مدنية تقف بانتظارهم، حيث ركب الأسرى والضابط الفلسطيني تلك السيارة وعادوا إلى مطار لارنكا كمسافرين عاديين واستقلوا الطائرة إلى بيروت. وفي اليوم التالي أصدرت وكالة الأنباء الفلسطينية (وفا) بياناً شكرت فيه تعاون الصليب الأحمر الدولي وجهوده الإنسانية كما شكرت الحكومة القبرصية على موافقتها بأن يتم التبادل على أراضيها.

ان الثورة الفلسطينية عندما قبلت التفاوض لأجل تبادل الجاسوسة أمينة المفتى بالأسرى الفلسطينيين (وليم نصار ومحمد مهدي بسيسو) كانت مقتنة بأن هذين الأسرى أعلى من أمينة المفتى بعشرات المرات، ولأن هذه الجاسوسة لم تقم بنشاط هذام خلال الأيام الأولى من وصولها إلى بيروت، من ناحية ثانية.

وإذا كانت «أمينة المفتى»، أمينة بالاسم فقط، وليس أمينة على نفسها، فليس من الغرابة أن لا تكون أمينة على شعبها ووطنه وأمتها. وكم في هذا العصر من أناس يحملون أسماءهم الكبيرة، يتصرفون بها للقيام بما لا يمت للإنسانية بصلة، في كثير من الأحيان.

تقرير «سرّي جداً»

من رئيس «الموساد» الى رئيس الوزراء الاسرائيلي من حيث يبغى أو «عملية نشر الغسيل»

الانسان وريث كل العصور، بسلبياتها وابيجابياتها. انه يحمل كل التركة الراخة بحسانتها ومثالبها، على امتداد زمن تاريخي طويل، وما قبل التاريخ، وصولاً الى الانسان الحاضر في القرن العشرين. وكم كان صادقاً «محرر العبيد»، الرئيس ابراهام لنكولن، بقوله: « تستطيع أيها الانسان أن تخدع كل الناس بعض الزمن، وأن تخشن بعض الناس كل الزمن. ولكنك تعجز من أن تخدع كل الناس كل الزمن».

فإذا كان هذا على صعيد الانسان الفرد، فكيف اذا كانت الحال على صعيد جماعة لها من القوة والامكانات ما لا يوصف؟ او على صعيد دولة رضعت العنصرية والاجرام يوم كانت جنيناً في رحم التاريخ، كما هو الحال مع دولة الاحتلال الصهيوني على ارض فلسطين، والمتمثلة بـ «اسرائيل»؟ ونظرأ لاحتراف «مهنة» الدجل والتضليل عند قادة الدولة العبرية، فإن نهجهم الاستراتيجي يقوم على دعائم وأسس ثابتة، لا مجال لتجاوزها أو التخلّي عنها.

يرتكز هذا النهج على اظهار اسرائيل بمظهر الدولة الديموقراطية

المتقدمة، التي يتمتع فيها الانسان بكل الحقوق التي ضمنها له القانون المحلي والدولي. وقد ضغطت هذه الدولة على نفسها أكثر فأكثر لظهور للعالم بمظهر الدولة العلمانية الراقية التي لا يضيع فيها أي حق. لذلك عمدت الى تشكيل لجنة «اغرانات» عقب حرب رمضان / اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، بعد أن تحطمـت أسطورة «جيشهـا الذي لا يـقهر» على صخرة ارادةـانـسـانـالـعـرـبـيـالـمـسـتـنـدـةـإـلـىـ«ـقـرـارـالـقتـالـ»... وـشـكـلـتـلـجـنـةـ(ـلـلـتـحـقـيقـ)ـعـقـبـمـجاـزـرـمـخـيمـيـصـبـراـوـشـاتـيلاـفـيـبـيـرـوـتـعـامـ١٩٨٢ـ.ـإـنـأـيـمـرـاـقـبـحـيـادـيـ(ـبـمـعـنـىـأـنـلاـيـكـونـمـعـإـسـرـائـيـلـوـلـاـمـعـعـرـبـ)ـبـمـقـدـورـهـأـنـيـؤـكـدـأـنـتـشـكـيلـمـثـلـهـذـهـالـلـجـانـمـاـهـوـإـلـاـمـهـزـلـةـلـذـرـالـرـمـادـفـيـالـعـيـونـ.ـوـقـدـأـثـبـتـنـتـائـجـالـتـحـقـيقـوـالـتـوـصـيـاتـالـمـتـخـذـةـفـيـهـذـهـالـلـجـنـةـ،ـصـحـةـالـتـدـجـيلـوـالـتـمـثـيلـالـإـسـرـائـيـلـيـعـلـىـالـمـسـتـوـيـاتـ.

وعندما تصلـ الأمـورـداـخـلـالـكـيـانـالـصـهـيـونـيـإـلـىـحدـالـخـطـرـ،ـيـهـرـعـالـمـسـؤـلوـنـعـنـالـمـخـابـراتـوـيـدـلـوـهـمـبـدـلـوـهـمـالـاسـتـخـبـاريـلـتـبـيـهـالـمـسـؤـلوـلـينـإـلـىـماـوـصـلـتـإـلـيـهـالـأـمـورـمـنـالـانـحلـالـ،ـمـنـأـصـفـرـمـوـظـفـحـتـىـالـأـشـخـاصـذـوـيـالـمـرـتـبـةـالـثـانـيـةـفـيـالـدـوـلـةـكـنـاـبـرـئـيـسـالـوـزـرـاءـ،ـوـنـائـبـرـئـيـسـالـأـرـكـانـ،ـوـمـعـاـوـنـالـوـزـيرـ،ـوـتـحـتـالـوـزـيرـنـفـسـهـ...ـوـجـمـيـعـهـمـفـيـالـفـرـيـالـفـيـالـكـيـانـالـصـهـيـونـيـ،ـحـسـبـمـاـجـاءـفـيـتـقـرـيرـأـعـدـهـرـئـاسـةـالـمـخـابـراتـالـإـسـرـائـيـلـيـةـ،ـوـرـفـعـهـإـلـىـرـئـاسـةـالـوـزـرـاءـ(ـمـنـاحـيمـبـيـغـنـ)ـعـدـحـرـبـ(ـسـلـامـالـجـلـيلـ)ـ،ـوـكـانـهـلـاـيـعـلـمـسـلـوكـأـهـلـالـبـيـتـوـالـجـيـرـانـمـعـاـ...ـ

انـهـذـاـتـقـرـيرـمـمـهـرـبـكـلـمـةـ(ـسـرـيـجـداـ)،ـوـتـحـتـرـقـمـ7ـ٤ـ٣ـ٣ـ٢ـغـ.

وهـذاـنـصـهـ:ـمـنـالـمـديـرـالـعـامـلـلـمـخـابـراتـالـإـسـرـائـيـلـيـةـ/ـإـلـىـالـسـيدـرـئـيـسـمـجـلـسـالـوـزـراءـمـنـاحـيمـبـيـغـنـالـمحـترـمـ.

فيـهـذـهـالأـوقـاتـالـحرـجةـالـتـيـنـرـبـهـاـ،ـوـالـتـيـتـعـتـبـرـمـأـصـبـالأـوقـاتـالـتـيـمـرـتـبـهـاـبـلـادـنـاـمـنـذـعـامـ1ـ٩ـ٤ـ٨ـ،ـحـيـثـوـصـلـتـالـأـمـورـالـادـارـيـةـإـلـىـحدـودـالـانـقلـابـالـتـامـمـنـأـكـثـرـالـمـسـؤـلوـلـينـالـمـدـنـيـنـوـالـعـسـكـرـيـنـ،ـلـذـلـكـنـرـىـمـنـ

واجبنا أن نطلعكم على حقيقة الأمور بحذافيرها، لتخذلوا الاجراءات التي ترونها مناسبة، ونكون بذلك قد أدينا الواجب الذي يفرضه علينا وجودنا في هذه المؤسسة، ممتنعين بثقتكم الغالية والأمر لكم:

أولاً: استهتار الضباط الكبار وعدم اطاعتهم الأوامر حتى أثناء الحرب: تعاني القوات الاسرائيلية من ظاهرة انعدام الطاعة داخل الهرم القيادي على مستوى القطعات الكبرى.

وتتمثل هذه الظاهرة في أن قادة المجموعات الاحتياطية (الألوية - الفرق) التي تدعى أثناء الحرب، يرفضون الخضوع لأوامر قادة المناطق أو الاعتراف بسلطتهم. وترجع هذه المسألة إلى أن قادة الألوية الاحتياطية كانوا سابقاً قادة في الجيش العامل، وتسلموا خلال خدمتهم الفعلية مراكز عالية، وكان تحت أمرتهم عدد من الضباط الذين بقوا في الخدمة، ووصلوا الآن إلى مناصب قيادية. وعندما تجري التعبئة العامة ويستدعي الاحتياط، يضطر قادة الألوية الاحتياطية للعمل تحت قيادة ضباط كانوا قبل عدة سنوات في عداد مرؤوسهم، ويقفون أمامهم باحترام حسب الأقدمية في حينه. أما الآن فهم يجدون غضاضة في ذلك، بل ويرفضون أوامر رؤساء اليوم هرؤوسي الأمس. و يحدث من جراء ذلك احتكاكات ومصادمات تعرقل سير العمل وتفقد قادة المناطق السيطرة العملية على القوات أثناء المراحل الحاسمة من المعركة.

وأثناء ذلك نقدم مثالاً مضى عليه الوقت، لكن نفس الأمور تتكرر الآن في حرب «سلامة الجليل». والمثال يا سيادة رئيس الوزراء - يضيف رئيس المخابرات الاسرائيلية - هو أنه في حرب ١٩٧٣ استدعي اللواء أرييل شارون (وزير الدولة) إلى الخدمة الاحتياطية وسلم قيادة ألوية في المنطقة الجنوبية (سيناء). وكان شارون قد عمل كقائد لتلك المنطقة في فترة ١٩٦٩ - ١٩٧١. حيث كان من بين الضباط العاملين تحت أمرته آنذاك «العقيد شموئيل غونين». وتشاء الصدف أن يرقى العقيد غونين إلى رتبة لواء ويندو في عام ١٩٧٣ قائداً للمنطقة الجنوبية. لذا فقد كان على شارون (رئيسه

السابق) أن يعمل تحت أمرته، مما اضطره إلى رفض ذلك. ويرى شارون رفضه هذا بثلاثة أسباب هي:

- ١ - ان اللواء غونين كان مرؤوسه، ولهذا فهو يرى أن العمل تحت أمرته يسيء إلى كرامته . . .
- ٢ - انه أقدم من اللواء غونين، نظراً لأنه وصل إلى رتبة (لواء) قبله بخمس سنوات.
- ٣ - انه أكثر منه كفاءة وأقدر منه على العمل وتقسيم الموقف والتصريف في عمليات سيناء.

ويضيف رئيس المخابرات الاسرائيلية بقوله: ولم يقتصر هذا الوضع على شارون وحده، بل شمل مجموع الألوية التي خصصت للقتال على الجبهة المصرية. فقد كان جميع رؤسائها (قادتها) يحملون رتبة (لواء) وسبق لهم أن تولوا مناصب عالية في المنطقة الجنوبيّة عندما كان غونين لا يزال برتبة (رائد أو مقدم). لذا فإنهم نظروا إليه باستعلاء ورفضوا الانصياع لأوامره. ونشأ عن هذا الموقف غير الانضباطي وضع خطير، إذ أخذ كل قائد لواء يعمل على هواه، وبقي قائد المنطقة (غونين) في مقر قيادته عاجزاً عن تنفيذ خطته، أو تحريك القطعات الموضوعة تحت تصرفه؛ وتحول من قائد إلى شاهد، يتبع ما يفعله مرؤوسه دون أن يملك سلطة تنفيذ أوامره وقراراته. وكان من الممكن أن يؤدي هذا الوضع إلى عواقب وخيمة لو أن القيادة المصرية كان لها مقدرة ملاحظة الخلل الناجم عن انعدام السيطرة المركزية داخل القوات الاسرائيلية في المنطقة وعملت على استغلاله.

وبعد اتصالات «شمبوئيل غونين» أدركت القيادة الاسرائيلية بسرعة خطورة الوضع، فقرر رئيس الأركان «دافيد العازر» إصدار أمره بعزل شارون واعتقاله حسب الأنظمة العسكرية بتهمة رفض أوامر قائد الجبهة. ولكنه لم يستطع كما تعلمون تنفيذ أمره في حينه. وفي تلك الفترة الحرجة من القتال خاصة وأن مجموعة شارون كانت على وشك العبور إلى الضفة الغربية لقناة

السويس، حيث تدخلت غولدا مائير ورأت أن الحل الأمثل هو تعين قائد من الاحتياط أعلى رتبة من غونين وجميع قادة الألوية ليتولى قيادة الجبهة الجنوبية وفرض السلطة على الجنرالات الخمسة الذين يعتبرون أنفسهم أعلى من غونين بما فيهم شارون..؟.

وعلى هذا الأساس طلبت غولدا مائير من وزير التجارة والصناعة اللواء الاحتياط (حاييم بارليف) الذي رفع إلى أول رتبة (فريق) في إسرائيل لدى إحالته للتقاعد كما تعلمون، وطلبت منه التخلي عن وزارته والالتحاق بالجبهة الجنوبية (رئيس أركان خاص). وقد التحق بارليف فوراً. وفي أول زيارة لغونين أعلمه أنه لم يأت ليحل محله بل لمساعدته في ضبط الأمور وحل معضلات الانضباط ومساعدته للسيطرة على قادة الألوية. ومع ذلك فإن وجود بارليف مع غونين أفقد هذا الأخير سلطته القيادية، وحوله إلى ضابط أركان لدى بارليف... .

ثانياً: تجاوزات الجنرالات... وكسبهم غير المشروع..؟.

يضيف رئيس «الموساد» في تقريره إلى مناحيم بيغن بقوله: تعلمون أن شعبنا الإسرائيلي أصبح يقدس القوة ويعتبرها أساس قيامه وبمبرر وجوده، والضمانة الأولى لبقاءه في بحر العداء العربي. وتتجسد القوة في نظره بالقوات المسلحة التي استطاعت احتلال فلسطين (بالقوة) ثم حافظت على الأرضي رغم المحاولات العربية لاستردادها. ولذلك فإن للعسكريين والضباط (بشكل خاص) وضعًا اجتماعيًّا متميًّزا داخل المجتمع الإسرائيلي. ويستغل الضباط هذا الوضع المتميز لتحقيق المكاسب الشخصية خلال وجودهم في الخدمة، ثم يتبعون الاستغلال بعد ترك الخدمة والالتحاق بالوظائف المدنية أو حين إشغالهم المناصب السياسية. وقد أثبتت التحقيقات مثلًا أن جزءاً كبيراً من الأموال المخصصة لبناء «خط بارليف» قد تسرب إلى جيوب المقاولين المدنيين والضباط المتواطئين معهم، لقاء عمولات معينة. وجاء سقوط «خط بارليف» عام ١٩٧٣ ليثير هذا الموضوع من جديد، وليدفع

شعبنا الاسرائيلي الى التحدث عن منفعة «خط بارليف» في بناء الفيلات الفخمة للمقاولين والضباط في اسرائيل فقط... ومن أشهر الأسماء اللامعة في مجال التجاوزات:

١ - الجنرال الراحل «موشيه ديان» الذي استغل منصبه كوزير دفاع، والسمعة التي اكتسبها في حرب ١٩٦٧ وبعدها، وقام باستخدام عمال وخبراء الدولة لمساعدته في التغيب عن الآثار واستخراجها، لا ليقدمها هدية للدولة أو للمتحف، بل أنه باعها بأسعار خيالية الى تجار ومهربي الآثار.

٢ - الجنرال «أرييل شارون» نفسه وزير الدفاع قبل إعادته للخدمة؛ وأنشأ تركه الخدمة العسكرية قام بشراء أرض في النقب بأموال لم يكشف مصدرها، وزرعها بالبطيخ (المسمى جبس). واستغل منصبه عندما كان وزيراً للزراعة فاستخدم موظفي ومعدات الوزارة في مزرعته، فأطلق عليه اسم «جنرال البطيخ». كما أنه استخدم الأحداث من سكان غزة العرب للعمل في مزرعته، مخالفًا بذلك القوانين التي تمنع تشغيل الأحداث الذين يقل عمرهم عن ١٦ سنة. ووجد المستدرورت (أي اتحاد نقابات العمال) الذي يسيطر عليه حزب العمال المعارض، الفرصة المناسبة لتفجير أزمة الإطاحة بجنرال البطيخ (شارون) والاساءة الى تكتل «ليكود» اليميني الحاكم. لذلك طلبت وزارة العمل من وزارة الزراعة (شارون نفسه) إيقاف استخدام الأحداث، ولما رفض ذلك قامت وزارة العمل باصدار أمر من المحكمة العليا الاسرائيلية بمنع الأحداث من مغادرة قطاع غزة بسيارات العمال المتوجهة الى النقب، وهددت أهالي الأحداث بإحالتهم للمحاكمة في حال السماح لأبنائهم بالعمل قبل بلوغ السن القانونية.

٣ - المستشار العسكري الخاص لرئيس الوزراء السابق اسحاق رابين لشؤون مكافحة الإرهاب «رجيعام زيفي». فقد تمثلت تجاوزاته في تهريب الأسلحة الاسرائيلية وتسويقها في بعض دول أمريكا اللاتينية وأفريقيا. ولقد كشفت الشرطة الاسرائيلية العلاقة بين هذا الجنرال (mafia) تهريب

الأسلحة التي جندها «رحبعام» للقيام بعمليات جمع الأسلحة وتسويقها وشحنها ومن ثم تدريب الزبائن عليها.

وبعد ذلك حل الجنرال «غونين» مكان «رحبعام» في هذا المجال. فقامت الشرطة بتفتيش منزله حيث عثرت على كميات كبيرة من الأسلحة. وكان للجنرال «بيغال يادين» (الذي شغل منصب نائب رئيس مجلس الوزراء) دور في كشف تعامل غونين بتهريب الأسلحة مستغلاً مركزه العسكري. فأمر بتفتيش منزله بعد أن تأكد من وجود الأسلحة المعدة للتهريب فيه. وقد صودرت كمية كبيرة منها فعلاً. ويبدو أن للعلاقات الشخصية المترفة بين «يادين» و«غونين» دوراً في عملية الكشف، نظراً لأن «يادين» كان عضواً في لجنة «اغرانات» التي أدانت «غونين» بعد حرب ١٩٧٣، فهاجمه «غونين» بشدة، وكال له الاتهامات.

ووجد «يادين» أن الفرصة قد حانت للاقتalam، فانتهزها. وقد وجدت الشرطة العسكرية في منزل «غونين» بالإضافة إلى الأسلحة، عدداً من الوثائق السرية والتقارير الميدانية الخاصة بحرب ١٩٧٣. كما وجدت الصفحات الضائعة من السجلات العسكرية التي لم يقدمها «غونين» إلى (لجنة اغرانات) عندما حققت هذه اللجنة معه.

ويظهر من كل ذلك مدى استهتار القادة الاسرائيليين بالتعليمات العسكرية واستغلالهم الكبير لوضعهم الخاص المتميز، خاصة اذا كانوا مثلما ذكرنا، من الضباط الذين حققوا بعض الانجازات العسكرية خلال الحرب مع العرب، وحصلوا على سمعة شعبية يحتمون بها الخدمة مصالحهم الخاصة كما تبين.

وعندما يمعن السوس نخراً في جذوع الشجر، يصبح مظهراًها الخارجي البراق والشامخ، غير ذي فائدة إطلاقاً. ومهما رأت نفسها متعاليةً على شجيرات صغيرة تتمتع «بنعاعة» المقاومة، سرعان ما تتصرف الحقيقة، لثبت زيف المظهر الخارجي، وتؤكد أن الواقع هو عكس ذلك. وليس بمقدور أي

طلاءً أن يحجب الجوهر إلى الأبد، مهما كانت قوة لمعانه وفعاليته.

وهكذا هي حال إسرائيل في منطقة الشرق الأوسط. شجرة في غابة المنطقة، تحاول جاهدة إيهام العالم أنها سليمة من كل أمراض العصر وأوباته... ولكن الدعاية شيء الواقع شيء آخر... ولم يقتصر واقعها على السوس فقط، إذ قلما وجد نوع من الفساد والانحلال إلا وتفلغل مع الدم في شرائينها...

وليس أصدق من «أهل البيت» في وصفهم لكل ما أصاب «إسرائيل» بعد حوالي ٣٨ عاماً على قيامها. «صاحب البيت أدرى بالذى فيه» كما يقولون.

ففي تقريره إلى «سرى جداً» إلى رئيس وزراء العدو الصهيوني من أحيم بیغن، يضيف رئيس المخابرات الإسرائيلية (الموساد) على :

- استهتار الضباط الكبار وعدم اطاعتهم الأوامر حتى أثناء الحرب.
- وتجاوزات الجنرالات... وكسبهم غير المشروع...
- ثالثاً: تدني المستوى الخلقي والانضباطي داخل الجيش...

ويخاطب من أحيم بیغن بقوله :

نعرض لكم أيضاً أن المستوى الانضباطي في القوات المسلحة دائماً في مستوى أدنى من المستويات العالمية. ولكن التدقيق في اختيار القيادة لأعضاء الجيش العامل (المتطوعين)، ووضع الشروط الأخلاقية المتشددة خلال دعوة المجندين، كانت تخفف من شدة هذه الظاهرة إلى حد ما. وبعد حرب يوم الغفران، ظهرت الحاجة إلى توسيع القوات المسلحة بغية موازنة التفوق العددي (عند العرب). ولكن الواقع demografique في إسرائيل لم يكن يسمح بإجراه توسيع طبيعي. لذا خفت القيادة الشروط النفسية والأخلاقية المفروضة عند اختيار الجنود المتطوعين للإحتراف، وحتى عند سوق المجندين إلى الخدمة. ونجم عن هذا التسامح الذي ساهمت به مخبراتنا،

زيادة عدد القوات المسلحة (١٥٠ ألف فرد) لم يكن ضمهم للقوات المسلحة ممكناً قبل حرب ١٩٧٣.

ومن المؤكد أن أغلبية هؤلاء الجنود كانوا مغفبين لأسباب دينية أو جسدية. والقسم الأكبر كان مغفياً لأسباب نفسية أو أخلاقية، أو لارتكابهم جرائم مختلفة كالسرقة، والتهريب، والقوادة (أي تسهيل الدعاية) والمخدرات... الخ...

ويضيف رئيس «الموساد» قائلاً: ويسبب هذا السيل الكبير من المرضى النفسيين أو الشاذين أو المنحرفين، (تدنى المستوى الأخلاقي) في القوات المسلحة، وتدنى معه وبالتالي المستوى الانضباطي وظهر وضع جديد ألقننا وأقلق القيادة، مما دفع رئيس الأركان السابق «مردخاي غور» إلى الاحتياج والمطالبة بتغيير هذا الوضع الذي يصعب على قادة الوحدات التغلب عليه. ونذكر لسيادتكم أنه لوحظ منذ تطبيق سياسة التوسيع في عام ١٩٧٤ انتشار عدد من المظاهر غير الانضباطية على الشكل الآتي:

- أ - عدم احترام الضباط ذوي الرتب العالية.
- ب - عدم ارتداء الضباط الصغار وحتى الكبار (واقية الرأس) المسماة (القبعة أو السيدارة) وترك الجبل لشعرهم على الغارب كالهبيين.
- ج - تكاثر حالات الغياب من الثكنات.
- د - عجز الشرطة العسكرية عن فرض هيبتها السابقة وضبط المخالفين.
- ه - سرقة الأسلحة من المستودعات وبيعها، بالإضافة إلى سرقة معدات وتجهيزات الزملاء في الخدمة.
- و - تعاطي المخدرات داخل الثكنات وخارجها.
- ز - اعتصام النساء سواء من جوار الثكنات أو خارجها.
- ح - تعاطي الشذوذ الجنسي بين مختلف الرتب.

ويضيف رئيس المخابرات الاسرائيلية موجهاً خطابه الى مناحيم بیغن قائلاً: ولقد احتاج قادة الوحدات على هذا الوضع، وطالبوه بالتخاذل تدابير التي تضمن حماية الانضباط في القوات المسلحة. ولكن رئاسة الأركان كانت ترد على التقارير التي تصلها من الوحدات بالتأكيد على أن التخلص من هذا الوضع الشاذ يتطلب العودة الى تطبيق قوانين التجنيد (السابقة) التي تمنع المنحرفين من دخول القوات المسلحة؛ وأن هذه العودة متعددة بسبب الحاجة الماسة لاعداد كبيرة من الجنود لأسباب تتعلق بالمصلحة العامة لاسرائيل. وأن المجتمع الاسرائيلي ليس له قدرة على تأمين العدد الكافي من الجنود الأسيواد. ونحن نعلم أنه في عام ١٩٧٥، اتخذت تدابير في حصر خدمة الجنود المنحرفين بالوحدات الادارية، وعدم ضمهم الى الوحدات المقاتلة حتى لا ينقلوا اليها عاداتهم السيئة. ومع هذا فقد انتشرت ظواهر الاجرام وتعاطي المخدرات في وسط الوحدات الادارية وخاصة بين سائقي سيارات الضباط وعمال المصانع العسكرية والورشات وحراسات المستودعات الخلفية.

وقد أدى انتشار تعاطي المخدرات بين القوات المسلحة الى بروز ظاهرة «الانتحار» بين العسكريين. ولدينا تقرير يفيد أن نسبة المترحرين من العسكريين قد زادت ٦٥٪ عن السابق، وأن الدافع الى الانتحار هي اليأس والقنوط الذي يصيب العسكريين ويدفعهم الى تعاطي المخدرات. وفي حال فشل المخدرات في حل مسألة اليأس والقنوط يلجأون الى «الخيار» الأخير المتمثل بالهروب من الحياة الى الموت انتحاراً.

ويؤكد رئيس «الموساد» بقوله: ولا زالت مشكلة الانتحار تقلقنا حتى الآن رغم تعيين مئات الباحثين النفسيين والأطباء في مختلف وحدات القوات المسلحة لدراسة ظاهرة الانتحار المتفشية ووضع الدراسات اللازمة لمعالجتها. ويبدل ما اطلعوا عليه حتى الان أن اليأس قد تغلغل في نفوس أغلب العسكريين لعدة أسباب أهمها:

- أ - فقدان الثقة بالزعماء السياسيين لاسرائيل.
- ب - اهتزاز الثقة بإمكانية بقاء دولة اسرائيل.
- ج - الشكوك التي تحيط بتصرفات الحكومات المتعاقبة.
- د - خيبة الأمل الناجمة عن عدم قدرة الجيش الاسرائيلي على تحقيق انتصار حاسم ونهائي على العرب.
- ه - شعور العسكريين الاسرائيليين بأن الانتصار التاريخي على العرب متذرّع لأسباب ديموغرافية واستراتيجية، خاصة بعد تامي الثورة العربية وفقدان القومية العربية والدعم العسكري والمعنوي والسياسي الذي يقدمه الاتحاد السوفياتي للعرب.
- و - الشعور بأن جميع التضحيات السابقة قد ذهبت أدراج الرياح، وأن كل حرب جديدة ستكون أقسى من سابقتها وتتطلب تضحيات أكثر.
- ز - التجاوزات المالية لكتار العسكريين والسياسيين التي يلمسها العسكري الاسرائيلي مما يدعوه للتساؤل: هل أقاتل من أجل هؤلاء الذين يختلسون ويسرقون ويصبحون من الأثرياء على حساب دمي وحياتي؟ ..
- ويضيف رئيس المخابرات الاسرائيلية قائلاً: وتنقول هذه الدراسات في نهايتها بأن رفع المستوى المعنوي والأخلاقي للجندي الاسرائيلي يتطلب تبديلاً جذرياً في المجتمع نظراً لاعتماد الجيش الاسرائيلي على المجندين الذين يفدون اليه من المجتمع رأساً، على أن يشمل هذا التبدل تطهير أجهزة الدولة من القاعدة الى القمة، والعمل على أن يستعيد الشعب الاسرائيلي ثقته بالقوات المسلحة من خلال انتصار باهر على العرب، وطمأنة المواطنين الاسرائيليين الى مستقبلهم، ولفت نظرهم الى فضل الصلح التعاقدى الذى عقد مع مصر أقوى دولة عربية، والأمل بأن يؤدي هذا الصلح الى إجبار الدول العربية الى التصالح معنا.

ويستطرد رئيس «الموساد» مخاطباً مناصبه يgren حول:

- وضع المجنّدات الأخلاقي في الجيش الإسرائيلي، فيقول: إن قضية خدمة الفتيات الإسرائيليّات في الجيش تشكّل مشكلة بحد ذاتها، نظراً لأنّ الأحزاب الدينية تعارض تطبيق الخدمة الالزامية على الفتات. ولكن حاجة القوات المسلحة الإسرائيليّة للقوة البشرية وعدم كفاية الرجال للاشغال كل الخدمات، جعل حكوماتنا المتعاقبة ترفض الانصياع لمطالب الأحزاب الدينية، وتكتفي بحل وسط يمثل في تجنيد الفتات غير المتدينات، ويوسع كل فتاة أن تتخلص من الخدمة الالزامية بعد حصولها على وثيقة من الحاخامية اليهودية تثبت أنها متديّنة. ونظراً لأنّ الحاخامية تسهل الحصول على هذه الوثيقة بحكم تعاطفها مع الأحزاب الدينية، فإنّ من الممكن القول أن مجنّداتنا عبارة عن متطوعات باختيارهن تقريباً.

وليس وجود الفتات في الجيش أمراً مقلقاً لو كان المجتمع الإسرائيلي متمسكاً بأهداب الفضيلة. ولكن وجود المجنّدات مع الانهيار الخلقي العام في إسرائيل الذي تحدث عنه، واختلاط الجنسين في ظروف غير طبيعية، يؤدي إلى نشوء علاقات جنسية لا تخضع للضوابط الاجتماعيّة، ولا يحرم القانون العسكري الإسرائيلي على المجنّدة إقامة مثل هذه العلاقات مع أي جندي أو ضابط، شريطة أن يتم اللقاء الجنسي خارج القواعد العسكرية، وعلى بعد لا يقل عن ستة أمتار منها. ولكن القانون نفسه يحرم على المجنّدة العمل غير الشرعي، و تكون عقوبة المجنّدة العامل (الطرد من الخدمة). ولعلمكم يا حضرة رئيس الوزراء، فقد ذكر «عزرا وايزمان» عندما كان وزيراً للدفاع ردأ على سؤال عضو الكنيست «غيشولا كوهين» بأن عدد المجنّدات اللواتي يطردن من الخدمة سنويّاً بسبب العمل غير المشروع يصل إلى ١٥٠٠ / مجنّدة.

ومن المعلوم أن المجنّدات لا يخدمن في جميع الأسلحة، بل تقتصر خدمتهن على الخدمات الإدارية التابعة لقطعات المدفعية والمدرعات. ولكن وجود قواعد هذه القطعات في أماكن بعيدة عن المدن، جعلت الجنود

المعزولين عن الجنس الآخر، يلتحقون مجندات الشؤون الادارية بشكل مفتوح، بل ويعتدون عليهم بالقوة أحياناً، الأمر الذي زاد من معضلة الانضباط داخل الوحدات، ويشغل قادة هذه الوحدات بمشاكل يومية إضافية. لذلك تم استبعاد الفتيات من سلاح المدفعية والمدرعات، واقتصر عملهن على الخدمة في الوحدات الادارية الخلافية وسلاح البحرية.

ومع ذلك، فقد تزامن وصول الفتيات بأعداد كبيرة إلى الوحدات الادارية مع تجميع المنحرفين في هذه الوحدات أيضاً، بعد إبعادهم عن القطعات المحاربة كما ذكرنا. ونجم عن ذلك وضع غير طبيعي تمثل في انتشار الفساد على نطاق واسع، بل والى اقامة حفلات دعارة داخل التكتبات نفسها، وانتقال تعاطي المخدرات الى المجندات، الأمر الذي أثار أهالي المجندات ودفعهم الى الاحتجاج. وأعطى الأحزاب الدينية مبرراً للضغط أكثر وأكثر لإلغاء تجنيد الفتيات.

وكانت خدمة الفتيات في سلاح البحرية بعيدة عن الأضواء. وكانت المعلومات تؤكد نجاح المجندات في هذا السلاح، الى أن انفجرت فضيحة القائد السابق للبحرية الاسرائيلية «ميخائيل بركاي»، الذي استغل وظيفته ورتبه وقام باغتصاب مجندتين من سلاح البحرية. ولكن المجندتين المغتصبتين لم تبلغا عن حادثة الاغتصاب في حينها. وكان من الممكن إخفاء هذه القضية لولا أن عضو الكنيست السيدة «شولا ميت ألوني»، علمت بها وأثارتها داخل الكنيست بتاريخ ١٨ تشرين الثاني /نوفمبر ١٩٧٨. ولقد أثبتت التحقيقات أن الجنرال بركاي اغتصب المجندتين خلال خدمتهما الرسمية تحت أمرته. وقد تجرأت فتاتان غيرهما كانتا من عدد المجندات لدى الجنرال ميخائيل، واعترفتا بأنه مارس معهما الجنس في مكتبه لدى مقابلته لأسباب تتعلق بوضعهن في الخدمة، فتقرر تجميد خدمته فوراً، وأحيل الى المحكمة العسكرية الخاصة بتاريخ ١٩/١١/١٩٧٨. ورغم تبرته لعدم ثبوت الدليل (لأن الفتات الأربع لم يستطعن الحضور والظهور أمام المحكمة خشية

الفضيحة والصحافة)، فإن القضاة كانت لديهم قناعة تامة بأنه (مذنب)، مما دعاهم إلى تقديم توصية بتجميله، إلى أن يقرر الزعماء السياسيون مصيره (وقد سرّح من الجيش فعلًا فيما بعد بقرار سياسي). وهناك إشاعات بأنه اغتصب الكثيرات وأنه ليس الضابط الوحيد الذي أقدم على مثل هذا العمل. وأن عدم اكتشاف هؤلاء يعود إلى أن المجنديات المغتصبات يلجان للصمت خوفاً من الفضائح. ومن هنا جاء التحرك المستمر من الأحزاب الدينية ضد خدمة المجنديات في القوات المسلحة. (وهذا ما دفع وزير الدفاع الصهيوني بتاريخ ٢٠ أيلول/سبتمبر ١٩٨٣، أن يصدر أمراً يقضي بتزويد المجنديات الاسرائيليات بعلب رش صغيرة تحوي غازاً مسّيل للدموع للدفاع عن أنفسهن ضد الاغتصاب الجنسي بعد أن كثرت الشكاوى من العائلات الاسرائيلية التي تتعرض بناتها للاغتصاب...).

وبتابع رئيس المخابرات الاسرائيلية خطابه إلى مناحيم بیغن فيقول: وبعد، إننا اذا نعرض هذه الظواهر الأربع بالإضافة الى انعدام الانضباط الخارجي (كالتحية التي اختفت منذ سنين. اللباس العسكري). اتصرف في الشارع والمحلات العامة) تدل على وجود أزمة معنوية حقيقة داخل الجيش الذي يتصرف أفراده بعد ٣٤ سنة من الاستقلال وانشاء الدولة وقواتها المسلحة النظامية وفق التقاليد والمفاهيم الانضباطية التي كانت سائدة أيام (الهاغاناه) و(شتيرن) و(ارغون) التي سبقت ظهور الدولة، مع فارق ذكره بالاحترام وهو أن رجال الهاغاناه وشتيرن والارغون كانوا يملكون نفسية الرواد، في حين أن غالبية الشبيبة الاسرائيلية الحالية مصابة بأمراض المجتمع الرأسمالي ، وفي مقدمتها الضياع والانحلال الخلقي وعدم الاحساس بالضوابط والروابط الاجتماعية.

ويخلص رئيس «الموساد» الى اقتراح مفاده: نقترح الأخذ بما جاء في هذا التقرير والدعوة الى اجتماع يحضره السيد وزير الدفاع والسيد رئيس الاركان والسيد وزير الشرطة والقضاة العسكريون لتدارس ما يمكن اجتنابه بشكل جذري وخدمة للمصلحة العامة للشعب الاسرائيلي.

يرفع مع الاحترام
رئيس المخابرات الاسرائيلية

وبما أن التقرير لم يذكر اسم مدير المخابرات الاسرائيلية، فإننا نؤكد بأنه الجنرال «تسفي زامير» الذي خلفه «اسحاق حوفي» في أول سبتمبر ١٩٧٤.

المراجع

- ١ * مجلة «استراتيجيا» (اللبنانية). العدد ٣. شهر يناير ١٩٨٢. ص ٩١ - ٩٣ (دراسة للباحث عصام الجزار بعنوان: الانهيار الخلقي في الجيش الإسرائيلي).
- ٢ * سعيد الجزائري «المخابرات والعالم» الجزء الثاني. منشورات مكتبة التوري. دمشق. دون تاريخ. ص ٤٣٩ - ٤٥٣.

اسرار عملية اغتيال جوهرة القارة الآسيوية انديرا غاندي

في الوقت الذي كان فيه شهر اكتوبر ١٩٨٤ ، يطوي آخر ورقة في روزنامته ، كان العالم بدوره يقف مشدوهاً أمام نبأ اغتيال رئيسة وزراء الهند، انديرا غاندي .

فمن هي هذه المرأة؟ ولماذا اغتيلت؟ وما هي أسرار عملية اغتيالها؟.

تعتبر انديرا غاندي جوهرة القارة الآسيوية ، والشخصية الوطنية الأولى في الهند ، وأبرز الرموز الحية لحركة عدم الانحياز ، واحدى كبار الزعماء المعروفين في العالم .

لقد ولدت انديرا غاندي في مدينة الله أباد (Allahabad) بولاية «أوتار براديش» في التاسع عشر من شهر تشرين الثاني / نوفمبر ١٩١٧ . وهي الابنة الوحيدة لرئيس الوزراء الهندي الزاحل «جواهر لال نهرو». وجاء اغتيالها قبل عشرين يوماً من بلوغها عامها السابع والستين .

لقد ولدت انديرا غاندي دون أي شك «في السياسة» أكثر من أي شخص آخر بين معاصرتها من حكام البلدان الأخرى . وتكرس وجودها «للسياسة» على حساب أي اهتمام آخر ، حتى أنها حولت حياتها العائلية نفسها إلى عمل سياسي .

كانت طفلة عندما اعتقلت قوات الاحتلال البريطاني والديها بسبب

نشاطاتهما السياسية من خلال الحركة الوطنية الهندية. وكان أبوها، ذلك المحامي الشاب المعروف جداً، يوليه اهتماماً خاصاً، حيث كان أثناء سجنه يرسل إليها رسائل توجيهية وتعلمية شبه يومية، وقد نشرت هذه الرسائل عام ١٩٤٢ تحت عنوان: «رسائل من أب إلى ابنته»، حيث جاء في أحدها، عندما لم تكن انديرا قد بلغت بعد الثالثة عشر من عمرها، قائلةً:

«هل تذكرين كيف سحرتك قصة «جان دارك» عندما كنت تقرئينها لأول مرة، وكيف كان طموحك يشبه إلى حد كبير طموح هذه البطلة الفرنسية. إننا اليوم نصنع التاريخ في الهند، ولا شك أننا سعداء الحظ أن نكون بين الذين يشهدون ما يجري الآن من أحداث في بلادنا. ابني لا أعرف ما هو الدور الذي سنقوم به، ولكن مهما كان دورنا فيجب أن نذكر دائماً أنه يجب إلا نقدم على عمل من شأنه أن يقلل من أهمية قضية بلادنا أو يجلب العار لمواطيننا. الوداع يا صغيرتي وأأمل أن أراك تكبرين لتصبحي جندية شجاعاً في خدمة بلدك».

أنهت انديرا غاندي دراستها الجامعية في بريطانيا، وبالتحديد في جامعة اوكسفورد، وهناك تحدد التزامها السياسي بانتسابها إلى الحزب العمالى، وكانت قد تعرّفت أثناء إقامتها في بريطانيا على هندي شاب اسمه «فiroز غاندي» Feroze Gandhi (لا يمت بصلة القرابة إلى المهاجم)، وتزوجته عام ١٩٤١، إلا أن شهر العسل كان قصيراً لأن انديرا دخلت السجن يوم وصولها إلى الهند وبقيت فيه ثلاثة عشرة شهراً بسبب نشاطاتها السياسية.

أنجبت انديرا غاندي ولدين هما راجيف وسنجاي. وعاشت فترة طويلة من حياتها في مقر والدها رئيس الوزراء، الذي جعلها معاونته المقربة، وشاركته في نشاطاته الداخلية منها والخارجية. كما كانت بجانبه عام ١٩٥٥، في أهم مؤتمر دولي في ذلك الوقت، هو مؤتمر باندونغ. إلا أن ابنها سنجاي قتل عام ١٩٨٠، في حادث تحطم طائرة، في الوقت الذي كانت تعدد له ليكون خليفة لها.

في عام ١٩٦٢، وبعد حرب الحدود بين الهند والصين، أصبحت انديرا رئيسة للمجلس المركزي لحزب المؤتمر. وبعد وفاة والدها عام ١٩٦٤، اختيرت وزيرة للإعلام في حكومة «بهادر شاستري». وعندما توفي هذا الأخير في يناير ١٩٦٦، انتخبت رئيسة لحزب المؤتمر الهندي، وكلفت بتشكيل الحكومة في ٢٤ يناير من العام نفسه. وظلت في موقعها حتى مصرعها، باستثناء فترة ثلاثة سنوات قضتها في المعارضة بين ١٩٧٧ - ١٩٨٠، حيث كانت هذه المرحلة من أقسى مراحل حياتها.

وانطلاقاً من دورها وأهميتها ووزنها على الصعيد الوطني والدولي، فقد منحتها جامعات عدة الدكتوراه الفخرية، منها جامعة موسكو، وجامعة اوكتافورد، وجامعة السوربون، وجامعة بغداد، وجامعة طوكيو، وجامعة انдра اغرا. ومن نشاطاتها البارزة الأخيرة ترؤسها لدوره حركة عدم الانحياز التي عقدت في عام ١٩٨٣ في نيودلهي. وكان آخر نشاط لها عودتها قبل يوم واحد من مصرعها من جولة انتخابية حيث من المقرر أن تجري الانتخابات الهندية في آخر عام ١٩٨٤، خطبت فيها قائلة: «ان دمي سينعش الهند»، معتبرة عن فخرها بأنها وهب حياتها لخدمة البلاد.

من هذا المنطلق، نؤكد بأن عملية اغتيال انديرا غاندي ليست مجرد عمل انتقامي ارتكبه جماعة «السيخ»، بل هناك جهات دولية استغلت خلاف زعيمة الهند مع هذه الأقلية لتدير قتلها وإشعال حربأهلية تكون نتيجتها تقسيم بلاد الهند مرة جديدة.

وتقسيم الهند في نظر خبراء السياسة الدولية يوازي بخطورته ما حصل في بلاد البلقان. ومن هنا بداية الحديث عن.. «بلقنة الهند». وقد كان لرئيس الحزب التقدمي الاشتراكي الاستاذ وليد جنبلاط قصب السبق في تعليقه على هذا الحديث عندما قال: «ان اغتيال السيدة غاندي يعتبر ضربة تستهدف العالم الثالث ودول عدم الانحياز، لما تمثله السيدة غاندي ابنة القائد الكبير «جوامر لال نهرو» وهي التي تفانت في سبيل الحفاظ على حركة

عدم الانحياز. كما أن العملية الاجرامية الأئمة تستهدف تقسيم الهند وتفتيتها على يد الاستعمار». والحقيقة أن في هذا التصریح تکمن كل الابعاد الجوهرية لعملية اغتیال «جوهرة قارة آسیا»، بمشاركة نائب مفتش الشرطة الهندية «بینت سینغ» الذي قتل في الحادث، والذي كانت تعتبره غاندي من أقرب المقربين لها، ومن أكثر الاشخاص الذين كانت تثق بهم. وقد ردت صحيفة «اندیان اکسپرس» الهندية عن «بینت سینغ» قوله في كلمات أخيرة: «لقد فعلت ما كان يجب عليّ أن أفعله». لقد عادت «سفیلانا» ابنة ستالین الى وطنها ولقيت ابنة نہرو ومصرعها في عقر دارها.

حادثان لم يفصل بينهما زمنياً إلا أيام معدودة، وفصلت بينهما مكانياً. مسافات البعد بين لندن، حيث عاشت ابنة ستالين آخر سنواتها في الغرب، وبين نيودلهي حيث عاشت ابنة نہرو، حياة الهند السياسية طولاً وعرضًا منذ ما قبل الاستقلال بسنوات.

فماذا يجمع بين الحادفين: التصادف الزمني وحده؟ لا.. ثمة عامل مشترك واحد آخر.

كانت عملية تهريب ابنة ستالين الى الولايات المتحدة قبل ۱۷ عاماً، احدى مراحل الهند، وبالتحديد انديرا غاندي، اذ أن هذا التهريب تم أساساً على أرض الهند. واستغلت فيه الحصانة الدبلوماسية لعدد من الأميركيين بينهم السفير الأميركي في نيودلهي آنذاك، «تشيسنر باول».

ولقد كانت المرارات متبادلة بين انديرا غاندي والحكومات الأميركيّة المتعاقبة كثيرة، وأكثر من أن تحصى. مع ذلك، فإنه عندما وصلت بررقية وكالة «ناس» السوفياتية في اليوم التالي لاغتيال انديرا غاندي الى واشنطن، حاملة اتهام موسکو لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركيّة، بتدير اغتيال زعيمة الهند، فغر الأميركيون أنفواهم دهشة: بعض المسؤولين في وزارة الخارجية امتصض وهو يقرأ نبأ الاتهام... مسؤولون في البيت الأبيض قهقهوا بصوت مرتفع.. وهذا دليل آخر برأيهم على أن السوفيات فقدوا صوابهم،

ربما من شيخوخة زعمائهم، فلم يعودوا يدركون أن هناك أشياء يمكن تصديقها في أي مكان من العالم، منها القول أن أميركا وراء اغتيال انديرا غاندي.

وبالفعل بدا الاتهام، غريباً، بل مضحكاً لأول وهلة. وقد أثار غضب بعض المراسلين الهنود في واشنطن، ومنهم من لا يكن موعدة خاصة للولايات المتحدة. فحتى حادثة تهريب ابنة ستالين إلى أميركا قبل ١٧ عاماً، لم تؤد إلى ضربة انتقامية من جانب الهند، ويمكن القول أنها نسيت ونسي دور «السي. اي. اي» فيها. أليس كذلك؟.

ليس كذلك بالضبط. فالحقيقة الأكثر أهمية من مصادفة عودة «سفيلانا ستالين» إلى وطنها واغتيال انديرا غاندي في خلال أيام معدودة، هي من نوع الحقائق التي لا دخل للمصادفة فيها. أنها حقيقة تاريخية ومعقولة ليس فيها شيء واحد مطروق للإتهام. هذه الحقيقة هي أن انديرا غاندي غابت عن الحكم فترة قصيرة للغاية، أقل من ثلاث سنوات، خلالها حكم الهند رجل كان يقبض معاشًا شهرياً من وكالة المخابرات المركزية الأميركيه ضمن القائمة التي سبق أن كشفتها الصحافة الأميركيه في احدى نوبات الثورة على دور الجاسوسية الأميركيه في صنع السياسة الخارجية... .

تولى «مورارجي ديساي» رئاسة حكومة الهند بعد انشقاق خطير أحدهه بداعي تأمري غير عادي في صفوف حزب المؤتمر، أخرج انديرا غاندي من السلطة إلى السجن مؤقتاً، ولكن في أول منعطف جرت عنده الانتخابات عادت انديرا غاندي مكتسحة ديساي وجناحه. و«مورارجي ديساي» كان العوبة هنري كيسنجر في الهند، كان أداة لوزير الخارجية الأميركي الأسبق لتحطيم السياسة الهندية، ولتحطيم الهند كلها إذا لزم الأمر.

كانت انديرا غاندي قد اتخذت قرارها الاستراتيجي بتأييد قيام دولة بنغلادش، ودخول الحرب ضد باكستان. من أجل هذه الغاية، في وقت

كانت فيه الصين قد أعلنت أنها ستقف في صف باكستان اذا هاجمتها الهند، وأعلنت أميركا أنها لن تستطيع الوقوف في وجه الصين اذا قررت اجتياح الهند. وقبلت انديرا التحدي ، وانتصرت ، أما الصين ، فإنها لم تتدخل ، وأما أميركا فقد اكتشفت أنها لا تستطيع أن تمزق أوصال الهند ، ولا حتى أن ترعبها بالغول الصيني .

في ذلك الوقت ، ١٩٧١ ، كان «مورارجي ديساي» يوافي وكالة الاستخبارات المركزية بتقارير مستمرة ، وببعض مكافأته الشهرية بانتظام ، حتى بعد أن فصلته انديرا من منصبه كنائب لرئيس الوزراء في عام ١٩٦٩ . ظلت الوكالة المركزية تشير اليه بتقاريرها السرية الى الرؤساء الأميركيين على أنه واحد من أهم أرصدة الوكالة كما يقول «سيمور هيرش» الكاتب المحقق الأميركي في كتابه «ثمن السلطة . . . كيسنجر في البيت الأبيض» .

غير أن رجل أميركا في نيودلهي «مورارجي ديساي» تسبب في وقوع كيسنجر والحكومة الأمريكية في أكبر ورطة في منطقة جنوب شرق آسيا ، حيث وافاها في أغسطس ١٩٧١ بتقرير يفيد أن الاتحاد السوفيتي وافق على توقيع معاهدة صداقة وتعاون مع الهند ، كتمن غير محدود الأجل ، لخطة الهند للإعتراف بباكستان الشرقية .

وقد قلب هذا التقرير مفاهيم البيت الأبيض التي كان قد حددتها كيسنجر ، بأن الاتحاد السوفيتي يسعى الى إذلال الصين وبباكستان والولايات المتحدة معاً بالانضمام الى الهند في موقفها من الأزمة مع باكستان . . . وقتها اعتبرت وكالة الاستخبارات المركزية أن حياة مصدرها في نيودلهي أصبحت في خطر ، لأن صحيفة «نيويورك تايمز» علمت بأمر هذا التقرير ونشرت مضمونه منسوباً الى مصدر استخباراتي في نيودلهي . واستمرت الملاحقة الاستخباراتية الأمريكية للهند طوال أزمة باكستان الشرقية .

وتكشف التطورات بعد ذلك أن الأميركيين أقاموا اتصالات موازية للاتصالات مع ديساي ، مع أحد زعماء باكستان الشرقية وهو: «خندقان

مشتاق» بهدف تدبير محادثات مباشرة بينه وبين دكتاتور باكستان العسكرية «بحي خان»، بإحاطة دور الشيخ مجتب الرحمون زعيم حزب «عوامي». وقد كشفت انديرا اللعبة فامتنعت عن المشاركة في مثل هذه المباحثات فيما كان الشيخ مجتب لا يزال في السجن. فيما بعد أصبح «خندقار مشتاق» زعيماً لحركة التمرد التي اغتالت الشيخ مجتب الرحمون في حركة انقلابية مفاجئة في عام ١٩٧٥، بعد استقلال بنغلادش بأربع سنوات، وهي حركة انقلابية، نسبت أيضاً في ذلك الوقت إلى أعمال «السي. اي. ايه». كانت انديرا تخرج من معركة مع أميركا إلى معركة أخرى. بعض المعارك استمر لسنوات طويلة، ولم يكن بطبيعته من المعارك التي يمكن أن تنتهي إلى نتيجة حاسمة، بهزيمة طرف لطرف آخر. مثلاً، معركة الهند ضد الحرب الأمريكية في فيتنام: من البداية إلى النهاية وقفت الهند ضد هذه الحرب، وجمعت عالم عدم الانحياز بأكمله وراء مقاومة العدوan الأميركي على فيتنام بكل الأساليب الدبلوماسية والمعنوية في الأمم المتحدة وفي مؤتمرات عدم الانحياز، وفي كل مجال آخر.

في عام ١٩٧٤، كانت للهند معركة أخرى مع الولايات المتحدة عندما أجرت الهند تجربتها النووية، وتبين أن الاستخبارات المركزية الأمريكية بكل ما لها من رصيد داخل الهند، لم تتمكن من التنبؤ بهذا التطور، وطبعاً لم يكن هذا العجز وحده مصدر غضب واشنطن، بل تصميم انديرا على استقلالية الهند، ورفضها الخضوع لأي ضغط والوقوف تحت آية مظلة كبرى.

كما لم يكن من المتصور سياسياً أن تخضع الهند للضغط الاقتصادي الأمريكية المتالية لكي تعزل نفسها عن الدولة الأعظم الأخرى - الاتحاد السوفيتي - وهي تواجه هذا المحور الذي يزداد قوة بين واشنطن وبكين. لهذا فإن الهند لم تتخذ موقفاً معارضأً كما كانت تشتهي واشنطن ضد دخول القوات السوفياتية تشيكوسلوفاكيا في العام ١٩٦٨، ولا دخول القوات السوفياتية أفغانستان في أواخر العام ١٩٧٩، بل ان موقف حكومة الهند من حكومة

ايران الثورية لم يكن مصدر ارتياح بأي حال لحكومة واشنطن.

ولم تكفل المحاولات الاميركية أبداً عن السعي الى هدف تغيير سياسة الهند الخارجية بدفعها باتجاه الولايات المتحدة. ولم تكفل انديرا غاندي عن مقاومة هذه المحاولات، بمقدمة سياسية نادرة.

آخر محاولات حكومة ريفان لمحاصرة انديرا غاندي في الهند بنظم الحكم اليمينية، كانت من خلال دعم الحكومة اليمينية في سيريلانكا (سيريلانكا سابقاً) التي تقف عند الطرف الجنوبي لشبه القارة الهندية. وقد فتحت واشنطن الباب أمام اسرائيل لتقوم بدور عسكري غير مباشر بدعم حكومة شديدة العداء لأنديرا غاندي في سيريلانكا، بدعوى تقديم المساعدة العسكرية بصورة أسلحة وتدريب ومعلومات من «الموساد» (المخابرات الاسرائيلية) لحكومة «جاي واردين» في سيريلانكا ضد الجماعات الانفصالية التي تدعمها الهند. وطبيعة الحال، لم تكن اسرائيل تفتقر الى الدوافع الخاصة لكي تجد ميداناً تخوض فيه معركة ضد حكومة انديرا غاندي التي أيدت العرب على طول الخط في قضيابهم القومية في كل المجالات.

وتتجه شبكات كثيرة من الدوائر الدبلوماسية الى اسرائيل أيضاً، فيما يتعلق بتسلیح الجماعات الانفصالية المتمردة من طائفية «السيخ» بالهند، في الفترة التي سبقت اغتيال انديرا غاندي مباشرة. ذلك أن كميات الأسلحة الاميركية التي اكتشفتها القوات الهندية داخل «المعبد الذهبي» لطائفة «السيخ» التي اقتحمته في أعقاب الاضطرابات الأخيرة، قد أذهلت الكثيرين. وأكدت الحكومة الهندية نفسها معرفتها بأن هناك دولاً أجنبية وراء هذا التسلیح الكثيف، لكنها للاعتبارات الدبلوماسية والأمنية معاً، آثرت ألا تحدد هذه الدول.

غير أن اللافت للنظر حقاً أن اغتيال انديرا غاندي جاء في وقت كانت تشهد فيه العلاقات بينها وبين حكومة ريفان، أعلى لحظات توترها، خصوصاً بعد أن أعلن ريفان أنه مستعد لتقديم مظلة نووية أميركية بلا شروط

لباكستان، في الوقت نفسه الذي كانت سلطات «البتاغون» تقوم بعملية تسريع لتسليم كميات ضخمة من الأسلحة الأميركية لباكستان بينما طائرات «اف ۱۶» القاذفة المقاتلة.

وكانت انديرا غاندي قد أعلنت قبل أيام من اغتيالها أنها طلبت من الرئيس الأميركي ريجان توضيحاً لتصريحاته، واعتبرت أن سياساته تشكل خطراً مباشراً على أمن الهند القومي. وقد اضطرت واشنطن إلى إيفاد «ريتشارد مورفي» إلى نيودلهي، ربما لممارسة عملية خداع على الطريقة الكيسنجرية السابقة.

وفي حضور مورفي مساعد وزير الخارجية الأميركية لشؤون الشرق الأوسط وجنوب آسيا، أشارت انديرا إلى وجود معاهدة بين الهند والاتحاد السوفياتي تقضي بتبادل المشورات في حال تعرض أي منها لمثل التهديدات التي تمثلها تصريحات ريجان.

كما أكدت انديرا لمورفي ما سبق أن أعلنته حكومتها من أن معلوماتها تفيد، أن مصادر أجنبية معينة، قواعدها في الولايات المتحدة وكندا وأوروبا الغربية وإسرائيل، قدمت دعماً شططاً لعناصر الاضطراب في ولاية البنجاب الهندية في يوليو سنة ۱۹۸۴. واستخدمت انديرا اسم «السي. اي. اي» صراحة وهي تتحدث عن نشاط المتطرفين من طائفة «السيخ»، وأن بعض علماء هذه الوكالة وعدوا بتقديم مزيد من المساعدات من أجل إقامة دولة مستقلة للسيخ تحت اسم دولة «خالستان». ولم يكن من قبيل المصادفة أن تقول انديرا غاندي بالحرف الواحد قبل أقل من ۲۴ ساعة من اغتيالها: «إذا قتلت اليوم، فإن كل قطرة من دمي سوف تقوي هذه الأمة وتتشدد الهند» مع علمها المطلق بما يحتله أبناء طائفة «السيخ» من مناصب قيادية في السلطة الهندية، حيث نجد منهم الجنرالات والوزراء والنواب الاتحاديون وكبار المهندسين، ومنهم أيضاً رئيس الاتحاد الهندي «زايسيل سينغ» الذي أقسم «راجيف غاندي» (ابن انديرا) أمامه اليمين الدستورية بعد عملية اغتيال والدته

بتسعة ساعات.

هذا وتعرف الهند أكبر عدد من التناقضات بين دول العالم. إنها بلاد القوميات التي ما زالت تعيش تاريخاً حافلاً من الصراعات الدموية فيما بينها. والهند بلاد التعددية الإقليمية والدينية والعرقية واللغوية، بقدر ما هي بلاد الأثرياء الكبار والفقراء المسحوقين الذين يضرب بهم المثل. إنها بلاد يتضور فيها ملايين الناس من الجوع وأمام أعينهم تسرح الأبقار «المقدسة» وتترعرع.

وتبقى بلاد الهند أحيناً بلاد راجيف غاندي الذي يتمتع إلى طائفة البارسي التي لا تشكل شيئاً في تعداد سكان الهند. فوالده من هذه الطائفة النخبوية التي تزوجت والدته انديرا أحد شبانها وأخذت منها اسم غاندي.

فهل يستطيع راجيف غاندي قيادة الديمقراطية الهندية؟.

مهنته الأصلية قيادة الطائرات. وهو يعرف جيداً أنه يكفي للطيار أن يرتكب خطأ صغيراً حتى يسقط من على . والهند في وضعها اليوم تشبه طائرة. ويكتفى راجيف أن يرتكب حماقة لكي تسقط الهند.. وتنفجر. وليس من العبث ما يسمع اليوم عن خطر «بلقنة الهند»، ووجود مؤامرة دولية خلف اغتيال انديرا غاندي ليست وكالة الاستخبارات المركزية الأميركيه «الموساد» بعيدة عنها.

ورغم كل ذلك، ستبقى انديرا مثالاً يحتذى به، لأنها تمثل فعلاً جوهرة القارة الآسيوية، ورمزاً للنضال الوطني والأعمى ، باعتبارها خبيبة بارعة في مقارعة المخاطر وتحدي أكبر قوة أميرالية في العصر الحديث، متمثلة بعدوة الشعوب رقم «١»: الولايات المتحدة الأميركيه.

لقد أحرق راجيف غاندي جثمان والدته حسب التقاليد الهندية العريقة، والتهمت النار الجثمان، طاوية بذلك صفحة زعامة ميزت فترة ما بعد استقلال الهند لتفتح صفحة جديدة في تاريخها... . وذرّ رماد انديرا في ملتقى أنهر ثلاثة: نهر جامونا ونهر الجانج المقدس ونهر ساراسواتي غير المرئي حسب

المعتقد الهندي .

لقد كان هذا الرماد رمزاً لحياة أفنيت في سبيل توحيد الهند بمختلف طوائفها وشعوبها وأقوامها .

وستبقى الجوهرة رغم كل التقلبات . فكيف اذا كانت جوهرة لقارة عملاقة هي قارة آسيا؟ .

المراجع

- ١ - مجلة «الكافح العربي» ال بيروتية . العدد ٣٣٢ - ١٠١٥ . الاثنين من ١٩ - ٢٥ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٤ . ص ٣٨ - ٣٩ .
- ٢ - جريدة «السفير» ال بيروتية . العدد ٣٧٧٦ . الاثنين ١٩ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٤ . ص ١١ (نقلأً عن جريدة «اللوموند» الفرنسية) ترجمة ر. ن.
- ٣ - جريدة «الأنباء» ال بيروتية . العدد ١٥٤٤ . الاثنين ١٩ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٤ . ص ١٨ - ١٩ .
- ٤ - مجلة «الأفق» القبرصية . العدد ٣٢ . الخميس ٨ نوفمبر ١٩٨٤ . ص ٣٠ - ٣٤ .
- ٥ - مجلة «كل العرب» الباريسية . العدد ١١٦ . الاربعاء ١٤ نوفمبر ١٩٨٤ . ص ١٩ - ٢٥ .
- ٦ - مايكل كوفمان (صحافي أميركي) «طائفة المسيح» . مجلة «الجيل» القبرصية . العدد التاسع . المجلد الخامس . سبتمبر ١٩٨٤ . ص ٦٠ - ٧٠ .

مردحاي فانونو بين الدسية والفضيحة

من أبلغ ما يطلق على السياسة الاسرائيلية في هذا العصر، دبلوماسية الحرباء والأفاعي الرقطاء، التي تعطي لكل ظرف لونه وأهميته تبعاً لمستلزماته ومتطلباته. ولم تكن «طرودها الدبلوماسية» إلا أحد أنجع الأساليب في تطبيق هذه السياسة. وطبعي أن «طردها الدبلوماسي» الذي حوى الخبرير النwoي الاسرائيلي «مردحاي فانونو» في طريقه من لندن الى تل أبيب في أواخر شهر أيلول/سبتمبر ١٩٨٦، لن يكون آخر طرودها... والحبال على الجرار.

فمن هو «مردحاي فانونو»؟ وما هو سر عملية اختطافه من لندن الى تل أبيب؟

القصة هي بعد ذاتها عالم من الأسرار والألغاز، ومحدودة التداول جداً... وقد رواها صديق مقرب من فانونو بقوله: أخبرني مردحاي بأنه ليس صهيونياً ولن يكون. وكل أصدقائه يعرفون عنه أنه يعمل في مصنع للنسيج لا في «مفاوض ديمونة». فـ«الشين بيت» (جهاز مكافحة التجسس الصهيوني) تلقن علماء مفاوض ديمونة ما يقولون وما لا يقولون، وهي تهددهم بالقتل اذا هم كشفوا عن هويتهم الحقيقة، وقد كانوا مراقبين أكثر خارج مكان العمل.

ويضيف: في كل مرة كان مردحاي يزورني كانوا يستدعوني للتحقيق... ولم أعرف أنه يعمل في ديمونة إلا قبل عام تقريباً، وقد أوصاني بعدم التصريح بهذه المعلومات. وقد أدرك فانونو من خلال عمله في مفاوض

ديمونا مخاطر الرعب النووي، واستيقظ «ضميره» وبدأ يعذ العذّة لكشف ادعاءات اسرائيل السلمية للعالم كله.

ولهذه الغاية تمكّن فانونو من اجتياز حواجز التفتيش المحيطة بالفاعل، مصطحبًا معه آلّه تصوير دقيقة. وفي مرّة أخرى أدخل أفلام التصوير. وكانت النتيجة أنّ حصل على صور غاية في الدقة والتتابع والتسلسل بحيث أدهشت خبراء الذرة الذين استقدّمتهم صحيفة «الصنّادي تايمز» البريطانية خصيصاً لفحص الوثائق والصور... مما يؤكّد على النيّة المبيّنة لديه لكشف ما يدور داخل مفاعل ديمونا.

ويستطرد صديق فانونو قائلاً: إن مردمخاي تقدم في أوائل عام ١٩٨٦ بطلب من الدوائر الأمنية الإسرائيلي للسماح له بالسفر إلى استراليا. ووافقت «الشين بيت»؛ لأنّه ليس في ملفه ما يريب أو ما يستدعي الشك في امكانية تسريب معلومات صحافية عن أسرار الذرة الإسرائيلي. فإن ذلك لا يشكل عامل قلق لإسرائيل، اذا لم تكن مؤثّة بالصور والمستندات والأدلة المقنعة.

وفي حين كان فانونو يتوجه إلى سيدني (استراليا)، أوعز إلى صديق آخر بحمل الصور معه إلى لندن، لعلمه بأنه سيتعرّض لتفتيش دقيق للغاية لدى مغادرته مطار اللد. وكانت شقّته مسرحاً لعمليات اقتحام وتفتيش عديدة ودقيقة منذ تقديمها طلباً للسفر إلى استراليا، تولّتها مخابرات «الشين بيت».

في سيدني، تعرّف فانونو إلى قسّ استرالي هو «جون ماكنات». وبعد صدقة دامت فترة قصيرة فقط، وبدافع من قناعاته السابقة، اعتنق فانونو المسيحية وصار بروتستانتياً. هذه الخطوة نبهت الحكومة الإسرائيلي إلى شخصه فافتتحت عليه العيون. وتساءل رسميون في إسرائيل كيف يسمح لخبير مثله بالسفر إلى الخارج وبهذه السهولة... ثم كيف لم تكتشف المخابرات الإسرائيلي نياته الحقيقة، سيما وأنه لم يذهب للعمل في مفاعل نوري استرالي؟ وتضيف بعض المعلومات أن مردمخاي فانونو اتصل بالمخابرات السوفياتية في سيدني، مما دفع «الموساد» لتعقبه ومداهمة منزله

دون أن يعثر على شيء. وقد أخبر صديقه «القس ماكنايت» بذلك، فنقل الصديق بدوره الخبر إلى وكالة الصحافة الفرنسية في القدس... ونشرت الفضيحة على الملأ.

ويرفقه صديقه «ماكنايت» انتقل فانونو إلى لندن حيث يوجد الصديق الثاني الذي يحفظ بالوثائق... وفي العاصمة البريطانية كانت المفاجأة الثانية.

سافر الصديقان واتصالاً سراً بالرجل الذي يحمل المستندات. ثم اتصلاً بصحيفة «الصنداي تايمز» البريطانية، وتم الكشف عن أسرار الترسانة النووية الاسرائيلية، لأول مرة بمثل هذه الدقة.

ان فانونو كان يعرف أن «الموساد» تتعقبه منذ وصوله إلى سيدني. وكان يعرف أيضاً نفوذ هذا الجهاز الخطير في بريطانيا، ومدى حجم العلاقة بين «الموساد» وجهاز المخابرات البريطانية (C. A. D)، ويعرف أنه إذا لم تحرِّ تصفيته على يد «الموساد»، فإنها ستتم بالتأكيد على يد البريطانيين. ولكن كيف نصبت «الموساد» له الفخ؟

بعد نشر المعلومات عن مفاعل ديمونا في صحيفة «الصنداي تايمز»، تأكّدت «الموساد» أن فانونو موجود في لندن، وبدأ رجال المخابرات الإسرائيليية يبحثون عنه وي追逐ون عليه حرّكاته وأنفاسه.

لم يكن مسلحاً، ولم يكن حذراً في تنقلاته. كان ينزل في فندق مماثلاً إلى المبلغ الذي قبضه ثمناً لمعلوماته... وكان له في لندن صديقان، أحدهما هو القس البروتستانتي ماكنايت، والأخر هو الصديق الذي حمل له الوثائق من إسرائيل، وقد فرّ بعد اكتشاف أمره إلى جهة مجهولة.

وقد كانت وثائق مردحاهي فانونو، صوراً من الداخل لمفاعل ديمونا. التقطت في تأين وترتيب، والتي تدل على أنه أمضى وقتاً غير قصير في

التصوير، وكان يعد صفقته عن سابق تصور وتصميم.

تعقب رجال «الموساد» مردحاي أيامًا دون جدوى، في الوقت الذي كانت فيه الضجة تملأ اسرائيل، بل العالم كله، وشيمون بيريز يصرخ في ١٤/١٠/١٩٨٦ بما يأتي : «ان المعلومات التي نشرتها «صنداي تايمز» ليست حقيقة، واسرائيل ملتزمة بالفكرة القائلة بأنها لن تكون أول دولة تدخل السلاح النووي إلى منطقة الشرق الأوسط».

فجأة وعلى غير موعد، ظهرت في لندن امرأة جميلة تدعى «سيندي»، أنها صديقة فانونو. كانت قد أرسلت له رسائل عدّة إلى سيدني... ولم يصدق مردحاي عينيه إذ رآها... وبعد حديث طويل، وكلام فيه كثير من الشوق، أقنعت الصديقة مردحاي بالخروج من لندن (حيث المتاعب) إلى عرض البحر، في سفينة سياحية متوسطة الحجم، وواافق على رحلة العج هذه. لكن الرحلة لم تنته كما كان يحلم، بل انتهت إلى سفينة أخرى، تبين فيما بعد أنها اسرائيلية... وانتهى مشوار العج إلى زنزانة باردة في تل أبيب. ولم تكن الحبيبة الا احدى عملاء «الموساد» وقد أجادت الدور بدقة. ويبدو أن تحذيرات القدس ماكنايت، الذي شكك في أمرها، لم تنفع. فنداء القلب كان أقوى.

غير أن هذه الرواية ليست الوحيدة التي تتردد عن اختفاء فانونو وظهوره في اسرائيل. بعض الصحف الغربية تشير إلى أنه ربما يكون قد خطف أثناء نزهة مع «الحبيبة» قام بها في «نهر التايمز»... و«الشين بيت» لا تقول شيئاً. أما كيف استطاع فانونو العبور إلى داخل مفاعل ديمونا مع آلة التصوير الدقيقة فمسألة تخضع للبحث داخل «الشين بيت»؛ والصحافة البريطانية تنقل عن اسحق شامير قوله أن مسؤولاً كبيراً في هذا الجهاز أعفي من منصبه. ولكن كيف تمكنت «الموساد» من اختطاف فانونو في لندن ونقله إلى اسرائيل؟ فتلك هي المسألة الأهم في هذه القضية؟

أكملت صحيفة «الفايننشال تايمز» بتاريخ ١٤ نوفمبر ١٩٨٦ ، «ان

الاستخبارات البريطانية ساعدت «الموساد» في خطف فانونو من بريطانيا. ونسبت معلوماتها إلى أحد كبار السياسيين الإسرائيليين، لكنها لم تكشف هويته.

وواقع الأمر هو كالتالي: قبل أسبوعين من اختفاء فانونو، تم اتصال هاتفي بين رئيس وزراء إسرائيل في ذلك الوقت شيمون بيريز، ورئيسة وزراء بريطانيا مرغريت تاتشر.

وفي تلك الفترة، لم يكن أحد يعلم بوجود فانونو في لندن سوى عدد من محرّري الصحفة البريطانية الذين تولوا مهمة إعداد الموضوع الخاص حول قيام إسرائيل بانتاج أسلحة نووية، استناداً إلى المعلومات والصور التي أدمّهم بها فانونو. والذي عمل لمدة عشر سنوات في المفاعل النووي الذي تحيطه إسرائيل بسرية مطلقة.

ورغم انكار بريطانيا للاتصال الذي تم بين شيمون بيريز ومرغريت تاتشر، فقد تكرر هذا الانكماش على الرغم من المعلومات الصادرة من داخل إسرائيل نفسها، والتي تؤكد أن بيريز حصل من رئيسة الوزراء البريطانية على وعد قاطع أن تغضّن المخابرات البريطانية أعينها عن قيام أفراد جهاز المخابرات الإسرائيلي «الموساد» بخطف فانونو وإعادته إلى إسرائيل.

كذلك اتفق على اشاعة أخبار أن فانونو اختطف خلال رحلة على يخت في عرض البحر المتوسط، وذلك لتخلص بريطانيا من تهمة التواطؤ مع إسرائيل في عملية الخطاف، حيث لم يغادر فانونو الأراضي البريطانية بطريقة رسمية، أي أن مغادرته لم تسجل في أي من مطارات بريطانيا أو موانئها.

هذا وقد طلب السفير البريطاني في تل أبيب «وليام سكواير» من الحكومة الإسرائيلية تفسير كيفية اختفاء الفني النووي مردخاي فانونو بشكل غامض من لندن، ليتهي به الحال في أحد سجون إسرائيل حيث اتهم بالخيانة.

وقد اعترفت اسرائيل في الأسبوع الثاني من شهر نوفمبر سنة ١٩٨٦ - بعد أسبوع من الصمت - بأنها تحتجز فانونو. ولكنها نفت تقارير بأن عمالء «الموساد» اختطفوه في لندن.

وطلبت بريطانيا من المحامي الذي يمثل فانونو، معلومات عن الكيفية التي ظهر بها موكله في أحد سجون اسرائيل. وقال المحامي «أمنون زيخروني» لوكالة «رويتر» إن السفير البريطاني «وليم سكواير» اتصل به للإستفسار عن الطريقة الغامضة التي عاد بها فانونو إلى اسرائيل. وقال «زيخروني» : «لقد أبلغته أنه لا يمكنني أن أعطيه المعلومات إلا بموافقة وزارة الخارجية الاسرائيلية: فهي سر من أسرار الدولة».

وذكرت الصحف الاسرائيلية أن محامي فانونو زاره نهار الثلاثاء بتاريخ ١١ نوفمبر ١٩٨٦ للمرة الأولى منذ اعتقاله. وأوضح المحامي «أمنون زيخروني» أن هذه «الزيارة نظمت كما لو كانت عملية سرية حقيقة» لأن أجهزة المخابرات الاسرائيلية أرادت أن تتجنب أن يتسلى للصحافيين والمصورين الذين يلاحقون المحامي تتبعه إلى المكان الذي يتم فيه احتجاز فانونو، ويعتبر سراً.

وقال المحامي للصحافيين الذين استقبلهم في مكتبه بعد أن زار موكله «فانونو يطلق الآن لحيته ولا يأكل إلا الفاكهة، ويقضي الليل كله في قراءة التوراة والهدجديد وأعمالاً فلسفية، وينام أثناء النهار».

وأضاف: «إن فانونو أعرب عن الأمل في أن تكون محكمته علنية».

وفي حديث أدلّى به إلى الإذاعة الاسرائيلية، قال رئيس لجنة الخارجية والأمن في الكنيست الإسرائيلي أبا ابيان «إن اللجنة ستناقش الثغرات الأمنية في مفاعل «ديمونة» النووي، حيث كان يعمل الفني النووي الاسرائيلي مردحخي فانونو المعتقل في اسرائيل بتهمة تسريب أسرار نوية إلى احدى الصحف البريطانية». وأضاف: «إن اللجنة تعقد اجتماعات مغلقة ستبحث

في الاجراءات المعتمدة في «ديمونة» والتي أتاحت بروز هذه التغرات الأمنية، وهي ستحقق في اجراءات الأمن المتبقية في «ديمونة» للحيلولة دون تكرار حادثة فانونو».

اما اسحق شامير فقد ذكر في كلمة القتها خلال جولة قام بها الى شمالي تل أبيب أن فانونو «لم يخطف» على الأرضي البريطانية قبل اقتياده الى اسرائيل، لكنه رفض الكشف عن أي تفاصيل أخرى، في الوقت الذي أكد فيه عضو مجلس العموم البريطاني «أنطونи بومنت دارك» وهو من حزب المحافظين أن «مصدراً اسرائيلياً رفيعاً أبلغه أن جهاز الاستخبارات الاسرائيلي (موساد) هو الذي نفذ عملية تهريب فانونو بواسطة طرد دبلوماسي عن طريق السفارة الاسرائيلية في لندن».

آلم تعمد اسرائيل الى هذه الطريقة، وفي بريطانيا أيضاً عبر مطار هيثرو، عندما لجأت الى اختطاف وزير المالية النيجيري السابق «أحمد ديوكو» لحساب الحكومة النيجيرية التي اتهمته بسرقة أموال الخزينة، واكتشفت السلطات البريطانية هذه الخطة في اللحظة الأخيرة وأفسدتها؟.

اما في دمشق، فقالت صحيفة «الثورة» إن الحكومة البريطانية نظمت حملة بشعة ضد سوريا متهمة إياها بالارهاب، وذلك لتبرئة ساحة المعتدي الصهيوني والتغطية على جرائمها النكراء، وتمويله أو كار الإرهاب الحقيقة. وبالمقابل معاقبة ضحايا العذوان الصهيوني وتحميلهم مسؤولية الجرائم التي اقترفها الاستعماريون البريطانيون والصهاينة بحق الأمة العربية.

ومضت صحيفة «الثورة»، تقول «لقد حاولوا طمس جوهر الكيان الصهيوني العدواني وتحسين صورته وتلطيف ملامحه. حتى قضية فانونو التي نمس جوهر السيادة والكرامة الوطنية البريطانية، آثروا ابتلاعها والصمت عليها، وبال مقابل سئلوا حملة الثأر من سوريا التي تخوض نضالاً انسانياً ووطنياً نبيلاً لرفع الظلم عن المشردين، ووضع حد للإرهاب واقتلاع جذوره،

وتخلوا عن أخلاقية العمل السياسي وفقدوا الاتزان وانسلخوا عن الموضوعية، وأثروا السقوط في مستنقع الخداع والتضليل والافراء».

من ناحية أخرى، أكدت مصادر عملية أن المعلومات والرسومات التوضيحية عن مفاعل «ديمونة» النووي الإسرائيلي ، والتي أدلى بها فانونو إلى صحيفة «الصنداي تايمز» ثبت أن هناك محاولة تضليل متعمد تهدف إلى صيانة سرية عمليات المفاعل. وتضيف: أن وصف فانونو للمفاعل يتعارض تماماً مع الأسس العلمية التي يقوم عليها انتاج يورانيوم مقوى لصنع القذائف النووية». وتقول المصادر إن هذا ما يؤكد بأن القصة بأكملها مدسosa.

ومن خلال متابعتنا لهذا الموضوع، من حقنا أن نقول (وليعذرنا مردحنا) فانونو اذا كانا مخطئين) إن هذه «الهمروجة» النووية حول الخبر النووي الإسرائيلي ليست سوى حلقة ودور من أدوار «الموساد» وليس مستبعداً أبداً أن يكون فانونو أحد أعضاء هذا الجهاز، المكلف بتادية دور «نووي» و«اعلامي» في الوقت نفسه. وإذا كان قد اختطف أو خطف نفسه - لا فرق - فإن هذه المسألة لم تعد تنطلي مطلقاً على أحد، خصوصاً أولئك الذين خبروا أساليب والأعيب الاستعمار البريطاني والموساد الصهيوني الذي هو «إبن شرعي» لبريطانيا العظمى.

وإذا تجاهل اسحق رابين (وزير الدفاع الإسرائيلي يومها) أو نفي امتلاك إسرائيل للأسلحة النووية، ولو اعترف بأن لديها «هيئات أبحاث» عديدة، فإن القضية أصبحت كعين الشمس، والصهاينة يتفسرون الكذب والتدرجيل كما يتفسرون الهواء، ولا يستطيعون العيش بدونه خوفاً على إتلاف الرئة الإسرائيلية.

ففانونو مكلف بمهمة رسمية من قبل «الموساد» ويعلم من شيمون بيريز نفسه، وإلا كيف عرف بأنه سيدلى بتصریحات عن إسرائيل وقوتها النووية بالصور والرسومات التوضيحية التي نشرت في «الصنداي تايمز» في ٥ تشرين الثاني /نوفمبر ١٩٨٦؟ ولماذا أجرى الاتصال مع مرغريت تاتشر قبل حوالي عشرين يوماً من نشر هذه التصریحات؟.

وجود إسرائيل بين الترسانة النووية ووحدة العرب

عندما كانت «إسرائيل» مجرّد «فكرة» في جمجمة قادة الحركة الصهيونية، فقد رسم دورها بدقة، وحدّدت وظيفتها المركزية تحديداً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض. وأصبح الوطن العربي - أرضاً وشعباً وتاريخاً وتراثاً وحضارة - على جدول أولويات الشطب من خارطة العالم.

على هذا الأساس، ترافق الاهتمام «النووي» الإسرائيلي مع كل الخطوات الأخرى التي تصب في الهدف الصهيوني المركزي.

وفي شهر نوفمبر من سنة ١٩٨٦، أطلق «باللون اعلامي نووي» الإسرائيلي في لندن، بعيداً عن المنطقة العربية، ولكنه موجّه ضدها بالتحديد. ولم يكن هذا «البالون الإعلامي النووي» سوى أحد الخبراء الإسرائيليين الذي عمل مدة عشر سنوات في «المفاعل النووي الإسرائيلي» المعروف بـ«ديمونا»، ويسمى «مردخاري فانونو».

فما هي هذه الأسرار التي فضّلها هذا الخبير النووي، والتي كلفته - إعلامياً - خطفه من لندن إلى دولة الاحتلال الصهيوني؟ وما هو الهدف من تسريب هذه «المعلومات النووية» في هذه الفترة؟ .

على غرار الاجتياحات الإسرائيلية التي عرفتها المنطقة العربية منذ قيام «دولة إسرائيل»، فقد شهدت هذه المنطقة اجتياحاً صهيونياً من نوع آخر في

شهر تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٦ ، يصح تسميتها بـ «الاجتياح النووي».

تطرق وسائل الاعلام - على اختلاف مصادرها واتجاهاتها - الى ما سمي بـ «كشف النقاب» عن حقيقة الترسانة النووية التي تتمتع بها اسرائيل. والدلائل كلها تشير الى أن اسرائيل لديها أسلحة حرارية - نووية ذات قدرة هائلة على تدمير مدن عربية بأكملها. بل إن ما يجعل الأمر هاماً وخطيراً بالنسبة للأمة العربية، ان اسرائيل لم تعد فحسب تملك القنابل الذرية، بل صارت قوة نووية رئيسية تحتل المرتبة السادسة بين دول العالم الأكثر قوة في القدرة النووية بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا والصين، كما أن لديها مخزوناً نووياً أكبر بكثير من دول مثل الهند والباكستان.

فماذا وراء تلك الحقيقة التي باتت انذاراً يدق ناقوس الخطر في وجه الأمة العربية؟ .

ذكرت جريدة «المسلمون» - التي تصدر في لندن - أنها تابعت التقارير السرية وما نشرته صحيفتا «الصندي ميرور» و«الديلي ميرور» ومن بعدهما صحيفة «الصندي تايمز» الأكثر انتشاراً في بريطانيا.

فماذا تقول تلك التقارير الخطيرة التي باتت على كل مواطن عربي أن يعرفها ليعلم حقيقة تلك الدولة التي زرعت في وطننا العربي؟ .

في بادئ الأمر، ولم يكن قد مضى على قيام دولة اسرائيل - في ١٥ مايو ١٩٤٨ - سوى ثلاثة أشهر، حتى بدأ اليهود الذين هاجروا الى فلسطين المحتلة، يفكرون في بناء قوة نووية بحجة استخدامها من أجل توليد الطاقة. وبالفعل تم تأسيس «مؤسسة الطاقة النووية الاسرائيلية»، في نهاية صيف ١٩٤٨ ، كما تولت وزارة الدفاع الاسرائيلية الاشراف على تلك المؤسسة حتى تقف على قدميها. وفي الوقت نفسه كانت الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة تعمل على إرسال بعثات تعليمية الى أوروبا والولايات المتحدة لتدريب

الباحثين في مجال الطاقة النووية.

وبدأت الحقائق تتكشف عندما ذكرت صحيفة «الصندي ميرور» البريطانية أن صحافياً من أميركا الجنوبية ويدعى «أوسكار زوارو» يملك معلومات خطيرة عن قدرة إسرائيل النووية، وأنه على استعداد لبيع هذه المعلومات مقابل /٢٠٠ / ألف جنيه استرليني ! .

ويؤكد الصحافي أن إسرائيل تمكنت من انتاج أول قنبلة نيترونية، وأنه علم بذلك من باحث يهودي يدعى «موردخاي بالومي» كان قد هاجر من إسرائيل إلى أستراليا.

ولكن الصحيفة البريطانية «الصندي ميرور» والتي يملكها المليونير اليهودي «روبرت ماكسويل» أبدت شكوكها في مصداقية الصحافي؛ ونقلت عن المسؤول في شؤون الاعلام في السفارة الاسرائيلية في لندن قوله: ان مركز البحوث النووية في «ديمونة» بصحراء النقب لم يعمل به أي عالم نووي باسم «مردحاي بالومي» وإن هذا العالم كان يعمل فنياً - صغيراً - في لجنة الطاقة النووية الاسرائيلية، وأنه أقيل من منصبه قبل حوالي عام! وفي محاولة للدفاع عن إسرائيل، زعمت صحيفة «الصندي ميرور» أن ما قاله الصحافي «زوارو» ليس سوى خدعة تستهدف - على حد تعبير الصحيفة - تشويه سمعة إسرائيل! وأن الصور التي قدمها هذا الصحافي للجريدة وعددتها /٣٧ / صورة لا تتضمن أي ثبات! .

ولكن فيما بعد، وبالتحديد يوم ٥ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٨٦ ظهرت صحيفة «الصندي تايمز» البريطانية - وملكيتها الملياردير اليهودي روبرت ميردوخ - في الأسواق، وفي صور صفحاتها الأولى الواقع الحقيقة لحكاية القوة النووية الاسرائيلية بالتفصيل. وأفردت الصحيفة ثلاثة صفحات كاملة عن تلك الحكاية، وهي حكاية لم تبرا منها إسرائيل، بل ويدو أنها أصبت بالغرور والفاخر لقيام الصحيفة البريطانية الكبرى بنشر تلك التفاصيل الدقيقة. فهذا النشر يحقق لإسرائيل أهدافها في تطبيق نظرية الإرهاب النفسي ضد العرب.

وال்தقرير الخطير الذي نشرته صحيفة «الصندي تايمز» يكشف عن وجود مصنع إسرائيلي تحت الأرض، مهمته صنع أسلحة نووية إسرائيلية. وهذا المصنع كان ولا يزال ينبع الرؤوس العسكرية النووية منذ ٢٠ عاماً. ويؤكد التقرير أن هذا المصنع بدأ الآن بانتاج أسلحة حرارية - نووية ذات قدرة هائلة على تدمير مدن بأكملها.

أما مصدر المعلومات الخاصة عن مقدرة إسرائيل في صنع القنبلة النووية فيتمثل في اليهودي «مردخاي فانونو» الذي عمل كفني نووي لمدة عشر سنوات في المستودع السري الذي أقيم تحت الأرض في «ديمونة» واسمه: «ماخون ٢»، ذلك المستودع الذي يتولى إنتاج المكونات الحيوية الضرورية لصنع الأسلحة النووية.

هذا وقد قام خبراء نوويون في حلف شمال الأطلسي بفحص تلك المعلومات والصور التي أرسلها مردخاي فانونو، وأجمعوا على ما يلي: أولاً: أن إسرائيل طورت أنظمة نووية معقدة وسرية، تصلح لبناء مخزون نووي هائل، وهذا يؤهلها لاحتلال المرتبة السادسة في العالم من حيث المقدرة النووية في مجال التسليح النووي.

ثانياً: أن المصنع السري الإسرائيلي أقيم منذ ٢٠ عاماً بطريقة خفية، ولم تتمكن أقمار التجسس من رصد قيام إسرائيل باستخراج البلوتونيوم. اللازم لصنع القنبلة النووية. ويرجع ذلك إلى قيامها بburial هذا المصنع تحت الأرض، تحت مبني عديم الجدوى، مما جعلها - أي إسرائيل - في مأمن عن عمليات التفتيش الدولية.

ثالثاً: أن المصنع السري الإسرائيلي مزود بتكنولوجيا فرنسية لاستخلاص البلوتونيوم. وقد حوت هذه التكنولوجيا مفاعل «ديمونة» من مؤسسة بحوث مدينة إلى مؤسسة لإنتاج القنبلة أو القنابل النووية. وكمية البلوتونيوم المستخلص تصل إلى حوالي ٤٠ كيلو غراماً في العام، وهي

تكتفي لصنع عشر قنابل. وخلال السنوات الست الماضية، أضافت اسرائيل معدات أخرى لصناعة مكونات القنابل الحرارية النووية.

رابعاً: ان قدرة المفاعل النووي الاسرائيلي التي كانت تصل الى ٢٦ ميجاوات، وهو المفاعل الذي بناه الفرنسيون، أصبحت الآن بطاقة ١٥٠ ميجاوات لتمكينه من استخراج كمية أكبر من البلوتونيوم، ويتولى نظام تبريد دقيق إخفاء الانتاج. ويقول العلماء النوويون الذين استشارتهم صحيفة «الصندai تايمز»، أنهم اقتنعوا تماماً بما قدمه «فانونو» اليهودي من معلومات، كما أنهم على يقين بوجود ما بين ١٠٠ الى ٢٠٠ سلاح نووي ذي قوة تدميرية متنوعة تم تجميعها. وهذه الأسلحة تعادل عشرة أضعاف قوة الترسانة النووية الاسرائيلية، كما أشارت اليها تقديرات سابقة.

ومن بين العلماء الذين أعطوا هذه التقديرات «تيودور تيلور» وهو أحد الخبراء البارزين في مجال صنع الأسلحة النووية. وقد تلقى علومه على يد «روبرت أوبنهايمر» المعروف بأنه «أبو القبلة الذرية». وقد عمل في التصميمات الأمريكية المبكرة للقنبلة. وبعدها أصبح رئيساً لبرنامج تجارب الأسلحة الذرية في وزارة الدفاع الأمريكية. وقد فحص «تيودور تيلور» الصور التي التقاطها «مردحاي فانونو» داخل مفاعل ديمونة.

ويقول «تيلور» أنه لا يجب أن يكون هناك أي شك بعد الآن في أن اسرائيل أصبحت بالفعل - كما هي منذ عقد من الزمن - دولة نووية بالكامل. وأن برنامج الأسلحة النووية الاسرائيلية يعتبر متقدماً بصورة أساسية أكثر بكثير مما أشارت اليه التلميحات السابقة فضلاً عن التقارير.

وأضاف «تيلور» أن شهادة فانونو تتفق تماماً مع مقدرة اسرائيل على إنتاج عشرة أسلحة نووية سنوياً، تعتبر أسلحة أصغر وأخف وأكثر فعالية من تلك الأنواع الأولى من الأسلحة التي أنتجتها الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وبريطانيا وفرنسا والصين.

وحين رفضت اسرائيل التعليق على ذلك، فإنها أكدت أن اليهودي فانونو قد عمل بالفعل في لجنة الطاقة النووية الاسرائيلية في ديمونة، وأنه أوقف عن العمل في شهر نوفمبر ١٩٨٦ مع ١٨٠ من عمال ديمونة خلال حملة الحكومة لتخفيف الإنفاق.

وحتى يلم المواطن العربي بمزيد من المعلومات عن حقيقة القوة النووية الاسرائيلية، فقد تطرق جريدة «المسلمون» الى ما يجري داخل «مفاعل ديمونة» كما فصّلته صحفة «الصنداي تايمز» البريطانية، فقالت: في كل يوم من الساعة السابعة صباحاً، يمر أسطول نقل يضم ٤٠ أوتوبيساً من طراز فولفو باللونين الأزرق والأبيض - لون علم اسرائيل - على الطريق السريع الذي يشق صحراء النقب.

وعلى بعد ستة أميال من مدينة ديمونة تتعطف السيارات يميناً، ثم تتوقف بعد نصف ميل أمام نقطة تفتيش للجيش الاسرائيلي. ويقوم الجنود بالتفتيش على تصاريح الأمن، ثم يسمحون للأتوبيسات بالمرور. وبعد ذلك، وعلى مسافة ميلين آخرين تقف الأتوبيسات مرة أخرى لتفتيش لتفتيش أكثر دقة.

ويوجد سور «مكهرب» يمتد عبر صحراء النقب، يحيط بأهم مؤسسة سرية في اسرائيل. وقد قامت البلوزرات بإقامة تلال من الرمال بمحاذاة السور المكهرب لظهور آثار الأقدام لفرق المراقبة الرجالية أو المحمولة بطائرات الهليوكوبتر. وبصفة رسمية تدار «ديمونة» أو المفاعل النووي الاسرائيلي بغرض الاختبارات على الطاقة الذرية، ولكنها في الحقيقة مصنع لإنتاج الأسلحة النووية.

وتقطع أتوبيسات الفولفو الطريق الى «ديمونة»، ثلاث مرات يومياً، ومهمتها نقل الفنّين وعددهم /٢٧٠/ بين علماء وفنيّين وإداريين يعملون في «دوريات»: الساعة ٧,٣٠ صباحاً، ٣,٣٠ بعد الظهر، و ١١,٣٠ ليلاً.

وتتطلب اجراءات الامن أن يظل معظم العاملين في «ديمونة» على «جهل» تام بالواجبات والأعمال التي يؤدونها داخل المفاعل، وعقوبة الحديث أمام الناس عن «ديمونة» تصل إلى ١٥ عاماً في السجن !.

وعندما يغادر العاملون الأوتومات ، فإنهم يتوجهون إلى عدة مستودعات سرية تسمى «ماخونات» وعددتها عشرة :

- ماخون رقم ١١ هو المفاعل النووي نفسه وله قبة فضية ترتفع ٢٠ متراً.

- ماخون رقم ٤٤ هو الخاص بالنفايات النووية ، حيث تغمر في القطران وتعبأ في براميل ، ثم تدفن في الصحراء .

- أما ماخون رقم ٢٢ فلا يدخله سوى ١٥٠ عاملاً ، وهو اللغم الحقيقي في ديمونة . فهو من الخارج مبني عادي من الخرسانة بلا نوافذ ، يضم طابقين ، بابعاد ٦٠ متراً طولاً ، ٢٥ متراً عرضاً . ويظهر للعيان كمخزن غير مستعمل .

ولكن من يراقب حقيقة المبنى من الخارج يتضح له أمران :

الأول : سمك الحواطط الكبيرة المقاومة للإنفجارات .

الثاني : وجود برج مصعد على السطح ، وهو يبدو غير هام للمبنى الصغير .

ولكن لمدة ثلاثة عاماً أخفت إسرائيل هذا المبنى الخرساني الذي لا يبدو عليه أي شيء ، وفي حقيقة الأمر فإن أسرار إسرائيل العليا تكمن داخله ، بعيداً عن عيون الأقمار الصناعية المتجلسة ، أو أعين خبراء الطاقة النووية الأجانب الذين يأتون للتفتيش .

ويمكن كشف لغز هذا المبنى أو «ماخون رقم ٢» على النحو التالي : حواططه المزيفة في الطابق الأول فوق سطح الأرض تخفي داخلها

المصاعد اللازمة لخدمة العاملين، حيث تنقلهم الى ستة طوابق تحت سطح الأرض، حيث يوجد أسفل مكونات الأسلحة النووية التي يتم انتاجها وتحول إلى أجزاء تتكون من رؤوس نووية... .

ولكن في ظل ما أفصح عنه اليهودي «مردخي فانونو»، فالامر يختلف الان. فالأدلة تثبت أن إسرائيل أصبحت تحتل المرتبة السادسة في النادي الذري. وأن مخازنها تحوي مئة قنبلة نووية على الأقل.

وعندما كنا قد أشرنا سابقاً الى «موسادية» مردخي فانونو (بمعنى ارتباطه بجهاز الاستخبارات الاسرائيلية)، يلتقط رئيس وزراء مصر السابق، السيد «كمال حسن علي»، رأس الخطيب النووي الإسرائيلي، ويقول لمجلة «الأسبوع العربي» في القاهرة إن «اليهود يريدون تعقيم الشرق الأوسط. وهم يراهنون على استسلام العرب أمام «السوبر تكنولوجيا» التي يمضون في ورثتها بلا هوادة. وهذا الوضع أتى ثماره السريعة. فأنور السادات ذهب الى القدس المحتلة بحجة أن المضي في الحروب يحول القاهرة والاسكندرية الى هيرشيميا أخرى...».

وبلاحظ كمال حسن علي، أن ما نشر حول الترسانة النووية الاسرائيلية، هو عمل موجه، في كل معنى الكلمة، ولا صحة للقول أبداً أن «مردخي فانونو» طرد من عمله لأسباب مسلكية. اذا لا يعمل أي إسرائيلي في «مفاعل ديمونة» الا اذا كان موشقاً، في صورة مطلقة. ويمضي أيامه في المراقبة المشددة. وهو ليس أكثر من عميل للموساد، فجرّ في العاصمة البريطانية قنبلة إعلامية لأسباب تتعلق بعمليات التسوية في الشرق الأوسط. وإذا كانت قنبلة ترولمان هي التي وضعت حدأً نهائياً للحرب العالمية الثانية، فإن قنبلة ذرية أو نيوترونية هي وحدتها القادرة، في العقل الإسرائيلي على وضع حد لمنطق الدول العربية».

بعد كل ذلك، يحق لنا نحن العرب، أصحاب البصر والبصرة، أن يكون لنا موقف ورأي. اذ على ضوء التجارب الثورية في العالم، وفي وطننا

العربي بالتحديد، نستطيع القول، لماذا عجزت أميركا، والتي هي من أكبر الترسانات النووية في العالم، عن كسب حربها ضد فيتNam؟ ولماذا عجزت بريطانيا وفرنسا أيضاً، رغم امتلاكهما لأحدث الأسلحة النووية، في استمرار السيطرة الاستعمارية على الهند والجزائر مثلاً؟ كذلك كل القوى الاستعمارية الأخرى؟ لذلك يتوضّح، أن الإرادة الحديدية الصلبة، المؤمنة بقوّة الحق، والمصممة على الانتصار بفضل التماسّك والوحدة، كفيلة بتحطيم أعظم قوّة نووية مهما كانت، والأمثلة كثيرة. فليتحدّ العرب وليتوحدوا، ليروا بامعينهم كيف سيمرغ أنف اسرائيل في الوحل العربي، كما منّع أنف القوى الاستعمارية من قبل.

المراجع

- ١ - مجلة «الاسبوع العربي»، البيروتية. العدد ١٤١٥. الاثنين في ٢٤ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٦. ص ٤ - ٨.
والعدد ١٤١٧. الاثنين ٨ ديسمبر ١٩٨٦. ص ٤٠ - ٤٥ مقال
لـ «فؤاد أبو منصور» (سرّ الرقم ١٩ في مسار الحرب العربية - الاسرائيلية).
- ٢ - مجلة «العالم». العدد ١٤٣. السنة الثالثة. السبت بتاريخ ٨ ت / نوفمبر ١٩٨٦. ص ١١.
- ٣ - جريدة «الأنوار» البيروتية. العدد (٩٢٦٦). الخميس ١٣ نوفمبر سنة ١٩٨٦. ص ١٢.
- ٤ - جريدة «النداء» البيروتية. الخميس ١٣ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٦.
- ٥ - جريدة «الشرق» البيروتية. الخميس ١٣ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٦.
- ٦ - جريدة «الثورة» السورية. الأربعاء ١٢ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٦.
- ٧ - جريدة «السفير» اللبنانية. العدد ٤٤٧٥. الخميس ١٣ نوفمبر ١٩٨٦.
- ٨ - وكالة «رويترز» و«يونايتدبرس» و«أسوشيدبرس» ١٢ نوفمبر ١٩٨٦.
- ٩ - جريدة «النهار» اللبنانية. العدد ١٦٥٣٣. السبت ١٥ / ١١ ١٩٨٦. وكذلك «السفير» والصحف اللبنانية الأخرى بنفس التاريخ.
- ١٠ - مجلة «الحوادث». العدد ١٥٦٨. الجمعة ٢١ نوفمبر ١٩٨٦.

- ١١ - «السفير» العدد ٤٤٧٩ . الاثنين ١٢/١٧/١٩٨٦ - وبتاريخ ١٠ كانون الثاني ١٩٨٧ . ص ١١ (نقلً عن الـ «واشنطن بوست»).
- ١٢ - جريدة «المسلمون» (تصدر في لندن) . العدد السادس والستون . من ٦ - كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٦ . الصفحة الثانية .
- ١٣ - مجلة «أوروبا والعرب» (تصدر في لندن) . العدد ١٤١ . ديسمبر ١٩٨٦ . ص ١٢ - ١٤ .
- ١٤ - طوني فرنسيس «الخطر النووي يخيم على الشرق الأوسط أيضاً» . دار الفارابي . بيروت . الطبعة الأولى ١٩٨٦ . ص ٣٩ - ٥١ .
- ١٥ - في الفترة الأخيرة صدر كتابان حول هذا الموضوع (موضوع فانون) بعنوان: خيار شمشون . الكتاب الأول عن دار الأرض للنشر، والثاني عن دار الحمراء في بيروت للكاتب سيمور هيرش ، يؤكد فيه على أن فانون ليس عميلاً للموساد، وقد قام بفضح هذه المعلومات بناء على قناعة كانت لديه وبوحي من ضميره في سبيل السلام العالمي .

وثائق وملحق ملف الاستخبارات الاسرائيلية

- ١ - الخطة التي اقترحها تيودور هرتزل لإقامة كيان صهيوني.
- ٢ - شهادة فلاديمير جابوتينسكي أمام اللجنة الملكية لفلسطين سنة ١٩٣٧ (مقططفات).
- ٣ - منظمة الأرغون تشرح أسباب قيامها.
- ٤ - انذار صادر من منظمة «شتينر» الارهابية الى السكان العرب سنة ١٩٤٨.
- ٥ - مذكرة يسرائيل كنينغ بشأن «الخطر الديموغرافي» الذي يمثله عرب الجليل والوسائل الصهيونية لمعالجته.
- ٦ - سري للغاية: «التدريب في القوات المسلحة الاسرائيلية».
- ٧ - نص قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بإدانة الصهيونية في تشرين الثاني / نوفمبر سنة ١٩٧٥.
- ٨ - ازدهر مع حرب لبنان وصار قضية: الجنرال «حشيش» في الجيش الاسرائيلي.

١ - الخطة التي اقترحها تيودور هرتزل لإقامة كيان صهيوني (*)

الخطة بمجملها سهلة جداً اذ يجب أن تكون هكذا إذا أردنا تنفيذها.
امنحونا السلطة فوق قطعة من الأرض في هذا العالم تكفي حاجاتنا
القومية المشروعة ونحن سنعمل ما تبقى.

ان خلق دولة جديدة ليس بسيط أو بصعب. ألم نرى تكوين دول في
عصرنا هذا علماً أنها ليست من الطبقات المتوسطة، إنها أكثر منا فقراً وأقل
ثقافة وأكثر ضعفاً؟ هذا وإن الدول التي قاست من الحركة اللاسامية ستهتم
كثيراً بمساعدتنا على الحصول على هذه السيادة السياسية.

الخطة سهلة في تصميمها لكنها صعبة التنفيذ، وستنفذها وكالتان:
الجمعية اليهودية والشركة اليهودية.

ستنفذ الشركة اليهودية الخطة العلمية والمخططات السياسية التي ستقوم
بها الجمعية اليهودية.

سيكون عمل الشركة اليهودية تصفية الأعمال التجارية لليهود المغادرين
والعمل على تنظيم التجارة والأعمال المتعلقة بها في البلد الجديد.

يجب أن لا نتصور خروج اليهود كشيء مفاجئ، إنما سيكون تدريجياً
يستمر لمدة عدة عقود. سيذهب أولاً الأكثر فقراً لزراعة الأرض. وسيبنون

الطرق والجسور والسكك الحديدية والخطوط الالاسلكية، وسيعملون على تنظيم مياه الانهار ويهيئون لأنفسهم بيوتاً، كل ذلك وفقاً لخطط مدروسة. إن أعمالهم ستؤدي إلى تجارة والتجارة تؤدي إلى أسواق والأسواق تجذب مستوطنين جدداً - لأن كل شخص سيذهب طوعاً على نفقة وعلى مسؤوليته - سيعطي العمل المستمر في الأرض نتيجة، وسيكتشف اليهود بسرعة أن آفاقاً جديدة ودائمة قد فتحت أمام طموحهم الذي حتى ذلك الوقت كان يلحق بهم الكره والذل.

لا يتم تأسيس دولة الآن بالأسلوب ذاته الذي كان يستعمل قبل ألف سنة. فمن الغباء العودة بمستوى الحضارة الى الوراء كما يقترح الكثير من الصهيونيين، فلنفترض على سبيل المثال بأننا أجبرنا أن نخلع بذلك ما من الوحوش. يجب علينا أن لا نقوم بهذا العمل وفقاً لأسلوب الأوروبيين في القرن الخامس. كأن نأخذ الرمح ونذهب كل على حدة للبحث عن الديبة، يجب علينا تأليف حملة صيد كبيرة ومن ثم نجمع الحيوانات كلها معاً وتلقى في وسطها القنابل المميتة.

وإذا أردنا أن نبني مباني يجب أن لا نقوم بنصب بعض الأقوام غير المتينة كتلك التي تقام على شواطئ البحيرات؛ إنما يتوجب علينا أن نبني كما نبني الناس الآن، يجب أن نبني بطريقة أقوى وأضمن من أي طريقة استعملت حتى الآن، لأننا نملك الوسائل التي لم تكن معروفة من قبل.

سيتبع المهاجرين الفقراء الأوائل هؤلاء الذين هم أعلى منهم درجة وهكذا يذهب أولأ هؤلاء الذين هم أسوأ حالاً، وبالتدريج الى أن يتبع المفكرون المتوسطون الذين تتوجههم بكثرة والذين هم المغضوبون في كل مكان.

ليكن هذا الكتاب فاتحة مناقشة عامة حول مسألة الهجرة اليهودية. هذا لا يعني أنه يجب اجراء تصويت حول هذا الأمر. فمثل هذا العمل سيقضي على القضية من أساسها. فمن يرغب في أن يبقى فليبق، اذ أن معارضة قلة

من الأفراد لا قيمة لها.

من يريد الذهاب معنا فلينضم الى رايتنا وليقاتل بالكلام والقلم والعمل من أجل القضية.

يكتتل اليهود الذين يوافقون على فكرة انشاء دولة الجمعية اليهودية، وهذا يعطيها القوة في أعين الحكومات لتنوب عن شعبنا. تمثل هذه الجمعية القوة الخالقة للدولة، في نظر القانون الدولي. وهذا يعني خلق الدولة.

ومتى أظهرت القوى الدولية رغبة في منحنا السلطة فوق قطعة أرض محايدة تدخل الجمعية اليهودية في مناقشات لاستملك قطعة الأرض. هنا يتبدّل الى الذهن منطقتان: فلسطين والأرجنتين، وقد أجريت تجارب لاستعمار كل من هاتين المنطقتين ولكن وفقاً لمبادئ مغلوطة. لأنها كانت مبنية على فكرة التسلل، لأنه لابد أن يأتي الوقت الذي تبدأ به الحكومات المعنية، تحت ضغط المواطنين الأصليين - والذين يشعرون بأنهم مهددون - بوضع حد لسلسل اليهود. اذن فالهجرة لا فائدة منها إلا اذا كانت ضمن السلطة المعطاة لنا.

ستعمل الجمعية مع السلطات الموجودة في تلك الأرض وتحت اشراف القوى الأوروبيّة، اذا وافقوا على الخطة. وستستفيد هذه السلطات بالمقابل، سدفع قسطاً من دينها العام وتبني اقامة مشاريع تحتاجها نحن أيضاً. كما ستعمل أشياء أخرى كثيرة. ستكون فكرة خلق دولة يهودية مفيدة للأراضي المجاورة لأن استثمار قطعة أرض ضيقة يرفع من قيمة المناطق المجاورة.

فلسطين أو الأرجنتين

أيهما أفضل فلسطين أو الأرجنتين؟ ستأخذ الجمعية اليهودية ما يعطى لها وما يفضل الرأي العام اليهودي. ستقرر الجمعية كلاً من هذين الأمرين. ان الأرجنتين هي من أخصب بلاد العالم وتمتد فوق مساحات شاسعة

سكانها غير كثيرين كما أن مناخها معتدل. وسيكون من مصلحة جمهورية الأرجنتين أن تقبلنا في أراضيها. لقد سبب تسلل اليهود الى الأرجنتين بعض الاستياء لذلك، فمن الضروري تسوير الحكومة عن اختلاف نوعية الهجرة الجديدة لليهود.

فلسطين هي وطننا التاريخي الذي لا يمكننا نسيانه. ومجرد الاسم هو صرخة جامعة عظيمة. لو يعطينا جلالة السلطان فلسطين لكننا نأخذ على عاتقنا إدارة مالية تركية كاملة مقابل ذلك.

ونقيم هناك جزءاً من حائط لحماية أوروبية في آسية يكون عبارة عن حصن منيع للحضارة في وجه الهمجية. ويتوارد علينا كدولة محاباة أن نبقى على اتصال مع أوروبية التي ستضمن وجودنا بالمقابل.

* مقتطفات من كتاب تيودور هرتزل «الدولة اليهودية» الصادر سنة 1896. انظر أيضاً: «الفكرة الصهيونية - التصريح الأساسية»، بيروت، مركز الابحاث، سنة 1970، ص ١١٧ - ١٢٠.

ملحق رقم ٢٤

٤ - شهادة فلاديمير جابوتينسكي امام اللجنة الملكية لفلسطين، عام ١٩٣٧ (*)

أني أريد الآن أن أقدم اعترافاً غريباً وهو أن مطلبنا بأن نشكل أغليبية يهودية ليس العد الأقصى بل العد الأدنى، والمرحلة الحتمية التي يجب أن نصلها إذا ما سمح لنا أن نستمر في عملية تخلص شعبنا. وحتى لو أصبح اليهود أغليبة في فلسطين فلن يصل ذلك إلى درجة التشيع، وذلك لأنه لو كان هناك مليون يهودي الآن في فلسطين لأصبح اليهود يشكلون غالبية في البلاد، ولكن ما زال ثلاثة أو أربعة ملايين يهودي في الشرق يطروقون الباب باستمرار من أجل الدخول، أي من أجل الخلاص.

إن عندي عطفاً عميقاً على القضية العربية شرط أن لا يبالغ بها. وأعتقد بأن أعضاء اللجنة استطاعوا أن يقرروا فيما بينهم إذا كان عرب فلسطين سيواجهون صعوبات كأفراد نتيجة للاستعمار اليهودي. إننا جميعاً نعتقد بأن الوضع الاقتصادي للفلسطينيين العرب في ظل الاستعمار اليهودي ونتيجة له قد أصبح مشار حسد البلدان العربية المجاورة، حتى أن العرب في تلك البلدان يبدون رغبة واضحة في الهجرة إلى فلسطين. ولقد أبلغتكم بأنه لن يكون هناك أي طرد للعرب، وبالعكس، فإن فلسطين المؤلفة من ضفتى نهر الأردن يجب أن تستوعب العرب ونسلهم وعدة ملايين من اليهود، ما لا أنكر، في تلك العملية هو أن عرب فلسطين سوف يصبحون أقلية فيها، أما ما

لا أقره وأفهمه فهو أن يكون ذلك شيئاً صعباً، أنه ليس صعباً على جنس وعلى أمة لها عدة دول قومية الآن وعدد آخر من الدول القومية في المستقبل، إن جزءاً واحداً وفرعاً واحداً من هذا الجنس سوف يضطر للعيش في بلد عربية أخرى. وعلى كل فزان هذه هي الحالة مع جميع الشعوب القوية في العالم. انتي لا أذكر واحداً من الشعوب الكبيرة التي لها دول وليس هناك فرع منها يعيش في دولة أخرى. إن هذا الشيء عادي وليس فيه أية «مشقة». وهذا عندما نسمع المطلب العربي يواجه المطلب اليهودي فإنني أدرك بأن أية أقلية تود أن تصبح أغلبية، وبأن عرب فلسطين يفضلون أن تصبح فلسطين الدولة العربية رقم ٥ أو رقم ٦، ولكن عندما يواجه المطلب العربي بالمطلب اليهودي للخلاص، يكون ذلك كمقابلة الشهيبة مع المجائعة. لم يحدث أن نظرت أية محكمة في قضية كان الحق فيها إلى جانب واحد، أما الجانب الآخر فلم يكن له حق بأي شكل من الأشكال. إن أية محكمة تتنظر في قضايا انسانية، بما فيها هذه المحكمة، يجب أن تعرف بأن لكل جانب وجهة نظر، ومن أجل العدالة يجب أن تأخذ المطالب الإنسانية للأفراد أو للجماعات بعين الاعتبار لا سيما مطلب الضرورة والحاجة الحاسمة اعتقاد بأن ذلك واضح.

سيدي الرئيس، أيها السادة، هنا نأتي إلى بداية فصل محزن سأحاول أن أضعه أمامكم ببساط ما يمكن، وأأمل أن يحظى بصبركم وحلمكم. إنسان سوف يخبركم الآن عن خيبة أمل عظيمة. لقد كنت دائماً أفكراً، قبل أن آتي إلى إنجلترا بأنه إذا ما تسلمت حكومة متحضررة أمانة دولية، وفي مثل هذه الظروف ومثل هذه المضامين، أمانة تتعلق بشعب قاسي كثيراً وتتأمل طويلاً، وأن آماله مقدسة بالنسبة لكل إنجليزي، كنت أفكراً أن مثل هذه الدولة سعد خطوة «لكيفية تنفيذ ما أوكل إليها». وبصرف النظر عن أي تفسير لوعد «الوطن»، يجب أن تكون هناك خطة لبنائه ولكيفية «وضع بلد في ظل ظروف إدارية واقتصادية وسياسية من شأنها أن تسهل تأسيس» ما تعنوه بالوطن القومي اليهودي.

ذلك كان أول شرط - الخطة، أما الشرط الثاني فكان يقضي بأن يكون واضحاً للجميع بأن تلك الأمانة هي التي قبلوها وأن «هذا هو ما سوف تفعله». إن تلك الخطة يجب أن تبدأ بدراسة جيولوجية لضفتي نهر الأردن لمعرفة الأجزاء القابلة للزراعة والأجزاء التي يمكن اصلاحها. يجب أن تتضمن الخطة كذلك مخططاً للتحسين والاصلاح، وخططاً لفرض يموله اليهود من أجل سد نفقات التحسينات والتقسيمات ولخلق أرض احتياطية على ضفتي النهر تستخدم لتلبية طلبات الراغبين، عرباً كانوا أم يهوداً، للإقامة في تلك الأراضي الزراعية. وبالإضافة لذلك، يجب أن تتضمن هذه الخطة مخططاً لتنمية صناعية تستطيع أن تسد حاجة عدد كبير من المهاجرين، ومخططاً لقوانين التعرفة والإجراءات الجمركية التي يمكن استخدامها لحماية تلك التنمية، ومخططاً من أجل إنشاء نظام للضرائب ليساعد المستوطنين والقادمين الجدد كما في أي بلد يعيش في ظروف استعمارية.

وأخيراً، يجب أن تتخذ اجراءات لضمان الأمن. إن أمة كأمتكم عريقة في تجربتها الاستعمارية العملاقة تعرف بكل تأكيد بأن الاستعمار لن ينجح دون نزاعات مع السكان مما يتطلب حماية البلاد، وبما أن اليهودي لم يطلب يوماً الحماية من أحد، فإن الخطة يجب أن تتضمن السماح لليهود بإقامة حرس خاص لهم في فلسطين أو في جزء كبير منها. وكذلك يجب أن يختار موظفو السلك المدني بعناية خاصة، بحيث يتميزون باللطف أولاً، وأن تكون لديهم الخبرة بمثل هذا العمل ثانياً، مما يتطلب اجراء امتحان خاص لاختيار هؤلاء الموظفين المدنيين. هذا ما كان يتوقعه كل شخص، ولكننا أصينا بخيبةأمل عند سمعانا القول «أنتا في حالة ارتباك»، وفي بعض المناسبات كان ينظر إلى هذا الارتباك وكأنه الوسيلة الأفضل. وأحياناً كان ذلك يسمى منهجه التجربة وأحياناً منهجه الحكم البديهية. لا أدرى ما إذا كان كل هذا يليق بالامبراطورية. وليس هنا مجال حكم عليها بل كل ما أستطيع أن أقوله هو أنها قاسينا نتيجة لعدم وجود خطة مرسومة، ونتيجة للإهمال المتعمد في التخطيط لمهمة جديدة وهامة ومسؤوله. لقد قاسينا كثيراً، ومع ذلك، فقد كنا نتلقي

في كل مرة نرفع فيه صوتنا بالشكوى الجواب التالي: «الشخص المسؤول الموجود في المكان يعرف أكثر». اسمحوا لي أن أقول بكل احترام بأن الانتداب قد منع لبريطانيا العظمى من قبل خمسين دولة لأن الخمسين دولة هذه كانت تؤمن بضمير بريطانية وبحقيقة تجربتها، وخاصة في إشراف هذا الضمير وهذه التجربة المباشر على الرجل المسؤول. إن مراقبة أعمال الهيئات التنفيذية في الدولة هي فكرة إنجليزية، ونحن الأوروبيين تعلمنا ذلك من الإنجليز. وهكذا، فإن الحكومة لا يمكنها التفاضي عن واجبها المتدبّة له باختيارها شخصاً حتى ولو كان عقرياً وتعيينه مسؤولاً عن الأمور. كان ذلك دائمًا جوابهم: «لقد عينا رجالاً مسؤولاً ليقوم بالعمل، ولننتظر ونرى»، وأحياناً كنا نتلقى جواباً آخر «من المرجح أن تكون شؤون الحكومة سائرة على ما يرام لأن كلاً من العرب واليهود يرثون شكاوى ومظالم». لم نفهم ذلك أبداً. هل أكون قد أديت واجبي نحو كل من أولادي أو من موكلني إذا ما كنت مكرروهاً من كل منهم؟ لا أعتقد ذلك.

لقد أصابتنا خيبة أمل كبيرة لعدم وجود نظام وخطة، كذلك أصبنا بخيبة أمل لعدم وجود المطلب الثاني وهو: الوضوح. لم يبلغ العرب ماذا كان يعني اللورد بلغور والأشخاص الآخرين بالوعد الذي سمي بوعد بلغور. لم يبلغوا أبداً. وهنا يا سيدي أريد أن أحصر نفسي بإعادة الذاكرة إلى قصة صغيرة عرفت بها هذه اللجنّة في فلسطين، كمثال على الموقف البعيد عن الحقيقة. أما ما أريد أن أشير إليه فهو أنهم بدل أن يكتبوا على قطع العملة وغيرها «أرض إسرائيل» Eretz Israel فإنهم يكتفون فقط بكتابة الحرفين العبريين «إ. إ. إ.» (E. I.)، لماذا؟ ما معنى ذلك؟ إذا كانت البلاد سوف تسمى أرض إسرائيل، فيجب أن يطبع الاسم بكامله، أما إذا كان ذلك شيئاً غير محتمل الواقع، فيجب عدم كتابته كلياً، ولكن هذا «الخرج» يوضع «النظام» كله، الذي يلمع إلى أن وعد بلغور قائم وقد يكون فيه شيء ما، وقد لا يكون فيه شيء أبداً. لقد كان ذلك هو «النظام» من البداية إلى النهاية. وإذا سئلت فإلئني على استعداد لدعم هذه الملامة بعدة حقائق، ولكنني متأكد بأن اللجنّة

الملكية قد أصبح لديها المعلومات الكافية لتكون حكمها في هذا الموضوع.

ان الاهتمام بالأمن هو عنصر مهم جداً في تطبيق نظام الانتداب. وإنني أفترض بأن اللجنـة كان لديها الوقت الكافي لاستخلاص نتائجها حول ذلك، ولكنـي أشعر أن من واجبي تذكيرـها ببعض جوانـب هذا الموضوع. لقد كـنا مهـدين بالـمذايـع في فـلـسـطـين، وقد أبلغـنا الحـكـومـة ذلك مـنـذـ سـنـوـاتـ، ولـكـنـا استـمرـتـ في تـخـفيـضـ عـدـدـ الجـنـودـ في فـلـسـطـينـ. لقد قـلـنـاـ لـلـحـكـومـةـ: «ـتـذـكـرـواـ بـأـنـ لـنـاـ أـطـفـالـاـ وـزـوـجـاتـ، لـذـكـ نـرـيدـكـمـ أـنـ تـصـبـغـواـ حـقـنـاـ فيـ الدـفـاعـ عـنـ النـفـسـ بـصـبـغـةـ الشـرـعـيـةـ كـمـاـ تـفـعـلـونـ فـيـ كـيـنـيـاـ». انـ كـلـ أـورـوبـيـ فيـ كـيـنـيـاـ كـانـ مـضـطـرـاـ حـتـىـ وـقـتـ قـرـيبـ لـأـنـ يـتـدـرـبـ فـيـ فـرـقـةـ الدـفـاعـ عـنـ النـفـسـ فـيـ الـمـسـتوـطـنـيـنـ، إـلـىـ مـتـىـ يـظـلـ الـيـهـودـ فـيـ فـلـسـطـينـ يـحـاـلـوـنـ الدـفـاعـ عـنـ النـفـسـ فـيـ الـخـفـاءـ، كـمـاـ لـوـ كـانـوـاـ يـرـتـكـبـونـ جـرـيـمةـ ضـدـ الـقـانـونـ؟ـ اـنـكـمـ تـدـرـكـونـ مـاـ تـعـنـيـ الـمـذـايـعـ فـيـ التـارـيـخـ الـيـهـودـيـ، وـإـنـتـاـ نـدـرـكـ أـيـضاـ مـاـ تـعـنـيـ الـمـذـايـعـ فـيـ تـارـيـخـ الـانتـدـابـ فـيـ فـلـسـطـينـ. لمـ يـسـمحـ لـلـيـهـودـ أـنـ يـسـتـعـدـوـ لـذـكـ الـوـاجـبـ الـمـقـدـسـ، وـاجـبـ الدـفـاعـ عـنـ النـفـسـ، كـمـاـ كـانـ يـفـعـلـ كـلـ شـخـصـ اـنـجـلـيـزـيـ، كـانـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـعـدـ أـنـفـسـنـاـ فـيـ الـخـفـاءـ بـأـجـهـزةـ غـيـرـ كـافـيـةـ وـبـتـدـرـيـبـ نـاقـصـ وـبـطـرـيـقـةـ غـيـرـ مـحـترـفةـ.ـ أـنـاـ لـأـ أـفـهـمـ كـيـفـ يـمـكـنـ لـحـكـومـةـ أـنـ تـقـبـلـ بـذـلـكـ بـعـدـ ثـلـاثـ تـجـارـبـ، كـانـتـ اـحـدـاـهاـ فـيـ ١٩٢٩ـ فـظـيـعـةـ جـداـ.ـ اـنـيـ آـسـفـ لـمـاـ قـدـ اـعـتـرـاـنـيـ مـنـ اـضـطـرـابـ وـغـضـبـ وـأـعـتـذـرـ لـلـلـجـنـةـ وـأـمـلـ أـنـ يـفـهـمـ أـعـضـائـهـ السـبـبـ لـذـلـكـ، وـمـعـ هـذـاـ فـإـنـيـ لـأـعـتـقـدـ بـأـنـيـ تـخـطـيـتـ حدـودـ الـمـنـطـقـ فـيـ تـقـديـمـيـ لـقـضـيـتـيـ أـمـامـ هـذـهـ الـلـجـنـةـ الـمـلـكـيـةـ.

اـذـاـ خـفـضـتـ عـدـدـ الـقـوـاتـ فـيـ فـلـسـطـينـ دونـ حـدـ تـأـمـنـ السـلـامـةـ بـدـعـوىـ أـنـ دـافـعـ الـضـرـائبـ الـبـرـيطـانـيـ لـاـ يـرـيدـ تـقـديـمـ أـمـوالـهـ وـأـبـنـائـهـ، فـإـنـ ذـلـكـ شـيـءـ طـبـيعـيـ، وـلـكـنـاـ نـحـنـ يـهـودـ كـلـ الـأـحـزـابـ ماـ زـلـنـاـ نـسـأـلـ مـنـذـ سـيـنـ: «ـلـمـاـ سـرـحـتـ فـرـقـةـ الـيـهـودـيـةـ؟ـ لـمـاـ لـمـسـحـوـنـ لـلـيـهـودـ بـأـنـ يـتـولـوـ زـمـامـ أـمـرـهـمـ بـأـنـفـسـهـمـ؟ـ لـتـكـنـ أـمـوالـنـاـ وـرـجـالـنـاـ تـحـتـ تـصـرـفـ الـقـيـادـةـ الـبـرـيطـانـيـةـ وـتـحـتـ الـقـانـونـ الـعـسـكـريـ الـبـرـيطـانـيـ؟ـ اـنـيـ لـأـ طـلـبـ «ـجـيـشـاـ يـهـودـيـاـ»ـ قـبـلـ اـيـجادـ الـدـوـلـةـ الـيـهـودـيـةـ، وـلـكـنـاـ

نريد بقاء الفرقة اليهودية كما كانت خلال الحرب تقدم خدماتها الجليلة. لماذا تشيع في هذه البلاد الفكرة بأننا نريد جوني وبيمي ويومي بأن يدافعوا عننا؟ إننا لا نريد ذلك. اذا كان بناء فلسطين يحتاج الى العرق والذهب فإن ذلك يقع على عاتقنا نحن، واذا كان على المدافعين عن فلسطين أن يسفكوا الدماء، فلتكن دماءنا وليس الدم الانجليزي. ولكن مثل هذا الاقتراح كان يرفض دائمًا.

لقد سبق وقلت: اني أدرك موقف اللجنة في رفضها التركيز على أسباب الاضطرابات، وما علي إلا أن أنحني أمام ذلك وأقبله، غير أنني من ناحية أخرى، أود أن أسأل هذه اللجنة عن وزارة المستعمرات وعن حكومة الاندباد: هل توجد لديكم خطة وخط عمل؟ في جنيف، وعد المستر ايدن مجلس العصبة بأن «لجنة ملكية» قد عينت للتحقيق في الاضطرابات السائدة، وأنها ستعمل على تقصي الحقائق، كذلك فقد تم اقناع اللجنة الدائمة للاندباد بأن تمتنع عن تقديم أي سؤال حتى تتمكن «لجنة ملكية» - ليس هذه اللجنة بالذات - من التحقيق في الحوادث الجارية. بالطبع من حق هذه اللجنة الملكية الحاضرة أن ترفض ذلك وإنني أقدر دوافعها لذلك، ولكن يا سيدي أين هذه اللجنة الملكية التي ستحقق لتعرف من هو المذنب؟ ولأنني أؤمن بأن طرفاً ما هو المذنب، فإلئني الفت النظر الى أن كميات كبيرة من الذخائر قد تسربت الى العرب في فلسطين قبل وخلال الحوادث. وإنني أؤمن كذلك بأن اهتماماً في الواجب قد وقع في البحث عن أمر الضحايا الذين سقطوا في البدء. هناك أمر أريد أن أفهمه ولكني لا أستطيع ذلك، وهو عدم قيام اضراب عام في حيفا كما حدث في يافا. أريد أن أفهم ما اذا كانت هناك اتفاقية جتلمن بأن تقوم «ثورة مرخصة» في جزء من فلسطين وأن لا تقوم ثورة حيث لا يريدها المسؤولون أن تقوم.. أريد أن أعرف لماذا سمح للسيد القاوقجي بمغادرة فلسطين، ولماذا سمح للعصابات بأن تسرح، ولماذا لم يتبع ذلك تجريد الأهالي من أسلحتهم. أريد أن أعرف لماذا تحدث كل هذه الأشياء في بلد ولا يكون هناك مذنب أو مسؤول.

وبحسب نظرية الرجل المسؤول الموجود هناك في ساحة الحوادث، اني أريد من ذلك الرجل أن يقف أمام لجنة ملوكية، أمام هيئة قضائية وأريده ان يجيب عن غلطاته. وأحياناً يكون لرجل متواضع مثل الحق في أن يقول «أنا اتهم». انهم مذنبون، مذنبون بتهمة السمسرة والتغاضي وإهمال الواجب. وإذا لم أكن مخطئاً يجب أن يكون هناك شخص يجيب أمام اللجنة الدائمة للإنتداب التابعة لعصبة الأمم التي أعطتكم حق الإنتداب. من الذي سيجيب؟ لقد علمت بأن تقريراً عن الحوادث سوف يقدم بطريقة عامة ضمن تقرير حكومة فلسطين الى عصبة الأمم، وذلك بدلاً من تقرير هذه اللجنة الملكية. وإن الفريق المتهم هو الذي سيقدم هذا التقرير. اني أقول لهذه اللجنة الملكية: يجب أن يكون بين أولى توصياتكم عن العلاج (لأنه مطلوب منكم أن تقدموا علاجاً) العمل على ايجاد المذنبين ومعاقبتهم، وكذلك الاستفسار عن المجلس الإسلامي الأعلى الذي يتالف من مجموعة الأشخاص الذين يرأسهم سماحة المفتى، والذين أعطتهم الحكومة نوعاً من الحصانة дипломاسية. لقد أجرت الحكومة مباحثات رسمية معهم. اني أطلب بكل احترام وبكل تواضع أن تقوم لجنة مستقلة عن وزارة المستعمرات وعن الرجل المسؤول في مكان الحوادث بالاستفسار والتحقيق في هذا الاتهام، لأنني أعتقد بأن هناك جريمة، وأننا أطلب بكل تواضع معاقبة مرتكب هذه الجريمة.

اما بالنسبة للعلاج، فإن العلاج الرئيسي في رأيي هو التخطيط ومجابهة الحقيقة. يجب ابلاغ العرب واليهود المضامين الحقيقة للإنتداب. وأن أرى أن هناك طريقة واحدة لتفسير الإنتداب. يجب أن تعدد خطة ولنسماها خطة السنوات العشر. وفي رأينا أن مثل هذه الخطة يجب أن تشمل اصلاحات زراعية وضرورية واصلاحات جمركية واصلاح الخدمة المدنية وفتح شرقى الأردن للتلسلل اليهودي وتأكيد الأمن العام بتأسيس الفرقة اليهودية وجعل حق اليهود في الدفاع عن أنفسهم شرعياً.

لقد سمعتم بالطبع عن التسويات والحلول الوسطية التي قدمت بما في ذلك اقامة المعسكرات Cantonization، أو التقسيم بالتساوي Parity Scheme أو التقارب الثقافي أو التساهل من جهة اليهود أو غير ذلك. أريدكم أن تتفوّوا بإخلاصي وبإخلاص كل الحركة وبإخلاص كل يهودي أنكلم عنه: نتمنى أن يكون الحل الوسطي ممكناً ولكن ذلك مستحيل، إننا لا نستطيع أن نقبل بإقامة المعسكرات، لأن كثرين، وحتى أنتم، تعرفون بأن حتى كل فلسطين أصغر من أن تسد حاجة هذا الهدف الإنساني. كيف يمكننا أن نرضى بزاوية أو مقاطعة صغيرة من فلسطين؟ إننا لا نستطيع ذلك ولن نستطيعه أبداً. حتى إذا أقمنا لكم بأننا سنرضي، سنكون كذابين في ذلك. بأية نقطة يمكننا أن «تساهل؟» ماذا يستطيع أوليفر توست أن يقدم من «تنازلات؟» إنه في وضع لا يؤهله لأن يتنازل عن أي شيء، إن القائمين على أمور البيت هم الذين عليهم أن يتنازلوا عن صحن حسام كامل. وليس هناك مهرب من ذلك. إننا لا نؤمن بأية تسوية على أساس تلك الخطوط. وإقامة المعسكرات أو التقسيم المتساوي هي مجرد كذبة لن تنطلي على أحد، وأن تكرارها لا يعني سوى تمديد الحالة التي أدت إلى اضطرابات ١٩٢٠ و ١٩٢٩ و ١٩٣٦ و ١٩٤٧، وسوف تؤدي إلى النتائج نفسها في المستقبل.

هناك طريقة واحدة للتسوية، وهي أن تخبروا العرب بالحقيقة، فالعربي منطقي وذكي وعادل، إن العربي يستطيع أن يدرك أنه ما دام للعرب أربع أو خمس دول عربية صرفة، فمن العدل أن تحول بريطانية فلسطين إلى دولة يهودية. وعندئذ سيحدث تحول في تفكير العرب، مما يساعد على إيجاد فرصة للتسوية، وبذلك يتحقق السلام.^١

* انظر «الفكرة الصهيونية - النصوص الأساسية»، بيروت مركز الأبحاث، ١٩٧٠، ص ٤٣١ - ٤٤٢.
ويعتبر فلايديمير جابوتинسكي من أسائلة الإرهاب والاجرام. حتى إن مناجيم يبغى يعتبره بمثابة «الاب الروسي» له.

منظمة الأرغون

(المنظمة العسكرية القومية) تشرح اسباب قيامها

شرحت الأرغون في تعميم نشرته على الصحافة الأوروپية في شهر آب / أغسطس ١٩٣٩ أسباب قيامها فيما يلي :

- ١ - ان غزو بلد واستقلال أمة مظلومة لا يتوج أبداً بالنجاح الا حين تدعمه قوة عسكرية.
 - ٢ - ان حوادث ١٩٢٠ - ١٩٢١ ، و ١٩٢٩ أثبتت بالتأكيد العرب في استعمال العنف المسلح لمقاومة انشاء دولة يهودية. وكان الموقف اليهودي السلبي أمام هذا العنف تشجيعاً للإرهابيين العرب.
 - ٣ - لا يمكن لنا أن نعتمد على قوة الانتداب لقهر العنف العربي . فإن الإدارة البريطانية هي ضد الصهيونية وضد اليهودية تماماً وقد شجعت هذه الادارة العنف العربي لتبرر نسخ تصريح بلفور والانتداب . وقد بلغت هذه السياسة ذروتها في كتاب مكدونالد الأبيض في أيار / مايو ١٩٣٩ .
 - ٤ - ستكون فلسطين في حالة الحرب نقطة استراتيجية ذات أهمية بالغة للديمقراطية الغربية .
- وفي أثناء الحرب سيكون حق اليهود التاريخي والقانوني والعاطفي في

فلسطين أقل احتراماً من جانب بريطانيا. وأنه بالاحتفاظ بقوة مسلحة للدفاع عن فلسطين سيكون في مقدورنا أن نحتل مركزاً يجعل بريطانيا تقبل بإيجاد دولة يهودية.

المصدر: سام أبو غزالة، الجنرال الارهابي لحزب حماس، مركز الابحاث، ص ٢٤.

٥ - إنذار صادر عن منظمة «شتيرن» الإرهابية الى السكان العرب، عام ١٩٤٨ (*)

إننا المحاربون لتحرير إسرائيل «لوحمي حبروت بسرائيل» والمعروفون
لديكم باسم منظمة «شتيرن» نتقدم اليكم بتحذيرنا هذا:

لقد حاربنا العدو البريطاني في خلال سنين لأننا كنا واثقين أنه هو
عدونا الحقيقي. حاربناه وانتصرنا عليه فعلًا. وبفضل حربنا ضد الانكليز
اضطروا إلى جلاء البلاد. غير أنهم قبل أن يتركوها حيث لا يرجعون، أخذوا
يسعون بكل جدهم لنقل الجبهة الموجهة ضدهم إلى جبهة يهودية - عربية.
ولقد أفلحوا بالوصول إلى هذه الغاية بمساعدة فئة خائنة من زعماء العرب،
فريق مأجور، يخدم الاستعمار البريطاني مدى السنين.

وعوض أن يهتموا في إيجاد سبيل للتفاهم مع اليهود والسلام في سبيل
نضوج البلاد وعمرانها بجهود مشتركة، نراهم قد أورثوا البلاد مأساة دماء
شنيعة. وما فتئوا يسعون الآن إلى جذب الأهالي بجهلهم هذه المعممة تارة
بالتحريض وأخرى بالاغراء بإعلانات الجهاد الخلاية.

أيها العرب، جتنا بهذا تنذركم قبل فوات الأوان. إننا «المحاربون
لتحرير إسرائيل» لا نعرف رحمة. فإن الانفجار الذي أحدهما في يافا والذي
أصاب لب قيادة المجرمين ما هو إلا بمثابة إنذار أولي. أولئك الزعماء الذين

أبلوكم بهذا الوصال يستترون وراء الأسوار البريطانية، بينما الجماهير تركت
وشأنها عرضة للأنخطار.

اعلموا أيها الجماهير، أنكم إن تواصلوا انقيادكم إلى اقتراحات أولئك
المجورين الخائبين من الهيئة العربية العليا سوف لا تكون لكم إقامة ولا
 تستطعون انقاد أنفسكم. ويشهد بذلك آلاف اللاجئين من يافا وحيفا
 والقدس. وإنما إذا تماديتم في السير بهذه الطريقة سوف لا يكون لكم مفر.
 فقد تكونون جميعكم عرضة لهجومنا. كل مدينة وقرية وكل بيت وقلعة يصبح
 هدفاً لنا، نمطر وابل قابلنا عليكم جميعاً. فلا جنين ولا رام الله ولا بشر
 السبع ولا نابلس أو غيرها... لن تكون احداها مقراً أميناً لكم ولن نكتف
 بضرباتنا على رؤوسكم. ولن تكون جبهة هنا وملجاً هناك. فلا تضلوا وراء
 الأقوال في نجدة ما من الدول العربية المجاورة. إن الكذب والخداع قد
 ملأت أفواههم.

لا فاعلموا أن المحاربين لتحرير إسرائيل سيأتونكم في ظلام الليل
 وضوء النهار. ولن تعرفوا إلى الراحة سبيلاً. إننا ندعوكم، قبل الختام، إلى
 السلم والأخاء. فإذا شتمتم أن تتركوا الخونة المتزعمين بالزعامة فتمتنعوا كلّكم
 من الحرية ومن فضائل البلاد. ولكنكم إن تتمادوا في الإنجراف وراء
 الدسائس البريطانية وأجلوراً لهم فلن تجدوا للراحة معنى».

الحياة والموت أمامكم. فاختاروا ما شتم.

وها قد خيرناكم وأنذرناكم !!

المحاربون لتحرير إسرائيل
«منظمة شترين»

صادر في فبراير سنة ١٩٤٨ ، الموافق في ربيع الأول سنة ١٣٦٢ .

* دافيد نيف «تاريخ المنظمة العسكرية القرمية» (بالعبرية) تل أبيب. كلاوزنر ١٩٨٠ . الجزء السادس. ص ١٥ . وقد وردت صورة الإنذار في كتاب عبد الحفيظ محارب: «هاغاناه، انتل، ليحي: العلاقات بين التنظيمات الصهيونية المسلحة، ١٩٢٧ - ١٩٤٨» بيروت. مركز الأبحاث ١٩٨١ . ص ٤١٨ .

ملحق رقم (٥)

٨ - مذكرة يسرائيل كنينج بشأن «الخطر الديمغرافي» الذي يمثله عرب الجليل والوسائل الصهيونية لمعالجته^(*)

نص المشروع :

مقدمة :

١ - سادت الدوائر المسؤولة عن السكان العرب، حتى قبل وقت قصير للغاية، آراء تقول أن قبول هذا الجزء من السكان بوجود دولة اسرائيل هو كامل، وإن أكثرتهم تمر في مراحل متقدمة من التمايل مع الدولة والإندماج في مؤسساتها المختلفة. هكذا، على الأقل، اتضح «للمهتمين» (بالشؤون العربية من بين اليهود) والقريبين إلى المراكز الاجتماعية للعرب، سكان الدولة ومواطنيها.

٢ - وقعت أخيراً عدة حوادث مست بهذه الفرضيات، ووضعت علامة سؤال كبيرة على لواء جزء كبير من أولئك السكان للدولة ولمجرد وجودها.

لقد ظهرت حقاً شكوك حول طريقة التفكير في شؤون عرب اسرائيل ومعالجتها قبل بضع سنوات، لأسباب متوضحة فيما يلي، ولكنها كانت متعارضة مع مفاهيم «المستعربين» ولذلك اسكتت حالاً. و يبدو لنا أنه لا نقاش الآن حول ضرورة البحث في «بديهيات»، كانت تعتبر أساساً مسلماً بها حتى الفترة الأخيرة.

٣ - بعد إقامة الدولة، وجدت البقية التي بقيت من السكان العرب،

نفسها دون زعامة. وتكونت اقلية وجدت نفسها ملزمة بالتكيف مع واقع الدولة اليهودية، التي تعيش في حالة حرب مع جاراتها العربيات، وتشيّط نفسها من خلال استعمال القوة ضدهم.

اما الحكم العسكري، الذي تسلم أولئك السكان، فقد قوى سلطة «الوجهاء». وانسجم بذلك مع المجتمع العربي القائم على الحمايل والعائلات. وأدى الغاء الحكم العسكري الى اهتزاز نفوذ «الوجهاء» ومن دار في فلکهم. وأدى اهتزاز علاقة الفرد بالدولة - الحكم العسكري - الى شعور جيل الشباب بالقوة التي يمنحه ايها المجتمع ديمقراطي من ناحية، وتحول المجتمع العربي من مجتمع زراعي الى صناعي، مع ما يتبع ذلك من النواحي الاجتماعية.

وبالإضافة الى ذلك، أجبر تمرد جيل الشباب، أحياناً، المتقدمين في السن على الانضمام الى معسكر المتمردين، وجعل من الدولة هدفاً لنضالهم، إذ لم تكن الظروف جاهزة لارتباطهم بالمجتمع اليهودي والدولة بشكل سليم ومشر، يضاف الى ذلك أن ساعدنا، من ناحيتنا، على الخروج عن الطوق بمحاولتنا كسب المتمردين «بوسائل» مختلفة.

خلال الخمسينات، كان المجتمع العربي مرتبطاً من الناحية الاقتصادية بالاقتصاد اليهودي، الذي افتح تدريجياً أمام العرب على مصراعيه، نتيجة لهرب العمال اليهوديين اليهود من العمل في مجال الأشغال اليدوية. وأدى ذلك الى نشوء طبقة ميسورة اقتصادياً، أصبح حسن سير اقتصاد الدولة متوقفاً عليها، الى حد بعيد.

٤ - مع الغاء الحكم العسكري، سلمت الدولة مجال الاهتمام بالقضايا العربية الى متحدثين بالعربية (من بين اليهود)، الذين اختاروا العناصر الشرسة (من بين العرب) وجعلوا منهم زعماء، من خلال تدعيم مراكزهم وقوامهم للحصول على منافع مادية لهم وللمقربين منهم. وقاموا بذلك متجردين المشاكل الاجتماعية في الوسط العربي من ناحية، وانعدام

التخطيط للمدى البعيد بشأن خلق نموذج مواطن عربي موال للدولة من ناحية ثانية.

وكانت المقاييس لتقدير العاملين في المجال العربي ، على المستوى السياسي والعسكري وفي الشرطة وفي المجال المدني ، هي مقاييس العقلية العربية . ولم تلاحظ على هؤلاء العاملين دائمًا علائم المقدرة على التفكير والتنفيذ بمستوى يفوق السكان الذين يفترض معالجة مشاكلهم ، وكان ذلك يجري بدلاً من المحافظة على مستوى التفكير المستقل والقدرة على تحليل الظواهر المزعجة من ناحية ، ومحاولة حل المشاكل من خلال تفكير موضوعي يؤمن المصالح اليهودية - القومية على المدى الطويل من ناحية ثانية.

٥ - إن واقع لواء الشمال ، حيث تعيش أكثرية عرب إسرائيل ، وموقعه الجغرافي ووضع السكان اليهود فيه يبرز بشكل ملموس المشاكل التي نشأت حديثاً ، وما قد ينجم عنها على المدى القريب والبعيد . واحدى الظواهر الأكثر اقلاقاً هي فقدان اليهودي لصبره تجاه المواطن العربي ، وفي بعض الأحيان يمكن أن نلحظ عداء ، قد يدفع بعد تحرش بسيط إلى انفجار غير مرغوب فيه ، وتصعب السيطرة عليه ، وتكون له نتائج وأصداء سلبية في البلد ، وخصوصاً في الخارج . (انظر قرارات منظمة الطلبة العرب الجامعيين في حيفا بشأن عدم القيام بحراسة مساكن الطلبة . عندما سمع لهم بدفع بدل حراسة).

وهناك عامل قوي يؤدي إلى مضاعفة هذا التوتر النفسي بين السكان اليهود ، وهو اهتزاز التوازن الديمغرافي في المناطق ، وهو اهتزاز يشعر به كل فرد (يهودي) ويخشأه .

وفي إطار هذه المذكرة . سنشير إلى عدد من المسائل المعقدة ، من أخلال شرح أرضيتها ، ونقدم توصيات لحلها .

أما المواضيع التي ستبحث فهي :

(أ) المشكلة الديمografية، وظواهر القومية العربية. (ب) الزعامة العربية وانعكاساتها. (ج) الاقتصاد والتشغيل. (د) التعليم. (هـ) تنفيذ القانون.

(أ) المشكلة الديمografية وظواهر القومية العربية.

١ - يبلغ التكاثر الطبيعي للسكان العرب في إسرائيل نحو ٥,٩٪ في السنة، مقابل تكاثر طبيعي للسكان اليهود بمعدل ١,٥٪ في السنة.

ان هذه المشكلة شديدة بشكل خاص في لواء الشمال، الذي يضم عدداً كبيراً من السكان العرب. ويبلغ عدد أولئك السكان، في منتصف ١٩٧٥، في لواء الشمال نحو ٢٥٠ ألف نسمة، بينما بلغ عدد اليهود نحو ٢٨٩ ألف نسمة. وإذا نظرنا بحسب الأقضية، نرى أنه في الجليل الغربي تبلغ نسبة العرب نحو ٦٧٪ من السكان. وفي قضاء يزراويل (أي الناصرة) تبلغ نسبتهم نحو ٤٨٪ من السكان. وخلال سنة ١٩٧٤، زاد عدد السكان اليهود في لواء الشمال ٧٥٩ نسمة، بينما زاد عدد السكان العرب ٩٠٣٥ نسمة. وبحسب نسبة الزيادة هذه ستصل نسبة السكان العرب في هذا اللواء إلى ما يزيد على ٥١٪ سنة ١٩٧٨.

ويشعر القوميون - وهذا تقديرٍ أيضاً بالنسبة للسكان العرب - أن تكاثرهم في الجليل يمكن فيه الخطر الذي يهدد مجرد سيطرتنا على المنطقة، ويفتح المجال لدخول قوات عسكرية من الشمال إلى إسرائيل، ويؤثر في تعاظم الشعور القومي لدى عرب إسرائيل واستعدادهم للمساهمة في ذلك.

٢ - حصل لدى السكان العرب في إسرائيل زخم قومي منذ حرب الأيام الستة. فسياسة الاتصال الحر مع الضفة الغربية وسياسة الجسور المفتوحة أدت إلى تجديد اللقاء بين عرب يهودا والسامرة وفلسطيني شرق الأردن من جهة، وعرب إسرائيل من جهة أخرى، وخلقت أساساً للوقوف بهامات مرفوعة، وخلقت أرضية لشعارات النضال القومي في إسرائيل. هذا التطور الحتمي وجد قوة دفع إضافية بسبب نتائج حرب يوم الغفران (حرب أكتوبر).

٧٣ - المترجم) وتدعم بسبب الأحداث السياسية الدولية التي تم التعبير عنها بالاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كحاملة للواء النضال من أجل القضية الفلسطينية.

ويتردد في الأونة الأخيرة ذكر قرار الأمم المتحدة حول حدود إسرائيل في العام ١٩٤٧ والذي بموجبه تقع أقسام كبيرة من هذه المنطقة خارج حدود دولة إسرائيل.

ان العربي الإسرائيلي لم يعد محمولاً، فقد انتقل الى حالة التعبير عن قوميته كلامياً فقط في هذه المرحلة. وقد ظهر هذا في عدة أحداث هذه أبرزها:

- (أ) في أثناء زيارة رئيس الحكومة الى الناصرة قبل سنة.
- (ب) الهتاف بشعارات تأييد لمنظمة التحرير الفلسطينية أثناء المظاهرات والمناسبات الأخرى.
- (ج) موقف الطلبة العرب في الجامعات من موضوع الحراسة.
- (د) التعبير عن الشعور القومي عن طريق الاقتراع في انتخابات بلدية الناصرة التي جرت في ٩ - ١٢ - ١٩٧٥.
- (ه) تطوع سكان الناصرة غير العادي وغير المتوقع لمساعدة بلدية الناصرة عن طريق تسديد أقساط مستعجلة لخزينة البلد الأمر الذي يساعد حزب ركاح (القائمة الشيوعية الجديدة) في هذه المرحلة على تسيير ادارة المدينة.
- (و) اجتماع احتجاجي شعبي في قرية سخنين بتاريخ ١٤ - ١٢ - ٧٥ وقد أعلن رئيس بلدية طمرة في هذا الاجتماع ان على إسرائيل أن تخشى عرب إسرائيل أكثر مما تخشى العرب خارج حدودها.
- (ز) القرارات التي اتخذت خلال اجتماع عقد في الناصرة يوم السبت

الموافق ٦ - ٣ - ٧٦ وهي :

- ١ - اعلان الاضراب العام لدى سكان اسرائيل العرب ليوم واحد، وإعطاء ذلك اليوم اسم «اضراب يوم الأرض».
 - ٢ - دعوة السكان العرب الى عدم الاكتفاء بالاحتجاج السلمي بل «الاحتجاج عن طريق النضال وانهاء النضال فقط في آخر الطريق . . .».
 - ٣ - الاضراب عن الطعام أمام مباني الأمم المتحدة بأسلوب الاحتجاج نفسه الذي يجري بشأن سجناء صهيون.
 - ٤ - «الحكومة بيتها من الزجاج علينا أن تكون أول من يرمي الحجارة لتحطيم هذا البيت».
 - ٥ - قول رئيس بلدية معليا - مسعد قسيس - المعتبر شخصاً «إيجابياً»، وهو نائب سابق لقائمة تابعة للمعراج (في اجتماع الناصرة المذكور) : « . . . ما هو حق اسرائيل المعنوي في مصادرة الأراضي في هذه المنطقة التي تقع بموجب قرار التقسيم من عام ١٩٤٧ ، خارج دولة إسرائيل».
- هذه الظاهرة تعتبر جديدة نسبياً وتشير الى رغبة جزء هام من السكان في الاحتجاج ضد الحكم الاسرائيلي ولو بنبرة منخفضة. وهذه حقيقة خطيرة جداً بالمقارنة مع سلوكهم في الماضي.
- ان عهد انتصارات الفلسطينيين في العالم ومكاسب القوميين في اسرائيل تشير الى اتجاه نحو مواجهة مكشوفة مع المشكلة العربية في اسرائيل. وهذا الاتجاه سوف يتوازى طالما انفرد حزب رکاح (القائمة الشيوعية الجديدة) في حمل لواء معارضة مؤسسة الحكم الاسرائيلية. (يجب أن نذكر أن كلمة «اسرائيل» لا تظهر في اسم رکاح وليس هذه مجرد صدفة).
- ٣ - توقعات
- (أ) تكاثر السكان العرب (من ١٥٠,٠٠٠ نسمة سنة ١٩٤٨ الى ما

يزيد على ٤٣٠،٠٠٠ نسمة سنة ١٩٧٥) يعطي القوميين العرب احساساً بالقوة والأمل، بأن الوقت ي العمل لصالحهم، وخصوصاً في منطقة مثل شمال البلاد، حيث يشكل الوجود العربي الكثيف في مناطق متصلة، حاجزاً مائعاً.

(ب) ان سيطرة حزب ركاح على مؤسسات «شبه حكومية» مثل المجالس المحلية ليعطي قاعدة قانونية لنشاطات قومية سياسية علنية وسرية، من خلال تبني الاساليب التي كانت متّعة في التجمعات السكانية اليهودية «قبل الدولة» وكذلك أساليب شيوعية مألوفة في العالم. وفي الواقع توجد اليوم عدد من المجالس المحلية تحت سيطرة ركاح وفي رأينا أن هذه المجالس غير مستغلة، عن سابق تعمد، للقيام بالوظائف المذكورة، بسبب غياب كوادر كافية للتنفيذ، وبسبب فقدان الامكانيات التنظيمية الكافية لذلك. وفي رأينا أن عدد الطلاب في جامعات أوروبا الشرقية الحاصلين على منح من ركاح يتزايد باستمرار بغضون إعداد هذه الكوادر.

(ج) هناك خوف جدي من أنه خلال العقد المقبل ستنتهي عملية استيلاء عربية من الناحية الديمغرافية والسياسية على عكا ومنطقة الناصرة.

(د) يجب الأخذ في الحسبان أنه في احدى مراحل العمل السياسي المعادي قد يطلب بشكل أو بآخر اجراء استفتاء عام في شمال البلاد في الوقت الذي يشكل فيه العرب أغلبية السكان.

هذا العمل سيحدث بتوجيه من الخارج، ولكن القائمين به قد يكونون يساريين - قوميين من أوساط السكان العرب في الدولة.

(هـ) قد يحدث في مرحلة معينة تنفيذ عمل استفزازي مخطط له بواسطة ركاح (أو بواسطة عرب) بغضون حدوث هيجان لدى عناصر يهودية غير منضبطة، الأمر الذي من شأنه أن يؤدي إلى عرض موضوع عرب اسرائيل على المنابر الدولية، ومن شأنه أيضاً أن يدفع المعتدلين من عرب اسرائيل إلى حالة يضطرون فيها إلى تأييد خطوات متطرفة داخل الدولة وخارجها.

(و) بدأت تظهر عمليات منظمة لشراء العرب عقارات في مناطق الشمال، ويظهر ذلك بشكل بارز في الناصرة العليا وعكا ويظهر بشكل مثير للقلق في مرج ابن عامر.

٤ - اقتراحات

(أ) يجب توسيع وتعزيز الاستيطان اليهودي في المناطق التي تبرز فيها الكثافة السكانية العربية ويزيد فيها عدد السكان العرب على عدد السكان اليهود بدرجة تزيد عن الحد المقبول، ويجب درس امكانية تخفيف عدد السكان في التجمعات السكانية العربية القائمة.

يجب توجيه اهتمام خاص الى مناطق الحدود في شمال غرب الدولة ومنطقة الناصرة. التوجه وسرعة التنفيذ يجب أن يخرج عن اطار المألوف الذي كان متبعاً تجاه هذه المواقف حتى الآن. وبموازاة ذلك يجب تطبيق قوانين الدولة بغض تقدير «عمليات الاستيطان» العربية في أقسام الدولة المختلفة.

(ب) يجب في الوقت نفسه الاهتمام بإيجاد زعامة يهودية قوية وثابتة في الناصرة العليا (اليهودية) وفي عكا تكون قادرة على مواجهة التطورات الخطيرة المتوقعة.

(ج) اتباع سياسة الثواب والعقاب (ضمن القانون) بالنسبة الى القادة والقرى الذين يتكلمون بأية صورة معادية للدولة وللصهيونية.

(د) من أجل تجرييد حزب ركاح من «الريادة» في حمل لواء النضال القومي وتمثيل عرب اسرائيل، ولإعطاء تنفس للجالسين على «الحافة» يجب تأسيس حزب شقيق لحزب العمل يكون التركيز فيه على مبادئ المساواة والانسانيات والثقافة واللغة والنضال الاجتماعي ورفع علم السلام في المنطقة. وعلى المؤسسات الحكومية أن تهيء نفسها من أجل أن يكون لها وجود خفي في هذا الحزب وأن تحكم فيه.

(هـ) يجب اتباع سياسة تنسق كامل ومطلق بين الوزارات والهستدروت والسلطات المحلية خصوصاً في المستوى التنفيذي على الطبيعة والاصرار على التنفيذ بصورة صارمة.

(و) بذل كل جهد ممكن من أجل التوصل الى وفاق قومي بين كل الأحزاب الصهيونية حول موضوع عرب اسرائيل بغرض اخراج هذا الموضوع عن مجال الصراعات السياسية الداخلية.

(ب) الزعامة العربية وتأثيرها

١ - المجتمع اليهودي الديمقراطي والذي وجد السكان العرب الذين بقوا في البلاد أنفسهم فيه بعد قيام الدولة لم يستوعبهم سواء من ناحية التقاليد أو الانفتاح . واليهود الذين أوكلت اليهم مهمة معالجة شؤون هؤلاء السكان العرب وكان هدفهم جعل هؤلاء السكان مخلصين لمجتمع اليهود الذي قام في دولتهم لم ينجحوا في ذلك . بل بالعكس ، هناك دلائل واضحة على أن كل الخطوات اتبعت من أجل الحفاظ على طابعهم الخاص وعزلهم من جهة وعلى محاولات ترمي الى كسب اهتمام انتقائي ومعاملة خاصة ومميزة من جهة أخرى .

ومع ذلك سمعت التصريحات صباحاً ومساء حول المساواة والاندماج وغير ذلك ، ولكن الأفعال كانت مناقضة تماماً . هذه السياسة لم تأخذ في الحسبان الطبيعة العربية الشرقية السطحية غير المتعمرة والتي تميز بعمل الخيال أكثر من عمل العقل .

التعبير الحاد لهذه السياسة المتناقضة هو «تسويغ» ممثلين وزعماء للسكان العرب . حتى اليوم لا يوجد أي مسؤول عربي «أيجابي» منتخب على المستوى المحلي .

ان المجتمع العربي في اسرائيل الذي يمر بمخاض الانتقال من

مجتمع زراعي ذي أسس قائمة منذ أجيال الى مجتمع صناعي، والى تحطيم الاطارات العائلية والدينية والاجتماعية، يعاني بالإضافة الى ذلك من الضياع القومي.

هذا الضياع يتميز بالخطورة ويضع كل فرد أمام قرارات حاسمة وأحياناً مصيرية. ان مجتمع فترة الانتقال في هذه المراحل في حاجة الى قادة قادرين على أن يكونوا نموذجاً شخصياً وأن يتملکوا الصفات التي تمكّنهم من الاجابة عن أسئلة المرتباين المخلصين، ومن سوّقهم الى الحل المعقّل على الصعيد الشعبي والشخصي.

ولكن كما ذكرنا في المقدمة لم يكن هذا الاختبار هو الأساس للحصول على شهادة «زعيم» بل ان الشخص العنيف صاحب السلطة الذي قلما يكون انساناً مستقيماً يصبح مثلاً لرافعي لواء عرب اسرائيل.

٢ - الجيل الثاني الذي تربى في المجتمع الاسرائيلي ويفعلون أن يكتسب ولو بصورة سطحية فقط أساليب الحياة الاسرائيلية لا يستطيع أن يتقبل هؤلاء الزعماء. لقد كان من الممكن ملاحظة علامات على ذلك منذ عشر سنين، وكان من الواجب على المسؤولين المختصين بهذه المواضيع أن يخلقوا شخصيات مقبولة بالنسبة للجيل الثاني وأن يخلقوا مع ذلك اخلاصاً تجاه الدولة. وفي رأينا أنه اذا كان هذا التقصير قد نجم عن عدم مقدرة أو عن تعمد، فإن نتائج ذلك من الممكن أن تنطوي على كارثة. إن أحد الدوافع الأساسية للتراجع الراهن الواقع اليوم هو التحفظ على هذه الرعامة.

٣ - توقعات

(أ) الصراع بين ذوي المناصب المختلفة والجيل المتمرد سوف يتصاعد بينما سيكون الأوائل معتمدين في الأساس على مؤسسات الحكم المستدركة والحزبية.

(ب) ستكون النتيجة أن الصراع على السلطة والمنصب سيتحول الى صراع ضد مؤسسة الحكم والدولة، والأكثرية ستنتقل باستمرار الى جانب المتمردين.

(ج) العناصر المعادية للدولة سوف تستغل بشكل واسع هذه الأزمة الاجتماعية وسوف تغيرها لمصالحها. واصداء ذلك سوف تستغل من على منابر مختلفة في الداخل والخارج كنضال اجتماعي وقومي.

(د) في رأينا، اذا استمر التدهور على الوتيرة الحالية، فسوف ينبع حزب ركاح بعشرة نواب في الانتخابات المقبلة للكنيست.

٤ - اقتراحات

(أ) يجب اتخاذ خطوات جريئة يجري بموجتها تغيير معظم العاملين في القطاع العربي التابعين للأجهزة الحكومية والشرطة والأحزاب بما في ذلك وأصعي السياسة.

(ب) يجب التخلص من «الزعامة» العربية التي لا تمثل السكان العرب والتأكد على عدم تضامن الحكم معهم.

(ج) على أولئك الذين توكل اليهم المهمة البدء مباشرة ببناء شخصيات جديدة ذات مستوى ثقافي واستقامة شخصية تتمتع بمواهب قيادية، ومساعدتها على تأسيس حزب عربي كما ذكرنا أعلاه.

(د) يجب تعيين لجنة خاصة (من الاستخبارات العامة) مهمتها تقضي السلوك الشخصي لقادة ركاح والشخصيات السلبية الأخرى ونشر هذه المعلومات أمام جمهور ناخبيهم.

(هـ) اتخاذ خطوات فردية ضد كل شخصية سلبية في كل المؤسسات والمستويات.

(ج) الاقتصاد والعمل

- ١ - النمو والرخاء الاقتصادي اللذان مرا على سكان الدولة خلال سنوات وجودها شملاً أيضاً السكان العرب. وفي الحقيقة يبرز هذا الأمر بشكل أوضح في ضوء كون معظم الذين بقوا في حدود الدولة بعد معارك ١٩٤٨ - ١٩٤٩ هـ من الفقراء. إن الفارق الشاسع بين العرض والطلب على الأيدي العاملة في الاقتصاد بكل فروعه وخاصة فرع البناء. وورش اصلاح السيارات وكل الأعمال اليدوية بشكل عام، والتبعية التي تميز فروع اقتصاد كثيرة مرتبطة بهذه الأيدي العامة، أعطت شعوراً بالقوة لعرب اسرائيل الأمر الذي استغلته الجهات المهمة بذلك.
- ٢ - المساعدة المتبادلة المألوفة حتى اليوم بين أفراد العائلة، وعدم وجودوعي حول توظيف المال في مشاريع انتاجية أكبر من المشاريع متواضعة الحجم، أدت إلى تراكم فائض أموال نقدية كبيرة جداً في أيدي السكان العرب. هذه الأموال تخفي عن سلطات الضرائب المختلفة. ويجب التأكيد على أنه بينما يشكل عدد السكان العرب ١٤٪ ولا تحصل لديهم ظاهرة «اقتلاع»، الأيدي العاملة عن طريق التجنيد للخدمة العسكرية لمدة ٣ سنوات، فإن مجموع الضرائب التي يدفعها السكان العرب هو ١,٥٪ فقط. وهكذا يؤمن السكان العرب بصورة أساسية، مستقبلهم الاقتصادي. كذلك فإن تركيب الأعمار (نصف السكان شباب عامل) له مدلول هام: دخل عال لكل عائلة. وبالإضافة إلى ذلك هناك منح حكومية (التأمين الوطني) للعائلات التي يزيد عدد أولادها على الاثنين (٩٥٪ من العائلات العربية في اسرائيل).
- ٣ - هناك موضوع بارز بشكل خاص في المنطقة الشمالية، بسبب التجمع السكاني العربي الكبير فيها، وهو المشاريع التي تقيمها الدولة في المنطقة وتتوظف لها أموالاً ضخمة بغرض زيادة عدد السكان اليهود. هذه المشاريع تجعل عدد العمال العرب فيها يصل إلى نسبة تتراوح بين ٢٥٪ و٥٠٪.

الطمأنينة الاجتماعية والاقتصادية هذه، التي تحرر الفرد والعائلة من

القلق والهموم اليومية تمنحهم من حيث يدرؤون أو لا يدرؤون متسعاً من الوقت للتفكير في أمور «اجتماعية - قومية». وهذه الأفكار تستغلها عناصر معادية لتوليد ظواهر الغليان والتذمر على أنواعها ولخلق شعور بالقوة وبوجود إمكانات الاحتجاج الشعبي.

٤ - توقعات

(أ) تجميع الأموال وخاصة السوداء منها (المهربة من الضريبة - المترجم) في أيدي غير مرغوب فيها، وهي تقدر بمئات الملايين، من الممكن، بالإضافة إلى الضرر الاقتصادي الناجم عن ذلك، أن تشكل قاعدة للتبرعات التي تجمعها عناصر معادية (ذكرنا كيف جرى التقطيع لدفع الأقساط البلدية الناصرة).

(ب) كثرة عدد العمال العرب في المصانع والمشاريع قد يؤدي إلى الإسراع في عملية الاحتكاك بين اليهود والعرب، ومن شأن ذلك أن يتطور إلى اصطدامات غير مسيطر عليها. وبالإضافة إلى ذلك هناك إمكانية سيطرة حزب «رकاح» على لجان العمال.

(ج) أن تركيز السيطرة على قطاعات اقتصادية معينة يمكن العرب من الإضراب أو عدم التعاون مما سيؤدي إلى أضرار اقتصادية بالغة للدولة، وعلى الخصوص أضرار سياسية عن طريق ابراز وزنهم كعامل مهم في اقتصاد الدولة.

(د) هناك مصاعب آخذه في التفاقم بالنسبة لاستيعاب مستخدمين يهود خاصة في الشمال حيث هناك اهتمام خاص بزيادة عدد السكان اليهود على أنواعهم.

٥ - اقتراحات

(أ) يجب وضع اتفاقيات مناسبة مع كل إدارة مشروع أو معمل خاضع لـ«قانون استثمار رأس المال» في المناطق الحساسة (كما ذكرنا أعلاه) بحيث

لا يزيد عدد العمال العرب فيها على نسبة ٢٠٪.

(ب) على سلطة الضرائب اتخاذ خطوات سريعة لتعزيز الجباية ولتنفيذها بصورة صارمة وبدون أي استثناء.

(ج) يجب التوصل إلى تسوية مع مصادر التسويق المركزية للمواد الاستهلاكية على أنواعها، يكون من شأنها تحديد الوكلاء العرب ووضع العقبات أمامهم خاصة في منطقة الشمال بفرض منع اعتماد السكان اليهود على الوكلاء العرب وخاصة في أوقات الطوارئ.

(د) على الحكومة ايجاد طريقة يمكن بواسطتها تجنب اعطاء المنح للعائلات عديدة الأولاد لدى السكان العرب أما بواسطة ربط المنحة بالوضع الاقتصادي أو بواسطة مصادرة هذه الأموال من التأمين الوطني وإعطائها للوكالة اليهودية أو المنظمة الصهيونية بحيث تكون مخصصة لليهود فقط.

(هـ) العمل على ايجاد وضع تهم في المؤسسات المركزية بتفضيل ترسيخ الاطارات والأفراد اليهود مكان العرب.

(د) التعليم

١ - ان أهم وأبرز تغيير في مفاهيم وسلوك السكان العرب يعود الى تعميق وتوسيع شبكة التعليم في وسطهم.

ان التحسن في الوضع الاقتصادي والامن الاجتماعي لدى الفرد والعائلة، دفع عدداً كبيراً من الطلبة الى المدارس الثانوية ومعاهد الدراسة العليا. هذا الاتجاه دفع الى تطبيق رسم التعليم المتدرج (٦٦٪) في المدارس الثانوية.. ان الدعم المالي وسياسة المنح لطلبة الجامعات اللذين خلقا مجتمعًا طالبياً متفقاً ولو بصورة سطحية وريفية، يشكلان «الخميرة» لكل حركة قومية وخاصة في مثل ظروف عرب اسرائيل. هذا هو الوضع الحاصل (انظر أحداث الجامعات). لقد كان من الواجب على المسؤولين عن هذا القطاع توقع هذه الاحتمالات. ومن الواجب منذ الآن فصاعداً التخطيط الدقيق

من أجل التنسيق بين الأجهزة المختلفة ومن أجل القيام بالنشاطات الواجبة بالنسبة لمجموعة الخريجين على أنواعهم.

٢ - وضع أسباب تفضيلية (علامات منخفضة) لقبول الطلبة العرب في الجامعات والمعاهد العليا على أنواعها والمواضيع التي يوجهون إليها (الأدب، العلوم السياسية، علم الاجتماع) وعدم وجود اهتمام وامكانيات لاستيعاب الخريجين في العمل، كل ذلك أدى إلى وجود مجموعة كبيرة من «المتفقين» المتذمرين والذين لديهم حاجة نفسية عميقة تدفعهم إلى البحث عن منفذ لتذمرهم. هذا الأمر يجد تعبيراً له في معاداة مؤسسة الحكم الاسرائيلية والدولة.

هذه المشكلة تأخذ طابعاً خطيراً جداً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن عدد الخريجين يزيد على ٥٧٠٠ خريجي وأن عدد الطلبة العرب في المعاهد العليا اليوم يصل إلى حوالي ٢٥٠٠ طالباً.

٣ - توقعات

(أ) بسبب صعوبة الاعتراف موضوعياً بالخلاف المهني سوف يتعمق الشعور بالتذمر؛ وفي الوقت نفسه سوف يزداد باستمرار عدد الخريجين المتذمرين.

(ب) عند أخذ الطبيعة الشرقية بعين الاعتبار وبسبب الديناميكية الاجتماعية، سينتقل هذا المجتمع من الاتجاه نحو الداخل إلى التعبير نحو الخارج، ويجب أن لا نتجاهل امكانات التنظيم والانتقال إلى العنف والدلال على الأولية على ذلك أصبحت قائمة.

(ج) رفع لواء النضال الاجتماعي والقومي والتأييد العلني لمنظمة التحرير الفلسطينية وحتى لمنظمات أكثر تطرفاً.

(د) هناك إمكانية معقولة لنجاح بعض القادة على أساس انهم أبناء المجتمع المحلي التقديمي الذي نشأوا فيه. وما من شك في أن بعض هؤلاء

سيتمتعون بصفات القائد.

(هـ) يجب عدم تجاهل الصعوبات التي ستواجه الحكومة عندما تريد اتخاذ التدابير ضدهم في الأوقات الحرجة وذلك بسبب مستواهم الشخصي.

٤ - اقتراحات

(أ) يجب الاحتفاظ بأسس خاصة بالنسبة لليهود ازاء قبول الطلبة في المعاهد العليا وكذلك بالنسبة لإعطاء المنح الدراسية.

المحافظة على هذه القواعد سينشأ عنها انتقاء طبيعي وستقلل بشكل كبير عدد الطلاب، وهذا سيقلل عدد الخريجين ذوي المستوى المنخفض مما سيسهل استيعابهم في العمل بعد انتهاء دراستهم.

(ب) يجب تشجيع توجيه الطلبة الى المواضيع الفنية والمواضيع الأساسية وعلوم الطبيعة. فمثل هذه المواضيع لا تعطي الا القليل من الوقت للإنشغال بالقومية، وفي الوقت نفسه مستوى الرسوب فيها مرتفع.

(ج) تسهيل السفر الى خارج البلاد بغرض التعليم ووضع العرافقين أمام عودتهم وانخراطهم في العمل. فمثل هذه السياسة من شأنها أن تشجع هجرتهم.

(د) يجب اتخاذ تدابير صارمة في كل المستويات ضد المحرضين على أنواعهم في أوساط المعاهد العليا.

(هـ) إعداد خطة مسبقة لاستيعاب القسم الأكبر من الخريجين حسب مؤهلاتهم. هذه السياسة من الممكن تطبيقها حسب المهلة (عدة سنوات) التي بها يخطط المنفذون لخطواتهم.

(هـ) تطبيق القانون

١ - ان وجود القانون وتطبيقه بواسطة الحكم يعبر عن المصلحة الشعبية للمجتمع وتفضيلها على مصلحة الفرد. وفي اطار هذا الموضوع يكون

الحرص على الأمن الداخلي بكل ما ينطوي عليه من معانٍ المصلحة القومية والمصلحة اليهودية العليا عامة.

ان تطبيق قوانين الدولة في مجتمع يجري بناءه كما هو الحال في اسرائيل انما هو مشكلة يجب من أجل حلها اتخاذ جانب من الذين والحد من ممتهني الحكم. ولكن الى جانب ذلك على السلطة التنفيذية العاملة في القطاع العربي أن تؤكد على مراعاة القانون وتطبيقه ومنع التدهور.

لقد ذكرنا أعلاه كيف اتبعت وسائل متاقضة تجاه هؤلاء السكان العرب. فهؤلاء السكان أصبحوا يعون استناداً الى وقائع أنه من الممكن خرق القانون بواسطة اقامة علاقات مناسبة مع أشخاص مناسبين. ان هذه العادات مع ما تسببه من ضرر بالمصلحة العامة بشكل عام، فإنها تظهر علامات ضعف في الحكم الاسرائيلي في أعين عرب اسرائيل مما يجعلهم يتوقعون المزيد من التنازلات فيما اذا مارسوا المزيد من الضغط، والنماذج على ذلك كثيرة.

٢ - من الصعب ايجاد تفسير مقبول للجباية المنخفضة للضرائب، لدى كل طبقات السكان العرب بالمقارنة مع ما يجيء من السكان اليهود. وهذا هو الحال بالنسبة للبناء غير القانوني. وعدم مراعاة القانون في هذا المجال قد يؤدي الى أضرار خطيرة بالنسبة للأمن الداخلي في مناطق واسعة في شمال البلاد وكذلك في المنطقة الوسطى منها.

يجب أن نتذكر وأن نتعلم من تجارب دول أخرى ذات أقلية، قومية أن الليبرالية الزائدة وغير المراقبة لا تؤدي الى النتائج المرجوة بل الى العكس. وبصورة خاصة تطبق هذه القاعدة على مجتمع مثل الأقلية العربية في اسرائيل كما فعلنا أعلاه.

٣ - توقعات

(أ) في مجتمع قائم على القانون، تنتجه عن عدم مراعاة القانون

وبصورة علنية، ديناميكية لمخالفة القانون يتطلب لجم تدهورها جهوداً مضنية فيما بعد.

(ب) يجب لفت الانتباه الى أنه مع الوقت قد يؤيد يهود كثيرون بسب دوافع مختلفة مجتمعأً يخالف القانون. وإذا ما حاول الحكم جعلهم يطبقون القانون سيتهمونه بـ «الاضطهاد».

(ج) يجب عدم تجاهل عدد السكان العرب - ١٤٪ اذ أن مخالفة هذه النسبة من السكان للقانون قد تتخذ طابع «التمرد».

٤ - اقتراحات

(أ) يجب ارشاد كل العاملين في القطاع العربي الى عدم التغاضي عن مخالفة القوانين وعلى وجوب تطبيقها كما جاءت في النص الحرفى.

(ب) يجب اتخاذ تدابير قضائية ضد موظفي الدولة والمؤسسات الأخرى الذين لا يؤدون واجبهم في تنفيذ القوانين.

(ج) تقديم دعاوى وتنفيذ عدد من الأحكام خاصة في مواضيع ضريبة الدخل والبناء غير القانوني لكي يرتفع السكان العرب عن التفكير بإمكانية التهرب من السلطات القانونية.

(د) يجب تعزيز وجود قوات الشرطة والأمن على أنواعها في الشارع العربي من أجل ردع أوساط متطرفة و«محايدة» قد تتجسر الى أعمال التمرد والمظاهرات.

بعد ٣٠ آذار / مارس اقتراح رقم ٢

١ - كتمة لمذكوري السابقة وبموجب التطورات وأحداث يوم الثلاثاء من آذار / مارس وما أعقبه أرى من واجبي تحليل ذلك وتقييمه وعرض التوقعات المحتملة في المستقبل القريب وعدد من المقترنات التي أرغب في تنفيذها عاجلاً.

النجاح الكلي للإضراب في القطاع العربي هو حقيقة يجب درسها جيداً وأخذها حقيقة قائمة ومتصلة لكل بحث في هذا الموضوع .
ان نجاح الاضراب وحجمه كان لهما عدة عوامل يجب الوقوف عليها وهي :

- (أ) لا توجد أية امكانية لفحص نسبة أو عدد العرب الذين حضروا للعمل خارج أماكن سكناهم .
مع ذلك فإنه داخل القرى والمدينتين، التي يتركز فيها السكان العرب كان الاضراب كاملاً .
- (ب) سيطرة منظمي الاضراب على مؤسسات التعليم بكل أنواعها في القطاع العربي .

(ج) حملة الاقناع بضرورة الاضراب بدأت بواسطة مصادر «رسمية» كرؤساء مجالس محلية وشخصيات عامة تعتبر عادة معتدلة وتعاونية مع مؤسسة الحكم الاسرائيلية . يجب الاعتراف بأن هذه الأوساط فعلت ما فعلته بتأثير الانطباع أن موظفين حكوميين كبار يقفون الى جانبهم ، وأن «تدخل» السكان العرب سيقنع الحكومة بأن تمنع عن تنفيذ المصادرية «مصادرة الأرضي» . وقد تنافسوا في هذه المناسبة على اطلاق التصريحات المتطرفة مفترضين أن من يكون كلامه أقوى ستكون مكاسبه أكبر .

(د) في مرحلة متاخرة جداً وبعد أن اكتشفوا خطأهم لم يستطع الزعماء الرسميون العرب - أي رؤساء المجالس المحلية وغيرهم - التراجع ، اذ أن التدهور الذي تسببو فيه جرفهم هم أيضاً .
ان محاولات اليهود الحيلولة دون الاضراب لم تنجح . وادت الى تباين عميق بين السكان العرب وممثلיהם المنتخبين بمجرد حدوث الاضراب والأحداث التي رافقته .

(هـ) قام منظمو الاضراب بحملة ارهاب شديدة ضد مخالفي الاضراب وصلت الى حد استعمال العنف ونجحوا في ذلك. ان وعود مؤسسة الحكم بتامين حماية كاملة لكل من يخالف الاضراب لم تكن موثوقة بها وامتنع السكان عن الاعتماد عليها.

٢ - مع أن الاضراب بكل ما سبقه ورافقه خطط له ونظم ونفذ على يد ركاح، حرص الحزب على عدم إبراز نفسه في هذا الدور بفرض الامساك بزمام القيادة عملياً في أوساط القوميين، وحتى يصبح في الوقت نفسه القائد لكل نشاط قومي وعربي في أوساط عرب اسرائيل في المستقبل.

يجب الاهتمام بهذا الموضوع دراسة دوافعه وعناصره:

(أ) ان حركة التحرير الفلسطينية التي تشكل حركة تحرر قومي لعرب فلسطين لم ترسم في برنامجها أهدافاً اجتماعية، فعدا جناح صغير وهامشي - جماعة جورج حبش - لا يوجد أي جناح يهتم بهذه المواضيع جدياً أو يشملها بتصریحاته.

(ب) دفع جماهير غير متممية الى الحزب الى صدام علني وعنيف مع قوات الأمن والتسبب بأكبر عدد ممكن من الاصابات بين الجمهور، بغرس خلق مشاعر الحقد والنقمة لدى السكان والتوتر لدى الحكم تجاه السكان المعادين.

(ج) هناك عملية تقليدية وملوقة لدى حركات التحرر في آسيا وأفريقيا وهي الرابط بين النضال القومي والاجتماعي، مما يساعد على تجديد الجماهير لمتطلبات النضال وعلى تأييد الرأي العام العالمي. ومن البديهي أن هناك دولاً وكذلك دولة عظمى ذات توجه معين تجد نفسها متورطة ولو على سبيل الدعاية فقط في كل نضال يجري تحت هذه الشعارات.

في ضوء ما تقدم يجب توجيه الاهتمام الجدي لهذه الاتجاهات وللظواهر التي قد تنجم عن خلق هذا التجانس بين الرأي العام العالمي

والسكان العرب. لذلك سينتظر ركاح في اعتقاده باتخاذ مثل هذه الخطوات خصوصاً تحت غطاء قومي.

٣ - يجب التأكيد على عدة مكاسب هامة للقومية العربية التي يقودها ركاح كنتيجة ليوم الاضراب وللمشااغبات التي سبّقته ووقعت فيه:

(أ) حدث لأول مرة منذ قيام الدولة وضع، تضامن فيه كل السكان العرب في اسرائيل عن وعي وبصورة علنية ضد طلب الحكومة ومع طلب سياسي - قومي عربي متطرف، واستعداد نفسي للعمل من أجل تحقيقه. بالإضافة إلى ذلك فإن معظم السكان العرب أيدوا و يؤيدون الآن أيضاً من قاموا بأعمال الشغب وهاجموا قوات الأمن وهم يتضامنون معهم علينا ويصرحون بذلك علينا ويصرحون بذلك على الملا.

(ب) عدد كبير من المجالس المحلية ورؤسائها استعملوا كوسائل وأدوات من أجل تطوير وتسيير النضال؛ وحتى أولئك الرؤساء الذين لم ينضموا إلى المتطرفين في المرحلة الأخيرة بفعل الضغوط لم يعلنوا عن معارضتهم للإضراب بل طلبوا تأجيله لفترة ما، بغرض استخدام التهديد بالإضراب كوسيلة ضغط على الحكومة كي تخضع لمطالبهم.

(ج) نجح القوميون وحزب ركاح في تحريض وتوريط الجماهير في صدام عنيف مع قوات الأمن، مما أدى إلى خلق رواسب عميقة وخاطئة لفترة طويلة. وما يدل على أن المنفذين نجحوا في التخطيط الدقيق أنه رغم الهجوم الذي أصاب الجمهور نجح المخططون في إخراج المنظمين من الاصطدام العنيف وفي المحافظة على سلامتهم الجسدية وكذلك من الاعتقالات التي أعقبت الصدام.

(د) ان أعمال العنف العلنية على الرغم من النتائج المريرة التي جلبتها للسكان فإنها ملأتهم عزة وكبرباء. انهم يعتزون بأنهم كانت لديهم الشجاعة للتصادم مع القوات الرسمية للدولة. ويجب الا ننسى أن مثل هذا الاحساس لدى سكان مثل عرب اسرائيل وفي الجو الذي يعيشون فيه، هو احساس

يعطي امكانات كبيرة لإخصائني الدعاية من أجل ابراز «الكبرياء الجريحة» لعرب اسرائيل.

(هـ) لقد بزرت القوة السياسية التي يملكونها القوميون العرب. تلك القوة التي يعيش حزب ركاح على ابرازها لخدمة أهدافه ومعاركه السياسية المقبلة كما بينا أعلاه.

(و) لقد أدى الاضراب وأعمال العنف الى عزل تلك الزعامة العربية الرسمية «المتحية» ورؤساء المجالس المحلية الذين لم ينضموا الى الاضراب او اترحوا تأجيله. لأن ذلك الاضراب جرى بصورة كاملة ضد قرارهم الذي اتخد في اجتماع شفا عمرو. بهذا جرى تسليم الجمهور العربي النشط وخاصة الشباب فيه الى أيدي ركاح ومعاصديه القوميين.

هنا لابد من التساؤل هل كان من الحكم السياسية على المدى الطويل توجيه الضغط الى رؤساء المجالس المحلية في اجتماع شفا عمرو لكي يتصرفوا كما تصرفوا. يجب دراسة هذا الموضوع بكل تأكيد واتخاذ القرارات المناسبة. إن النجاح التاريخي الذي حققه المنظمون وما يمثلونه هو التوحيد المطلق لعرب اسرائيل الذي تم في «يوم الأرض» وكذلك الهوة العميقه التي نجحوا في ايجادها كنتيجة لذلك بين السكان اليهود وبين السكان العرب. ان هذه الهوة تتع وستتع عندها انعكاسات حادة سواء على صعيد السكان اليهود او العرب. وما من شك في أن جهات معادية ستستغل ذلك الأمر.

(ز) ترك الاضراب انتساباً قوياً لدى العامل ومؤسسات الخدمات، بأن حسن سير الاقتصاد يعتمد على الأيدي العاملة العربية. وفي الوقت نفسه أثبت السكان العرب حيويتهم بالنسبة للاقتصاد الذي يديره يهود. هذا الأمر أيضاً يستغل في المستقبل بغرض خلق مشاعر «الكرامة العربية» التي لابد أن عرب اسرائيل سيستمرونها وسيستغلونها.

توقعات:

(أ) الظروف والمعطيات التي تكونت في «يوم الأرض» وبعد تعيين

حزب ركاح والقوميين امكانيات كبيرة لإثارة الشغب في الدولة ولخلق عدم الاستقرار والتوترات الطائفية . ويفيد بديهيأ انهم سيعودون الى استخدام التكتيك نفسه والشعارات نفسها بفرض الهاب حماس الجماهير وإخراجها الى الشارع كل وقت يريدون .

(ب) سوف تتعزز حملة التخويف فتصل الى التهديد واستعمال القوة ضد العرب المتعاونين مع السلطة بفرض إسكات أي معارضة أو اجهاص أي أصوات معتدلة .

(ج) في ضوء الأصداء التي خلقتها الاصطدامات الأخيرة في الشارع العربي سوف تدفع الجماهير الى الشارع لفرض واضح : الاصدام مع قوات الأمن والعمل على وقوع أكبر عدد من الاصابات لدى المواطنين من أجل خلق روح الثأر لدى السكان تجاه قوات الأمن ومن أجل حدوث أصداء في العالم حول عدم الاستقرار في اسرائيل واضطهاد السلطات الاسرائيلية المحتلة للسكان العرب .

(د) الاصطدامات الأخيرة ستقوى شعور تضامن عرب اسرائيل مع المتضررين . وهذا سيخلق منافذ للدخول الى اوساط كانت متعددة حتى الان في الوقوف الى جانب المناضلين .

وبصورة عامة فإن مثل هذه النشاطات سيؤدي الى التطرف وتدهور الوضع . ويجب التذكير بأن النظرية السائدة لدى هذه الأوساط تقول أن الوضع الحالي سيء بالنسبة لعرب اسرائيل فقط في حالة عدم الاستقرار الشامل في الدولة هناك امكانية للتغيير ، وعلى المدى الطويل وربما على المدى المنظور قد يحدث تفكك اسرائيل من الداخل فتحول تدريجيا الى دولة فلسطينية .

(هـ) يجب أن نأخذ بعين الاعتبار ، كامر بديهي ، ان منظمة التحرير الفلسطينية أو قسماً منها يشكلونها سيعمل على تحريك عمليات التطرف هذه

مع أن التحرير على الطبيعة سيقوم به ركاح الذي سيعمل أعضاؤه من وراء الستار وبصورة غير منظورة. وسيتركز الثقل الأساسي لهذه الأعمال على القوميين العرب من بين السكان العرب في إسرائيل، وخاصة طبقات المثقفين الذين يتوقون إلى العمل لإثبات «عروبتهم» واستعدادهم للنضال ضد الحكم الإسرائيلي.

(د) الهوة التي خلقتها الأحداث الأخيرة بين السكان اليهود والسكان العرب مستغلة كاملاً وسيذل كل جهد لتعويقها وتوسيعها. يجب أن نأخذ في الحسبان أنه من أجل تحقيق هذا الهدف ستندلع عمليات استفزاز من كل نوع، بما في ذلك الإضرابات والمظاهرات وأعمال العنف وحتى عمليات التخريب. وفي رأيي أنه في الاصطدامات المقبلة سيجري استعمال الأسلحة النارية على نطاق أوسع وذلك لخلق تأثيرات مرسومة وخطيرة للخطوة المذكورة.

(ذ) هناك امكانية أيضاً لإقامة تنظيم قومي ذي نوجة غربي لغرض الحصول على تأييد دول وأوساط معادية لليسار في العالم في كفاحهم.

(ح) سوف تصاعد عملية السيطرة والتغلغل في المجالس المحلية من أجل استخدامها في أغراض الدعاية والتغطية والتمويل والظهور بمظهر التمثيل الواسع. وفي «يوم الأرض» أثبتت هذه الوسيلة نجاحها الكامل في خدمة الأغراض المذكورة.

٥ - في خصو التدهور السريع والتوقعات التي فصلتها في مذكرتي السابقة وفي هذه المذكرة اقترح ما يلي :

(أ) المباشرة بإقامة لجنة فكرية لكي تقترب على الجهات المقررة ثلاثة خطط عمل :

١ - للمدى السريع.

٢ - للمدى المتوسط.

٣ - للمدى الطويل.

(ب) يجب المباشرة حالاً بإقامة لجنة تنسيق وزارية على مستوى المديرين العامين يشرف عليها وزير تعينه الحكومة لهذا الفرض ويساعده مستشار الحكومة للشؤون العربية.

(ج) بما أن وزارة الداخلية هي قناة الاتصال الرسمية والعملية الرئيسية مع المؤسسات الرسمية والمنتخبة عند السكان العرب، اقترح أن يترأس لجنة التنسيق المشكلة من مديرين عامين، مدير عام وزارة الداخلية.

* مسحة عال هشمار (الصهيونية) بتاريخ ٩/٧/١٩٧٦ . ترجمة مجلة «شؤون فلسطينية» العدد ٦٠ . شرين الأول - تشرين الثاني (اكتوبر - نوفمبر) ١٩٧٦ . من ١٦٧ - ١٨٤ .

سرّي للغاية

ملحق رقم (٦)

- أ -

التدريب في القوات المسلحة الاسرائيلية

التدريب

ستتكلّم في هذا القسم عن أساليب تدريب مختلف فئات القوات العسكرية الاسرائيلية في ذلك:

- ١ - الجنود.
- ٢ - ضباط الصف.
- ٣ - الضباط.
- ٤ - الطيارون.
- ٥ - البحارة.
- ٦ - أعضاء المنظمات الوطنية.

أولاً: الجنود:

أ) الخدمة الاجبارية:

- ١ - بعد اجراء الكشف الطبي يتسلّم المجنّد أوامرها ويتحرّك الى معسكر التدريب الأساسي في صرفند.
- ٢ - يتلقى المجنّدون المستجدون تدريّبهم الأساسي في معسكر صرفند لمدة

تتراوح بين شهرين وثلاثة أشهر ويكون التركيز في هذه الفترة على اللياقة البدنية واستخدام الأسلحة ومبادئه الجنديّة.

وفيما يتعلّق باللياقة البدنية فإنّ القيادة الإسرائيليّة تظهر اهتماماً كبيراً بتدريب الجنود على المشي الطويل (٦٠ إلى ١١٠ كلم في مدد معينة) وهم محمّلون بكافة عتادهم والغرض من ذلك هو تعريفهم بطبيعة أرض البلاد.

٣ - الجنود المختصون للأسلحة الميكانيكيّة وللخدمات الفنيّة يقوّنون في الخدمة مدة إضافية لاستكمال تدريبهم الفني.

٤ - بعد انتهاء فترة التدريب الأساسي يوزع الجنود على الوحدات العاملة حيث يستكملون تدريبهم في سرية خاصة بتدريب المستجدين. ويستمر الجندي المتخصص لمدة ٦ أشهر.

٥ - بعد استكمال مدة التدريب في الوحدات العاملة ينضمّ الجندي إلى أحدى سراياها وتحته ويبقى فيها في معظم الأحوال، حتى نهاية مدة خدمته العسكريّة الإجباريّة.

٦ - إذا أبدى المستجد استعداداً جدياً للجنديّة في مدة تدريبه ينقل إلى سرية خاصة للجنود المتفوقين يدرّبون فيها لمدة ٥ أشهر إضافية على قيادة الجماعات الصغيرة وذلك تحضيراً لترقيتهم إلى رتب «جندي أول» ثم «نائب عريف».

ويعمل هذا الجندي عادة حوالي ٥٢ ساعة أسبوعياً اي حوالي ١٠٤٠ ساعة خلال الخمسة أشهر منها حوالي ٤٧٣ ساعة في التدريب مقسمة على النحو التالي:

- استعمال الأسلحة الخفيفة
٢٢ ساعة نهاراً.
٤ ساعات ليلاً.

٤٥ ساعة نهاراً.	- قراءة الخرائط
٣٠ ساعة ليلاً.	- دوريات وكمائن
٢٢ ساعة نهاراً.	- مناورات مع الوحدة
٨ ساعات ليلاً.	- محاضرات عن قواعد القتال
٩٨ ساعة نهاراً.	والتصريف الفردي
٦٤ ساعة ليلاً.	المجموع
١٨١ ساعة	
٤٧٣ ساعة منها	
١٠٦ ساعات في	
التدريب الليلي	

ب) احتياط الخط الأول:

- ١ - تدريب فردي لمدة يوم واحد في الشهر على استعمال السلاح.
- ٢ - تدريب جماعي لمدة ٣٠ يوماً في السنة.

أي أن مجموع أيام الخدمة لجندي الاحتياط ٤٢ يوماً في السنة يزيد عليها ١٢ ليلة بمعدل ليلة كل شهر بيتها الجندي مع وحدته.

ج) احتياط الخط الثاني:

- ١ - تدريب فردي لمدة يوم واحد في الشهر على استعمال السلاح.
- ٢ - تدريب جماعي لمدة ١٤ يوماً في السنة.

ثانياً: ضباط الصف:

أ) الخدمة النظامية:

- ١ - يتم اختيار ضباط الصف من بين نواب المرفاه الممتازين بعد انتهاء مدة

خدمتهم العسكرية الإجبارية. ويوقعون حسب رغبهم على عقد تطوع لمدة ٧ سنوات قابلة للتجدد حسب رغبهم.

٢ - يحضر المتظعون الجلد من صف الضباط دورة تدريبية لمدة ٦ أشهر مقسمة على النحو التالي :

٣٤١ ساعة نهاراً

- مناورات متنوعة

١٢٤ ساعة ليلاً

- أعمال دوريات وكمائن

٤٠ ساعة نهاراً

- محاضرات على أساليب

القتال ودراسة الأرض

وقيادة المجموعات

والتصريف الذاتي

- أصول الحرب في الجبال أسبوعاً كاملاً

٣ - بعد استكمال الدورة التدريبية يلتحقون بوحدات الجيش كل على حسب تخصصه.

٤ - يحضر ضباط صف المشاة وصف المدرعات دورة دراسة كاملة في مدرسة الضباط.

٥ - يحضر ضباط صف المدرعات بعد ذلك دورة تدريبية خاصة في مدرسة المدرعات.

٦ - باقي ضباط صف الأسلحة الأخرى يحضرون دورة دراسية مختصرة في مدرسة الضباط ثم يستكملون تدريسيهم في مدارس الأسلحة.

ب) احتياط الصف الأول :

١ - تدريب جماعي ٣٠ يوماً في السنة مع الجنود النظاميين والاحتياطيين.

٢ - تدريب اضافي لمدة ٦ أيام في الشهر (٧٢ يوماً في السنة).

ج) احتياط الصف الثاني:

١ - تدريب جماعي لمدة ١٤ يوماً في السنة.

٢ - تدريب اضافي لمدة ٧ أيام في السنة.

ثالثاً: الضباط:

أ) الخدمة النظامية:

١ - تنتهي الخامات الصالحة خلال دراسات الترقية الى رتبة نائب عريف. ويوضع هؤلاء تحت اختبار مستمر خلال مدة خدمتهم العسكرية الاجبارية وحتى تخريجهم من دورات الترقية لرتبة عريف. وبعد استكمال مدة الخدمة الاجبارية يعرض على المتميزين الاستمرار في الخدمة بتوقيع عقد لمدة ١٥ سنة.

٢ - يرسل المتطوعون الى مدرسة الضباط للدراسة لمدة سنتين.

٣ - بعد التخرج من مدرسة الضباط يلحق الضابط الجدد بالأسلحة العاملة.

ملحوظة:

يتم اختيار الضباط بطريقة أخرى من خريجي المدرسة الاعدادية العسكرية بعد قضاياهم مدة سنة في الخدمة الاجبارية يلتحقون بعدها بمدرسة الضباط لمدة سنتين.

هذا ويتخرج كل عام حوالي ٨٠٠ ضابط من مدارس الضباط.

ب) احتياط الخط الأول:

١ - تدريب جماعي لمدة ٣٠ يوماً في السنة مع الجنود من الوحدات الاحتياطية والنظامية.

٢ - تدريب اضافي لمدة ١٢ يوماً في الشهر (١٤٤ يوماً في السنة).

جـ) اختيارات الخط الثاني:

- ١ - تدريب جماعي لمدة ١٤ يوماً في السنة.
- ٢ - تدريب اضافي لمدة ٧ أيام في السنة.

رابعاً: الطيارون:

- ١ - تنتشر نوادي الطيران في اسرائيل حيث يتدرّب الشّاب على الطيران الشراعي ثم على الطائرات المروحية الصغيرة. ويتم اختيار الطيارين لسلاح الجو من بين المتميزين من بين هؤلاء الشّبان.
- ٢ - يتم تدريب معظم الطيارين في اسرائيل.
- ٣ - يرسل المتفوقون من بين الطيارين للدراسة بإحدى كليات الطيران في الخارج (في بريطانيا غالباً).
- ٤ - يمضي طالب الطيران ٢٥ ساعة في التدريب الأولى على طائرات التدريب المروحية من طراز Bearcub أو باير Piper.
- ٥ - بعد ذلك يقضي فترة التدريب المتوسط من ١٥٠٠ ساعة على الأقل على طائرات ماجستير النفاثة.
- ٦ - وبعد ذلك يقضي فترة التدريب النهائي على طائرات اوراجون.
- ٧ - بعد انتهاء فترة التدريب يتخرج الطيار ويلحق بإحدى الأسراب حيث يتلقى تدريباً متخصصاً على نوع من أنواع الطائرات الملتحقة بالسراب.
- ٨ - بعد استكمال الخدمة النظامية يعود الطيار إلى وحدته يوماً واحداً كل شهر للتدريب على الطيران.

ملحوظة:

تستخدم اسرائيل في حالة الحرب عدداً من الطيارين المتطوعين من اليهود

وغيرهم من مختلف الجنسيات.

خامساً: البحارة:

يلتحق بالسلاح البحري مراكز ومدارس التدريب التالية:

- ١ - مدرسة البحارة في بيت جاليم.
- ٢ - مدرسة ضباط البحارة في عكا.
- ٣ - المدرسة الفنية في مخمورت.
- ٤ - مركز تدريب الصفادع البشرية في عتليت.
- ٥ - مركز تدريب خفر السواحل في عسقلان.

سادساً: المنظمات الوطنية:

أ) الجدناع:

لتلك المنظمة أكثر من ٣٠٠ نادٍ في سائر أنحاء إسرائيل. وبلغ مجموع أعضائها حوالي ١٥,٠٠٠ شاب وشابة (تعداد سنة ١٩٦٤) يكون تدريتهم على النحو التالي:

- ١ - يتلقى الفتيان والفتيات تدريباً ابتدائياً لمدة ساعتين في الأسبوع (أو لمدة شهر في السنة) حسب تخصص كل منهم في جدناع البر أو الجو أو البحر.
- ٢ - يمضي الشباب في الصف الأول الثانوي ١٠ أيام في مخيمات الجدناع الصيفية.
- ٣ - يمضي الشباب في الصف الثاني الثانوي ١٠ أيام أخرى في العام التالي في أحدى المستعمرات.
- ٤ - وبعد الصف الثاني الثانوي يتلقى الشباب تدريباً جماعياً لمدة أسبوعين

كل سنة في مراكز تدريب الجنادع. ويقومون برحلة سنوية لمدة أسبوعين أو ثلاثة للإشتراك في معسكرات العمل الصيفية.

ب) ناحال : (الرواد المحاربين الشباب):

يمكن للجندي أن يقضى فترة خدمته العسكرية الإجبارية في العمل في احدى المستعمرات الزراعية - الدفاعية ويتلقى التدريب التالي في صفوف منظمة ناحال .

١ - تدريب أولى لمدة ٣ أشهر على استخدام الأسلحة الخفيفة وأعمال المهارة في الميدان.

٢ - بعد استكمال فترة التدريب الأولى يرسل المجندون الى مستعمرات ناحال للتدريب على الحرف الصناعية والزراعية الى جانب استمرار تدريسيهم العسكري وذلك لفترة ٦ أشهر.

٣ - يقضي المجند آخر ثلاثة أشهر من السنة الأولى في التدريب على استخدام الأسلحة السائدة.

٤ - يتم اختيار المتفوقين خلال السنة الأولى ويضمون حسب رغبتهم الى الأسلحة المقاتلة لإكمال فترة خدمتهم العسكرية الإجبارية بها.

٥ - يلحق باقي المجندين بكتائب ناحال ويقضون باقي خدمتهم العسكرية في إنشاء مستعمرات جديدة مع الاستمرار في التدريب العسكري. هذا وقد أنشئت كلية زراعية تعطي دروساً إضافية للمجندين المهتمين.

ج) الدفاع الاقليمي:

تضم هذه المنظمة سكان المستعمرات ومن أنهوا مدة خدمتهم العسكرية الإجبارية في صفوف الناحال. ويشمل تدريسيهم على استعمال الأسلحة الخفيفة والمتوسطة والمساندة وأعمال المهارة في الميدان .

د) منظمة هاجا (الدفاع المدني):

- ١ - يجرى تدريب المتطوعين على أعمال الانذار والانقاذ وإطفاء الحرائق والاسعافات الأولية.
- ٢ - تجرى من آن لآخر مناورات عامة يتعاون فيها أفراد الدفاع المدني مع السكان.
- ٣ - تجرى مناورات محدودة لتوطيد التعاون بين الدفاع المدني وقوات البوليس والمطافيء وجمعية النجمة الحمراء (الاسعاف).

ملاحظات عامة:

- ١ - يلاحظ أن هناك تركيزاً جدياً واهتمامًا كبيراً برفع مستوى نوعية التدريب العسكري لجميع أفراد الشعب.
- ٢ - يلاحظ كذلك أن هناك تركيزاً على تدريب أفراد الجيش على أساليب القتال الليلي وذلك نتيجة لطبيعة بيته الصراع الصحراوية حيث يكون الظلام الساتر الطبيعي الوحيد.
- ٣ - يلاحظ كذلك الاهتمام الكبير بإعداد القيادات على كافة المستويات.
- ٤ - يلاحظ كذلك أن ضباط الجيش يتخرجون من تحت السلاح وهذا يضمن كفاءة طرق اختيارهم ورغبتهم الحقيقة في الخدمة ويضمن تجاوب الضباط مع المجندين وقيادتهم بطريقة فعالة.
- ٥ - يلاحظ كذلك الاهتمام بتدريب صف الضباط على مستوى مقارب لمستوى الضباط وذلك طبعاً لأنهم يشكلون همزة الوصل الفعلية بين القيادة والرتب.
- ٦ - يلاحظ كذلك التشدد في المحافظة على مستوى كفاءة واستعداد قوات الاحتياط من خلال التدريب المستمر مع وحداتهم وذلك يضمن مستوى قتال فعال لقوات الاحتياط وينمي الترابط والتماسك والروح الجماعية بين الجنود في كل وحدة.

٧ - يلاحظ كذلك أن التدريب الذي يتلقاه الفتيان والفتيات في منظمة الجنادع يعدهم للحياة العسكرية بطريقة فعالة ويزرع في قلوبهم حب الجنديّة منذ الصغر.

- ب -

المعلقون الاسرائيليون يكشفون ثغرات التدريب على استدعاء الاحتياط

أجرى الجيش الإسرائيلي، يوم ٢٥ آب (اغسطس) ١٩٧٤، تدريباً على استدعاء قوات الاحتياط. وقد شمل هذا التدريب عشرات الآلاف من أفراد الاحتياط في قوى البر والبحر والجوا، ووحدات قتالية وأخرى مساندة. وفي الوقت الذي أثنت فيه الصحف الإسرائيلية على هذا التدريب، ذكرت بعض أسبابه ونواقصه. وأكدت هذه الصحف أن الجزء الأكبر من القوات، التي استدعيت إلى الخدمة، سرح قبل انتهاء فترة الـ ٢٤ ساعة المخصصة للتدريب. وفيما يلي أهم ما ذكرته الصحف الإسرائيلية عن التدريب، وتعليقاتها عليه.

ذكرت يديعوت احرنوت (٧٤/٨/٢٦) أن تدريب التعبئة حقن نجاحاً بنسبة ١٠٠٪ لبعض الوحدات، على الرغم من أن هناك وحدات وصلت إلى نسبة من النجاح أقل من ذلك. وأضافت الصحيفة أنه «لم تكن هناك عشرات جادة، ووصل جميع الرجال تقريباً إلى وحداتهم خلال الساعات الأولى من الاستدعاء، واستنهي المعطيات الأولى للتدريب اليوم (٨/٢٦)، وتنقل إلى الحاسوبات الإلكترونية». وقالت الصحيفة أيضاً، إن وزير الدفاع ورئيس الأركان كانوا في طور إعداد تقرير أولي. أما عن الثغرات، فقالت الصحيفة أن هذا التدريب لم يكن مفاجئاً، فقد سبقته استعدادات شاملة. كما أن كثيرين تكهنوا بموعده، وعرف كثيرون بتوقيته، وبالتالي ليس من السهل استخلاص

العبر منه، بالنسبة الى التعبئة الشاملة. كذلك قرأ المذيع من راديو اسرائيل رموز الوحدات التي استدعيت، مرة واحدة، وليس مرتين كما طلب منه. وأصلح الخطأ فيما بعد. وعند وصول رجال الاحتياط الى وحداتهم، طلب منهم ملء استمارات كان السؤال الأساسي فيها عن كيفية معرفتهم باستدعائهم. فأجاب معظمهم أنهم سمعوا رموز وحداتهم من الراديو.

وذكرت دافار (٧٤/٢٦) ان عبر التدريب ستنخلص في الأيام المقبلة. واستخدمت وسائل جديدة لاستدعاء الاحتياط، منها أن طائرة خفيفة أخذت توزع مناشير فيها أسماء الوحدات التي استدعيت. كما أن سيارات الشرطة والمطافيء جابت الشوارع طالبة من الأهلين، بمكبرات الصوت، الأصغاء الى اذاعة اسرائيل.

ونقلت دافار (٧٤/٨/٢٧) عن الجنرال مردخاي غور، رئيس الأركان، قوله أن التدريب كان ناجحاً، وأنه كلف نحو مليون ليرة اسرائيلية. واختبر الجيش الاسرائيلي الاستعداد الكامل لمختلف أسلحته ووحداته. وأنفاث رئيس الأركان، أن التدريب استغرق وقتاً أقل مما كان متوقعاً، وانتهى الجزء الأساسي منه بعد ١٢ ساعة.

وقد انتقد ايتان هيفر، المعلم العسكري لصحيفة يديعوت حرونوت (٧٤/٨/٢٧)، رئيس هيئة الأركان الذي «تعادي في امتداح التدريب على تعبئة الاحتياط، ولا يجوز ان ننسى، لحظة واحدة، ان التدريب اختبر في ظروف بعيدة عن كونها واقعية». واضاف هيفر ان التدريب جرى في ظروف مثالية تقريباً: «سبقه بيانات كبيرة وصافية، اعدت الجمهور لمواجهة يوم صدور الأمر، وخلقت توترة ممزوجاً بالفضول، وجرت استعدادات دقيقة في وحدات الجيش، وترتيبات خاصة لدى شركات المواصلات التعاونية ووضعت الشرطة في حالة تأهب سلفاً. وهكذا حدث انه لم يبق، ظهر امس الاول، سوى القليل من المفاجآت للجمهور الواسع، وللمدربين والمتدربين معاً».

وثمة مأخذ آخر سجله هيفر على التدريب، اذ قال ان استدعاء

الجمهور، بوسائل الاعلام، للامثال فوراً، معناه: «ان العدو بالذات، هو الذي فاجأ وبدأ الحرب، أو أنه ليس لدى الجانب الذي يستدعي الاحتياط وقت كاف لتوجيه دعوة صامته وسرية. وهذا ما حدث، فعلاً، ظهر يوم الغفران. ونظرًا الى أن المفاجئات كانت تامة، أذيعت دعوات لوحدات الاحتياط الى الامثال فوراً، مع البيانات عن الهجوم المصري - السوري في آن معاً. لا في حرب سيناء ولا في حرب الأيام الستة - باستثناء ذلك الاستدعاء التعيس والخاطئ» الذي أذيع من أجل التعبئة في ١ نيسان (ابريل) ١٩٥٩.

وأشار هيفر الى أحد أهداف التدريب العلني ، وهو أن الجيوش العربية منظمة بصورة تمكّنها، دائمًا من القيام بهجوم مفاجئ، وقد لا يكون هناك متسع من الوقت لاستدعاء الاحتياط سراً. «لهذا الغرض جرت التعبئة العلنية، وليتنا لا نحتاج اليها». وأضاف أنه كان يجب أن يجري التدريب في ظروف أقرب الى الواقع ، وعلى الرغم من ذلك «بالإمكان أن نتعلم منه كثيراً، ولكن لا تجوز المبالغة بالعبر، لأن الواقع قد يكون مختلفاً تماماً».

وأشار المعلم العسكري الاسرائيلي الى أهمية أخرى للتدريب، وهي أنه أضفى على الجمهور: «احساساً بالخطر وال الحرب التي تقترب ، على الرغم من رغبتنا في السلام».

وعلقت دافار (٢٥/٨/٧٤) على التدريب بقولها: «ان التدريب مطلوب لملائمة أساليب وسائل تعبئة الاحتياط مع الوضع المرتقب للحرب المقبلة... التي ستكون، في جميع أوجهها الأساسية، مختلفة عن جميع الحروب التي وقعت حتى الآن، وخصوصاً تلك الأخيرة».

وقالت معاريف (٢٥/٨/٧٤) ان التدريب «اختبار لأعصاب المواطنين، ولقدرتهم على الانضباط، واستعدادهم للمساعدة المتبادلة، ولتحمل قدر معين من العناء».

- ج - التدريب

رأينا أن الجيش الإسرائيلي يتالف من نوعين من القوات:

- القوات العاملة وتشكل جزءاً صغيراً منه.
- القوات الاحتياطية وتشكل معظمها.

وحتى تواجه إسرائيل الكثافة العددية العربية، فإن المنطق الرئيسي لمناهج التدريب لديها هو الإيمان بأن قوة السلاح إنما يقررها حامل السلاح والخبرة باستعماله. ويسبب اعتمادها على عنصر الاحتياط، فإن قيادة الجيش الإسرائيلي تولي التدريب عناية فائقة وعظيمة، بغية زيادة المقدرة الحربية لقواتها. وتقوم الخطط العسكرية الإسرائيلية على أساس مقابلة التفوق العددي العربي بنوع آخر من التفوق يتمثل في:

- ١ - التدريب العسكري الكامل.
- ٢ - نشر الروح العسكرية بين المدنيين.
- ٣ - التنظيم الدقيق الشامل لتعبئة جميع طاقات المجتمع وإمكاناته في جميع المجالات.
- ٤ - تقوية العوامل النفسية والمعنوية لدى الجندي والمدني الإسرائيلي.

ولهذا فإن إسرائيل تبذل جهداً دائياً مستمراً لرفع مستوى التدريب وأساليب القتال في جيشه، وتنبع أحدث النظم التدريبية الموجودة في العالم، وتقتضي وسائل التدريب الجديدة بغية اقتباس ما ينفع في تطوير تدريب قواتها

العسكرية ومنظوماتها شبه العسكرية. ولهذا أيضاً فإن إسرائيل تكثُر من ارسال الضباط القادة إلى مختلف الدول ليتعلّموا على تلك الأنظمة والأساليب والوسائل، فهم يشهدون الدورات التدريبية في معظم المدارس العسكرية للدول الكبرى، وبخاصة في فرنسا وإنكلترا وأميركا. ويتنسب الضباط ذو الرتب الصغيرة إلى مدارس المشاة ومدارس المدفعية ومدارس الإشارة والكليات العسكرية والبحرية والجوية ومدارس المدرعات والهندسة. أما الضباط القادة من رتبة رائد إلى رتبة عقيد فيلتحقون بالوحدات العسكرية الأجنبية ويشهدون المناورات العسكرية، ويشتركون في كليات الأركان وفي دورات مدارس الضباط الأقدمين.

وحيث إن إسرائيل يتلقى آخر كتب ومحاضرات كليات الأركان ومدارس الضباط الأقدمين ومدارس الأسلحة المختلفة ومدارس التدريب الإداري من البلاد الأجنبية، وأخر ما يصدر من كتب ونشرات عن هيئات التدريب العسكري في الدول الأجنبية. وهكذا فإن جيش إسرائيل يواكب التقدم العسكري علمياً ويتلقى أحدث أنواع التدريب.

وقد بدأ اهتمام اليهود بالتدريب العسكري منذ بدأت هجرتهم إلى فلسطين، وأخذوا ينفذون خططهم الاستعمارية. فشكلت، في بادئ الأمر، في بعض المستعمرات اليهودية، نوى من الشباب بدأت بالتدريب على القتال بغية صد الهجمات العربية عنها وبغية توسيع رقعة المستعمرات الجغرافية. ثم أنشئت الهاغانَا التي قامت بفتح مراكز سرية للتدريب في عدة مستعمرات وبخاصة التكتيكي. وأهم مدرسة أنشأتها الهاغانَا لهذه الغاية كانت قرب مستعمرة «ناتانيا» على طراز مدارس التدريب البريطانية.

وفي عام ١٩٣٦ شكلت النواة الأولى للقوة اليهودية من فصائل تحت إشراف الضابط البريطاني «الكولونييل وينجيت» - الذي مر ذكره - وقد دربها على القتال العنيف والقتال الليلي، وبخاصة إلى ذلك فوج اليهود الذين تم تدريبيهم في جيوش الحلفاء وبخاصة الجيش البريطاني أثناء الحرب العالمية الثانية.

وحيثما أصبحت الهاغانا تحمل اسم «جيش الدفاع الإسرائيلي» على أثر اعلان قيام الدولة عام ١٩٤٨ ، انضم الى هذا الجيش أفراد المنظمات الارهابية وأفراد اللواء اليهودي الذي اشترك في الحرب العالمية الثانية. وعلى أثر ذلك وضعت قيادة الجيش الجديد برنامجاً خاصاً مدروساً بعناية ودقة، لتدريب القوات تدريباً نظامياً موحداً يتفق مع أسس ومبادئ التدريب المتبعة في الجيوش الحديثة. وقد وضع هذا البرنامج من قبل عدة لجان اشترك فيها عدد من كبار الضباط الامريكيين والبريطانيين واليهود. يضاف الى ذلك أن القيادة طبّقت خطة موسعة لإيفاد الضباط الأكفاء الى الخارج للتدريب والتعلم في مختلف الكليات والمدارس العسكرية. وقد عادت هذهبعثات - وهي مستمرة بصورة دائمة ضمن خطة موسعة - تحمل معها خبرات جيوش قوية وحديثة.

وقد وضعت اسرائيل برامجها التدريبية مستفيدة من برامج التدريب الاميركية والفرنسية والالمانية والانكليزية. وأضافت الى ذلك كلّه مواد خاصة تتلاءم مع طبيعة اسرائيل وجغرافيتها وأهدافها. وقد ركزت هذه البرامج على القتال الليلي وقتل المغاوير والمظليين.

وينص برنامج التدريب الحالي على جعل التدريب الزاماً للرجال والنساء من سن ١٥ عاماً حتى ٤٩ عاماً. ويتم هذا التدريب في المؤسسات التالية:

في نطاق الجنانع	من سن ١٥ حتى ١٨
في الخدمة العسكرية الالزامية	من سن ١٨ حتى ٢١
في نطاق خدمة الاحتياط	من سن ٢١ حتى ٤٩

ويأتي التدريب العسكري في الدرجة الأولى من الأهمية لدى جميع

أجهزة الدولة ومنظماتها وأحزابها ومختلف فئات سكانها. وقد هدفت خطة «عسکرة» اسرائيل الى خلق مجتمع عسكري متخصص متيقظ.

والى جانب هذا الهدف الرئيسي الذي سعت اليه الخطة، فإن هناك هدفاً آخر لها، ناتجاً عن طبيعة تكوين المجتمع الاسرائيلي. فقد نجمت عن الخليط الغريب المتعدد الأجناس - الذي يتألف منه هذا المجتمع - ظروف اجتماعية خاصة أدت الى جعل الخدمة الالزامية في اسرائيل وبرامج التدريب في جيشها ومنظماتها شبه العسكرية ترمي الى أغراض تختلف كل الاختلاف عما ترمي اليه في أية دولة أخرى في العالم. فإذا كانت الخدمة الالزامية وبرامج التدريب العسكري في مختلف أنحاء العالم تهدف الى جعل المواطن جندياً مقاتلاً قادراً على الاسهام في الدفاع عن الوطن، فإن هذه الخدمة والبرامج في اسرائيل تهدف - الى جانب ذلك - الى جعل الاسرائيليين جميعاً أعضاء مقاتلين في المجتمع، مشبعين بروح الغزو والعدوان، كما تهدف الى صهر هذه الفئات المختلفة المشارب المتعددة الثقافات، القادمة من مجتمعات بعضها قد متقدم وبعضها الآخر قد متخلف. وقد تعهدت العسكرية الاسرائيلية أن تصهر هذه العقليات والثقافات والعادات والمستويات المتناقضة المتضاربة في بوتقة واحدة هي بوتقة المجتمع العسكري الاسرائيلي الجديد. وللوصول الى هذه الغاية فقد وجهت الدولة اهتماماً عظيماً الى الجيش والمنظمات شبه العسكرية فجعلتها مدارس تطبيقية عملية تسهم - الى جانب التدريب وتأهيل العضو للعيش في المجتمع الجديد - في توفير الملاكات والعناصر التكتيكية والمهنية والحرفية الالازمة لمختلف قطاعات الدولة. أما في القطاع العسكري فقد حددت اسرائيل للتدريب غايتين:

الغاية الأولى: رفع كفاءة الجيش، كأفراد ووحدات صغيرة وكبيرة، لتبلغ دائماً مستوى حجمه أداة قوية ذات فعالية ضاربة عظيمة في الصمود أمام قوات تفوقه عدداً وعدة. وتعتقد قيادة الجيش الاسرائيلي أنها قطعت في هذا

السبيل شوطاً هاماً. وتقدر هذه القيادة أن الجندي الإسرائيلي - بعد اتمام تدريبه - يستطيع الصمود أمام خمسة جنود غير مدربين تدريباً جيداً.

الغاية الثانية: تحويل جميع السكان الى مقاتلين والى عناصر مفيدة في القتال.

ولهذه الأسباب فقد شملت برامج تدريب الجيش الأقسام السبعة التالية:

١ - التدريب العسكري: ويطبق على المجندين وعلى القوات النظامية والاحتياطية والمنظمات شبه العسكرية. ويتضمن استعمال جميع أنواع الأسلحة ووسائل القتال وأساليبه.

٢ - التدريب التكتيكي (الفني): ويرمي الى تزويد الجيش بالعدد اللازم من الاختصاصيين في الميكانيك والهندسة والكهرباء والاشارة والطيران وغير ذلك. كما يرمي الى تعليم الجنود الصناعات والمهن والحرف المختلفة التي تفيدهم بعد تسريحهم وتلبي - في الوقت ذاته - حاجة القطاع الصناعي المدني من ذوى الخبرة.

٣ - التدريب على الرمي: ويهدف الى تدريب جميع سكان اسرائيل - بدون استثناء - على الرماية وإصابة الهدف واستعمال مختلف الأسلحة الفردية والجماعية الخفيفة.

٤ - التدريب الثقافي: ويتضمن تعليم اللغة العبرية الى حد الاتقان الكامل، ومساعدة العسكريين على تعلم اللغات الأجنبية ورفع مستوىهم الثقافي والاجتماعي وتأهيلهم لنيل الشهادات المدرسية والجامعية المختلفة.

٥ - التدريب الرياضي: ويرمي الى تقوية الأجسام ونشر الروح الرياضية بين العسكريين.

٦ - التدريب الزراعي: ويرمي الى تدريب العسكريين على مختلف فنون

الزراعة وتربيه الحيوانات والدواجن بقصد تحويلهم الى مزارعين بعد انتهاء خدمتهم العسكرية .

٧ - التدريب النفسي : ويرمي الى تلقين الجندي أنه فرد في «شعب الله المختار» وتنقيفه بالمبادئ الصهيونية وأهدافها ، وتنمية الحقد والكراءة في نفسه .

وإذا كانت برامج التدريب في هذه الأقسام السبعة شبيهة في معظم تفصياتها ببرامج التدريب في أغلب الجيوش في العالم ، فإن هناك بعض النقاط القليلة الهامة التي تتطلب إلقاء الضوء عليها لأنها توضح خطة العقلية العسكرية الاسرائيلية في «عسكرة» المجتمع الاسرائيلي ، بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ الحديث ، وليس له ما يشبهه في دول العالم ، وبينما الى أي حد انتشرت الروح العسكرية والتزعة التعصبية والعقلية النازية في المجتمع الاسرائيلي . ففي التدريب العسكري ، تطبق البرامج على الفرد منذ بلوغه عامه الخامس عشر ، ويستمر تطبيقها عليه حتى بلوغه الخمسين من عمره . إن هذا الفرد يبقى حاملاً السلاح ، جاهزاً للخدمة ، مؤدياً واجب التدريب بصورة مستمرة لا انقطاع فيها - لأي عذر من الأعذار أو سبب من الأسباب - مدة ٣٥ عاماً .

وتضم القوات العاملة المجندين من سن ١٨ الى ٢٦ عاماً . كما تضم أفراد الخدمة الدائمة من الضباط وضباط الصف والفنين . وتقتضي هذه القوات معظم أيام السنة في التدريب المستمر ، ولا تكلف بأية أعمال أخرى حتى تتفرغ للتدريب . وملائكتها كاملة من الأفراد والأسلحة والأعتدة . وهي على درجة عالية من التدريب والقدرة القتالية . وتعتبر مدرسة للحرب ، تتدرب فيها الوحدات الاحتياطية على العمليات المشتركة . كما تجرب فيها النظريات التكتيكية الجديدة والأسلحة الحديثة .

وتتوزع قوات الاحتياط بين خطين . فتضم قوات الخط الأول المجندين من سن ١٨ حتى ٣٩ عاماً . أما ضباط هذا الخط وصف ضباطه وفنيوه فهم

من ملاكات القوات العاملة. وأسلحة وحدات الخط الأول موجودة في معسكراتها، وهي كاملة وجاهزة ضمن حدود ٨٠ - ٩٠٪، ويمكن تعبتها خلال ٤٨ ساعة. ويستدعي أفراد هذه القوات للتدريب على الشكل التالي :

- لمدة ٣ أيام كل ٣ أشهر. حيث يتدريب الأفراد على التدريب الأولي والرمي .

- لمدة شهر كل سنة ويتم التدريب خلالها على التمارين التكتيكية في مستوى الكتيبة واللواء، ثم تشارك في احدى المناورات السنوية الكبرى .

ومستوى تدريب هذه القوات - بصورة عامة - متوسط. إلا إنه يوجد في كل منطقة لواء منها قدرته القتالية في مستوى جيد .

ونضم قوات احتياط الخط الثاني المجندين من سن ٣٩ - ٤٩ حتى ٤٩ عاماً. ويتألف ملاك الضباط وصف الضباط في هذه الوحدات من أفراد الخدمتين الدائمة والاحتياطية. وأسلحة وحدات الخط الثاني موجودة في المخازن الرئيسية للقوات المسلحة وهي كاملة وجاهزة ضمن حدود ٧٥٪، ويمكن تعبتها خلال ٤ - ٥ أيام .

ويستدعي أفراد هذه القوات للتدريب على الشكل التالي :

- لمدة ٣ أيام كل ٣ أشهر حيث يتدريب الأفراد على التدريب الأولي والرمي .

- لمدة ١٤ يوماً في السنة يتم التدريب خلالها في مستوى الفصيلة والسرية . وتخصص أيام قليلة للتدريب في مستوى اللواء .

- يتلقى الضباط وصف الضباط الاحتياطيون تدريباً إضافياً لمدة سبعة أيام .

وتقتصر مهمة وحدات الخط الثاني على أعمال الحراسة والدفاع عن الأراضي المحتلة. أما في الهجوم فتقصر مهامها على بعض الأعمال الثانوية

التطهير. وقدر قدرتها القتالية على العمليات المختلفة بنسبة ١٥ - ٢٠٪. أما نسبة قدرتها على مهامها المخصصة فتفوق هذا الحد. وتسمى هذه القوات «وحدات العجائز».

وتنقسم السنة التدريبية في الجيش الإسرائيلي إلى فترتين:

(أ) الفترة الأولى: من شهر كانون الثاني (يناير) حتى نهاية شهر أيار (مايو) وتطبق خلالها برامج التدريب الفردي والمشترك حتى مستوى الكتيبة.

(ب) الفترة الثانية: من شهر حزيران (يونيو) إلى نهاية تشرين الثاني (نوفمبر) وتطبق خلالها برامج التدريب المشترك من مستوى لواء فما فوق.

وتقسم هذه الفترة إلى مرحلتين:

(أ) المرحلة الأولى: من حزيران (يونيو) حتى آب (أغسطس) وتجري خلالها مناورات الألوية العاملة ونصف عدد الألوية الاحتياطية. وتنتهي المرحلة بإجراء المناورة الصيفية الرئيسية للجيش.

(ب) المرحلة الثانية: من أيلول (سبتمبر) حتى تشرين الثاني (نوفمبر) وتجري خلالها مناورات النصف الثاني من الألوية الاحتياطية.

(ج) يعتبر شهر كانون الأول (ديسمبر) من كل عام شهر اجازات للأفراد وصيانة للمعدات والتجهيزات ويتميز تدريب الضباط في إسرائيل، بضرورة تدريبيهم على القفز بالمظللات. وكان الجنرال اسحق رابين أول من أدخل ذلك على برامج التدريب، وبخاصة للضباط أذوي الرتب الكبيرة. وقد طبق رابين ذلك على نفسه وكان أول القافرين في عمليات سيناء عام ١٩٥٦.

وهناك ناحية أخرى هامة تميز برامج التدريب الإسرائيلية عن غيرها، ذلك أنها تؤكد على قادة الوحدات بالابتعاد - قدر المستطاع - عن اجراء تبديلات مستمرة في ملاكات الوحدات. فقائد الفصيلة يجب أن يقضي أكبر مدة ممكنة في فصيلته، بحيث يتعرف على كل جندي وإمكاناته، مما يسهل عليه قيادته أثناء الحرب، كما يسهل له انتهاء رجال المناسبين للمهام التي

تكلف فصيلته بها. وينطبق هذا على بقية القادة. وكانت برامج التدريب تؤكد على ضرورة توفر روح الانسجام والتعاون والالفة بين جنود زمرة الدبابات - مثلاً - لتمكن هذه الزمرة من أن تعمل كمجموعة متقارنة متساندة.

كما تهتم برامج التدريب اهتماماً كبيراً بالقفز بالمظللات، واللغم والنسف، والأعمال الفدائية والقتال الليلي، وقتل الشوارع، والقتال بالسلاح الأبيض، وعمليات المشاة المدرعة. وتدرج جميع هذه الفقرات في صنف «العمليات الهجومية». وحتى تتمكن القيادة من تخصيص معظم الوقت لهذه العمليات، فقد انخفض التدريب على «العمليات الدفاعية» في البرامج الى أدنى حد.

أما في الطيران فقد أولت القيادة اهتماماً خاصاً لتدريب الطيارين والفنين. ففي الفترة الواقعة قبل الخامس من حزيران (يونيو) كان التدريب الجوي مستمراً مدة ٢٤ ساعة كل يوم.

بدلت القيادة الجوية برامج التدريب في كلية الطيران. فقد كانت البرامج القديمة تقضي بطياران الطالب ٢٤ ساعة على طائرة خفيفة ثم طائرة «هارفرد» المروحية، وبعد ذلك ينتقل الطالب الى طائرة «ميتيور» النفاثة. وقد ألغيت البرامج الجديدة طائرة «الهارفرد» واستعاضت عنها بالطائرة النفاثة «فوغا ماجستير» حيث يطير بها الطالب ١٥٠ ساعة، ثم ينتقل الى الطائرات النفاثة المقاتلة.

كما تشكل المصالح الفنية لصيانة الطائرات أحد العوامل التي ساعدت الطيران الإسرائيلي على الاستمرار في العمل. فإذا لاحظنا أن مدة الصيانة بين مهمتين لطائرة الميراج - مثلاً - هي ٧ دقائق - كحد أدنى - بينما المدة المقررة من قبل المصممين الفرنسيين والمعمول بها في سلاح الجو الفرنسي هي عشرون دقيقة، نرى أن قيام الميراج بتنفيذ ١١ مهمة خلال اليوم الواحد كان نتيجة جهد فني. كما أن استبدال المحرك لم يستغرق، في بعض الحالات، أكثر من ساعتين بدلاً من الاثنين عشرة ساعة المقررة مبدئياً لهذه العملية.

لقد وضعت القيادة برنامجاً للتدريب طوال السنوات العشر السابقة ١٩٦٧، واستفادت خلاله من المتطوعين الذين عملوا في مسارح حربية معاصرة، والذين كانوا يأتون إليها شهراً كل سنة للإشتراك في عمليات التدريب الشاملة. وكانت القيادة قد أقامت نماذج على الطبيعة لبعض المطارات المصرية في صحراء النقب، لكي تدرّب الطيارين عليها وبخاصة بالنسبة لرواياها الاقتراب. ولقد أشار إلى هذه المسألة عدد كبير من كتبوا في الخارج عن تفاصيل العمليات العسكرية. وأغلبظن أنها صحيحة فقد جاءت طائرات العدو من اتجاهات مضبوطة وانزلقت على الفور فوق أهدافها المحددة.

وفي التدريب الثقافي نجد أن برامج الثقافة العامة اتسعت حدودها، حتى شملت جميع وحدات الجيش. فإلى جانب التعليم اليومي الذي يجري بإشراف ضابط الثقافة في الوحدة، نجد المعسكرات الثقافية الخاصة تستقبل جموع العسكريين لتلقي مختلف العلوم. ويلي ذلك التعليم الخاص بتأهيل بعض العسكريين الأكفاء للحصول على الشهادات المدرسية والجامعية. أما الضباط فإن القيادة تشجعهم على الانساب إلى المراكز الثقافية لتعلم اللغات العربية والفرنسية والإنكليزية وشئون التخطيط. بالإضافة إلى أن القيادة أنشأت مراكز خاصة بالضباط لتعليم اللغة العربية. وتنصح القيادة علاوة مالية شهرية لكل ضابط يتقن هذه اللغة. وتشجع القيادة الضباط على الانساب إلى الجامعات، مما يتبعه لكثير من المدنيين المنضمين إلى الجيش النظامي متابعة دراساتهم الجامعية وهم في الخدمة، حتى بلغت نسبة الضباط الذين أتموا دراسات جامعية نحو ٨٠٪ من مجموع الضباط. ومن الجدير بالذكر أن أبسط برامج التدريب الثقافية للجنود تتضمن المواد التالية:

- تعلم اللغة العربية حتى الاقتان.
- التوراة.
- التاريخ الإسرائيلي القديم.

- التاريخ الاسرائيلي الحديث.
- التاريخ العام.
- جغرافية اسرائيل.
- الجغرافيا العامة.
- الحساب.

ان نوعية الجندي الاسرائيلي لها قيمة قتالية تستحق الاهتمام. فقد كان بين الجنود الاسرائيليين أساتذة جامعات ومهندسو وأطباء دعتهم التعبئة العامة الى موقعهم كجنود. وكانوا يعرفون وحداتهم من قبل، ويرتبطون بصداقه يصنعنها التدريب المستمر والمنظم مع رفاقهم في السلاح. ان هذا الاسلوب لم يترك أثراً للتمايز الطبقي بين المحاربين.

وفي التدريب الرياضي نلاحظ أن برامجه تهدف الى جعل كل عسكري مغواراً قوياً صالحًا لتحمل مشاق القتال وصعوبات الحياة العسكرية. وقد تضمنت هذه البرامج تدريباً على السير مدة، للعسكريين، أربعة أيام، ومسافته ٤٠ كم في كل يوم، وللمدنيين يومان ومسافته ٤٠ كم في كل يوم. أما النساء - بما فيهن العجائز - فقد جعلت المسافة ٣٠ كم يومياً لمدة يومين أيضاً. وتهدف برامج السير التدريجي الى تعريف سكان اسرائيل على مختلف بقاعها.

وتهتم قيادة الجيش الاسرائيلي بالروح المعنوية والتدريب النفسي للعسكريين، اهتماماً لا يقل عن اهتمامها بالتسلیح والتدريب القتالي. فهي تلقنهم - بواسطة المدرسين العسكريين ورجال الدين الذين يشكلون سلكاً خاصاً بهم في الجيش - العقائد الدينية المعروفة، بأنهم شعب الله المختار، وأن الله منحهم فلسطين وفرض عليهم العمل لإنشاء مملكة اسرائيل فيها، وأنهم لا يستطيعون العيش خارجها بحرية تامة. وإذا كان معظم اليهود، انفادمين من أوروبا وأميركا لا يؤمنون بهذه المفاهيم الدينية، فإن الشوفينية العنصرية، والعصبية الصهيونية، والتاريخ الصهيوني تؤلف ركائز ايمانهم

بالصهيونية والعنصرية ايماناً يبلغ حد التعصب الأعمى الذي يفوق التعصب الديني .

وتتضمن برامج التدريب المعنوي نشر الثقافة الصهيونية بين الجنود، بغية صهر هذا الخليط العجيب المتناقض - الذي يتالف منه سكان اسرائيل - في بوتقة واحدة، لإزالة الفوارق الاجتماعية والفكرية بينهم، وتحبيبهم بالأرض وربطهم بها دينياً وقومياً وتاريخياً ومادياً. وتصور تلك البرامج العرب بأنهم الخطر الداهم الذي يريد القضاء على اسرائيل وإلقاء اليهود في البحر. وتتنمي في نفوس الجنود الأحقاد العميقة والضغائن ذات الجذور التاريخية ضد العرب جميعهم، لا فرق بين العربي القريب من حدود اسرائيل، والعربي المقيم على شاطئ الاطلس أو حافة الخليج. ولهذا فإن العربي هو الخطر الوحيد الداهم الذي لابد من البدء بضربه قبل أن يبدأ هو بضرب اسرائيل. ومن هذه الفكرة بالذات تخلق القيادة في نفوس الجنود إرادة القتال ضد العرب ، والقناعة والتصميم على الهجوم والبدء بمقاتلة العرب (أي العداون) .

وتتنمي برامج التدريب مظاهر التفاخر والكبرياء القومية، مستندة الى انتصارات الحروب الثلاث والى سمعة الجيش الاسرائيلي الصغير في حجمه، بالنسبة للجيوش العربية المحاطة به ، وتنتهي القيادة هذه المناسبات لترسخ مفهوم الحق الالهي لليهود بفلسطين في أذهان الجنود ونفوسهم .

ويختلف الجيش الاسرائيلي عن غيره من جيوش العالم، بضعف مظاهر الانضباط العسكري بين الرؤساء والمرؤوسين، حتى ان كثيراً من تلك المظاهر لا تبدو واضحة في كثير من المناسبات. ويعودت هذه الحالة اعتقاد القادة بأن إزالة هذه المظاهر - مع اكمال التدريب ومتانة الخلق وقوة العقيدة - أدى الى تقوية العلاقات بين الرؤساء والمرؤوسين ، والى التعايش اليومي العميق بينهم ، والى مشكلات مرؤوسيهم عن قرب وبواسطة التجربة. ان هذا الأسلوب - باعتقاد القيادة الاسرائيلية - ينمّي الشعور بالمسؤولية لدى جميع

الرتب العسكرية ويكشف عن قيمة الرئيس بين مرؤوسه، ومقدراته على قيادتهم في الحرب. ولقد أدى هذا الأسلوب إلى الكشف عن عدد من الضباط لم يكونوا يصلحون للقيادة، لفقدان ثقة مرؤوسيهم بهم، فجردتهم القيادة من مناصبهم.

وتتميّز برامج التدريب في نفس الجندي المبادأة الشخصية التي يتميز بها الجيش الإسرائيلي بصورة خاصة. وقد دفعت فكرة المبادأة المسيطرة على عقول الضباط إلى عدم التقيد بالأساليب التقليدية في التدريب والقتال تقideaً أعمى، وإنما نَمَتْ في عقولهم نَزَعَةُ الْبَحْثِ عَنِ الْحِيلِ وَالْخَدْعِ التي توصي التوراة باستعمالها.

وفي معرض الحديث عن التدريب في الجيش الإسرائيلي، لابد من التعرض إلى «كلية الأمن القومي» وهي أبرز مؤسسة عسكرية إسرائيلية. فقد سلكت إسرائيل في تأهيل المستويات العليا من ملوك الدول سلوك الدول الكبرى التي أنشأت لنفسها معاهد خاصة لتأهيل كبار الموظفين والضباط الذين يعملون في مختلف الوزارات ذات الارتباط والعلاقة بشؤون الدفاع. وعلى غرار هذه المعاهد، أُسْتَ إِسْرَائِيل «كلية الأمن القومي» في مطلع عام ١٩٦٣، وحددت مهمتها بتحضير الملوك اللازم لإدارة شؤون الدفاع في مختلف أجهزة الدولة وتنسيقها وتنفيذ الخطط في جميع المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية والبشرية والثقافية. كما تهدف هذه المؤسسة إلى نشر المذهب العسكري الإسرائيلي وتلقين مفهوم الدولة عن الدفاع، وخلق عقلية واحدة يتفاهم بها جميع العاملين في ميدان الدفاع.

ويقبل في هذه الكلية الضباط من رتبة عقيد - مما فوق - والموظفو من مرتبة مدير - كحد أدنى - ويلقى فيها البرنامج التالي :

- الاستراتيجية السياسية والعسكرية الإسرائيلية.
- «الشعب» اليهودي في إسرائيل والعالم. وتنظيم الجاليات اليهودية في الخارج لمساعدة إسرائيل.

- مشكلات التعليم الأساسية في إسرائيل.
- مشكلات المهاجرين واستيعابهم.
- أهداف الدولة في جميع المجالات وبخاصة في الدفاع.
- الأحلاف في العالم.
- الجغرافيا السياسية لإسرائيل.
- علم الاجتماع المتعلق بالبلاد العربية.
- الشرق الأوسط.
- القومية العربية.
- القوات المسلحة العربية.
- جامعة الدول العربية والاتجاهات الوحدوية العربية.
- الحرب الاقتصادية العربية ضد إسرائيل.
- العلاقات الدولية.
- قوة الدفاع الإسرائيلية.
- التنمية الاقتصادية والانتاج.
- الاقتصاد الوطني واقتصاد الحرب.
- الطاقات العلمية والتكنولوجية في إسرائيل.
- العلوم والمجتمع.

ومندة الدورة في الكلية ٩ أشهر، ومندة الدراسة اليومية ٧ ساعات.
 ويقدم الطالب فحصاً للقبول إلى الكلية، يلزم فيه على دراسةأربعين كتاباً
 تنتهيها الكلية، ويسأل المتسابق عنها في فحص القبول. وقد تخرج منها عام
 ١٩٦٥ - على سبيل المثال - ثمانون شخصاً منهم ٩ من وزارة الخارجية، و٦
 من وزارة المالية، و٣ من كل وزارة أخرى، و٢٦ ضابطاً من مختلف أسلحة
 الجيش و٣ من الصحفيين والمعلقين الإذاعيين.

ومن الجدير بالذكر أن العام التدريسي ١٩٦٦ - وهو عام الاستعداد
 للدوان حزيران (يونيو) ١٩٦٧ - تميز بنشاط التدريب وكثافة برامجه ودقتها

وانتقالها الى أعلى المراحل والمستويات. فقد استمرت اسرائيل في سياستها التدريبية فيما يخص إعداد الفرد وتأهيله ليكون محارباً في جميع الظروف مستغلةً امكانيات سلاحه الى أقصى حد. أما في مجال تدريب القوات على الاعمال القتالية فيمكن حصر النشاط في ذلك العام في المجالات التالية:

(أ) في مجال تدريب الوحدات (سرية): ركزت القيادة في التدريب على المواضيع التالية:

- اختبار كفاءة الجماعة والفصيلة والسرية.
- استعمال النار والحركة واحتلال الأهداف المحدودة.
- أعمال الدوريات والاغارات.
- تمارين قتال الشوارع وتفتيش الأبنية.

(ب) في مجال تدريب القطاعات (كتيبة): اهتمت القيادة بالتمارين التالية:

- التدريب على القتال في المناطق الجبلية.
- التدريب على الاعمال القتالية الليلية مع الرمايات الحقيقة.
- تعاون صنوف القوات مع بعضها.

(ج) في مجال الوحدات الكبيرة (لواء أو أكثر): أجرت القوات الاسرائيلية مناورات بمستوى لواء أو أكثر خلال عام ١٩٦٦. وقد عرف منها ما يلي :

- مناورة لواء جولاني بتاريخ ٢١/٧/١٩٦٦ : نفذت في منطقة الجليل. واشتركت فيها مختلف الأسلحة بما في ذلك الطيران، وكانت الفرضية تقضي باحتلال أهداف محسنة وقد حدد فيها هدف واحد لكل كتيبة.
- مناورة لواء مدرع بتاريخ ٣٠/٨/١٩٦٦ : أجريت في منطقة ديمونا بالنقب اشتركت فيها أسلحة مساندة وسلاح الطيران.
- مناورة لواء مظلي بتاريخ ٣١/٨/١٩٦٦ : أجريت في منطقة النقب

وقد استمرت أربعة أيام اشتركت فيها عناصر من المدفعية والمدرعات والمهندسين وسلاح الطيران.

- مناورة مدرعات احتياط أجريت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٦ في النقب اشتركت فيها عناصر المدفعية وسلاح الطيران.

(د) تدريب القوات الجوية: أولت إسرائيل أهمية خاصة لتدريب سلاحها الجوي. لذا كان النشاط التدريسي متواصلاً، وفي كافة الأحوال ليلاً ونهاراً. وقد بلغ متوسط عدد الطائرات المحلقة يومياً خلال عام ١٩٦٦ حوالي ٣٠ طائرة. كما اشتركت سلاح الطيران في جميع المشاريع والمناورات التدريبية التي نفذت في مستوى كثيف فما فوق. والنقطة التي بربرت في مجال تدريب سلاح الطيران هي :

- التدريب على أعمال الهجوم الأرضي والرمي من الجو إلى الأرض.
- التدريب على عمليات الاعتراف النهاري والليلي وبالسرعات العالية والمنخفضة.
- التدريب على الطيران على الارتفاعات المنخفضة.
- التدريب على مساندة القوات البرية والبحرية والتعاون معها.

(هـ) تدريب القوات البحرية: استمرت قطع الأسطول الإسرائيلي بقيامها بتدريباتها المعتادة في المياه الإقليمية، وكان أبرز الأعمال التدريبية خلال عام ١٩٦٦ ما يلي :

- زيارة بعض قطع الأسطول الإسرائيلي لبعض موانئ الدول الأوروبية في فرنسا وإيطاليا.
- اشتركت بعض وحدات الأسطول بالتدريب مع مجموعة من الأسطول الفرنسي في المياه الإقليمية الفرنسية.
- قام الأسطول الإسرائيلي بمناورة مشتركة في شهر نيسان (أبريل) ١٩٦٦ اشترك فيها سلاح الطيران.

(و) تدريب المظللين: جرى تدريب وحدات المظللين بأوقات مختلفة وعلى طول السنة. كما اشترك المظللون في عدد من المناورات التي أجريت في مستوى لواء. وبرز تدريب المظللين على الانزال فوق الماء حيث نفذت عمليتا انزال في البحر، احداهما في بحيرة طبريا والأخرى في البحر الأبيض المتوسط مقابل شاطئ تل أبيب وبقية سرية مظللات.

(ز) الدورات التدريبية: لقد أعلن خلال عام ١٩٦٦ عن تخرج الدورات التالية:

- في أوائل شهر شباط (فبراير) تخرجت دورة من ضباط شعبة العمليات.
- بتاريخ ٢/١٥/١٩٦٦ احتفل بتخريج دورة ضباط أركان.
- بتاريخ ٦/٢/١٩٦٦ تخرجت دورة قادة فصائل مدرعات.
- بتاريخ ٦/٢١/١٩٦٦ تخرجت دورة ضباط اشاره.
- بتاريخ ٦/٢١/١٩٦٦ أعلن عن تخرج دفعه كبيرة من الضباط الأحداث من مدرسة الضباط.
- بتاريخ ٦/٢١/١٩٦٦ تخرجت دفعه جديدة من قادة الدبابيات
- يوم ٧/٧/١٩٦٦ تخرجت دفعه جديدة من الطيارين.
- يوم ٧/٢٧/١٩٦٧ تخرجت دفعه جديدة من ضباط الطب.
- يوم ٧/٢٧/١٩٦٦ تخرجت دفعه جديدة من الضباط طلاب المدرسة العسكرية الداخلية.
- يوم ٨/١١/١٩٦٦ احتفل في مدرسة القيادة والأركان بتخريج الدورة رقم ١٢ / من طلاب مدرسة القيادة والأركان.
- يوم ١٢/١٠/١٩٦٦ احتفل بتخريج دورة جديدة من ضباط الاحتياط من ذوي المؤهلات العالية.
- بتاريخ ١٢/١٠/١٩٦٦ احتفل سلاح البحرية الاسرائيلي بتخريج دورة من الكوماندو البحريين الاسرائيليين.

هذا عن العام التدريسي ١٩٦٦ ، أما عن مدة الأشهر الخمسة الأولى من عام ١٩٦٧ (من مطلع العام حتى ١/٦/١٩٦٧) ، فقد تميز التدريب خلالها بالواقع التالية :

(أ) افتتح العام التدريسي بمناورة أجراها اللواء الأول (جولاني) بتاريخ ١٦/١/١٩٦٧ استمرت يومين ، وقد اشتركت فيها بعض وحدات من الاحتياط.

(ب) في منتصف شهر آذار (مارس) ١٩٦٧ أجرى الجيش الإسرائيلي مناورة كبيرة في منطقة النقب دامت عدة أيام استخدمت فيها الذخيرة الحية ، واشتركت فيها وحدات من سلاح المدرعات والمظليين والمدفعية والطيران . وقد ألقى اللواء اسحق رابين رئيس الأركان العامة كلمة في تلك المناسبة قال فيها : « إن هذه الوحدات بعد أن أنهت تدريباتها ، المركزية أصبحت على مستوى عال في فهم الفنون العسكرية والقدرة على القتال في المناطق الجبلية وعلى نقل مشاتها لأي مكان في جميع الظروف ».

(ج) الدورات التدريبية : أعلن عن انتهاء الدورات التالية :

في مطلع شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٦٧ احتفلت مدرسة المشاة في إسرائيل بتخريج دورة من ضباط المخابرات .

- بتاريخ ٢٦/١/١٩٦٧ أعلن عن تخرج دورة ضباط بحرية وقيل عنها أنها أكبر دورة تخرجت حتى ذلك التاريخ .

- بتاريخ ٢/٢/١٩٦٧ احتفل بتخريج دورة جديدة من الضباط .

- بتاريخ ٣٠/٣/١٩٦٧ احتفل بتخريج دورة جديدة من ضباط الامداد واللوازم .

اسرائيل مستمرة في دعم قوتها العسكرية

لا تزال اسرائيل تبذل الجهد الحثيثة لتعزيز قوتها العسكرية، وذلك بالحصول على أسلحة حديثة، وتطوير التكنولوجيا العسكرية لديها، واستغلال القوة البشرية على أفضل وجه، وإعادة تنظيم المؤسسات العسكرية، وتطوير القدرة الهجومية أو إعداد الجبهة الداخلية لمواجهة حرب جديدة، مستغلة بذلك الوقت الذي يفترض أن يمر حتى الوصول إلى تسوية جزئية أو شاملة، لتحقيق تفوق عسكري، حتى لو تحقق لها السلام الذي تطلبه. ويجري هذا النشاط بنفس الترتير التي سار عليها في السابق، منذ توقيع اتفاقيات الفصل على الجبهتين المصرية والسورية، حيث تم خلال هذه الفترة إعادة تنظيم الجيش وتوسيعه وتعويض ما فقده من الحدود، واستيعاب دروس الحرب وتطبيقاتها (انظر أيضاً «قضايا اسرائيلية»، العدد ٥ (١٢)، ٦/٣/٧٥، ٧٥/٦، ١٢) ص ١٥٧).

زيادة القوى البشرية في الجيش:

يتم توسيع الجيش عن طريق تقليل دائرة المعيدين من الخدمة الاجبارية، بـالحـاق الآلـاف منـهم فيـ الجيش الدائم، والاحتياط، والدفاع المدني. وكانت هذه الحملة قد بدأت في أوائل سبتمبر ١٩٧٤ عندما أصدر رئيس مركز التجنيد في الجيش أمراً يدعون فيه جميع المعيدين، البالغ عددهم نحو ١٥٠ ألفاً، للحضور إلى مراكز التجنيد وإعادة فحصهم. وقد دخلت هذه الحملة مرحلة جديدة عندما أعلـن ضـابـط كـبـير (دـافـار، ١٠/٣/٧٥) فيـ شـعبـة

القوى البشرية في رئاسة الأركان «بأن التجنيد بدأ بنسب عالية، أعلى من الماضي، حيث أصبح من الممكن الآن تجنيد أصحاب الالياقات البدنية المتدنية (حتى ٢١٪) والذين كانوا مصنفين حتى الآن على أنهم غير صالحين للخدمة العسكرية». كما سمع باستيعاب أصحاب المواتع الصحية في مناصب مناسبة في الجيش، بموجب برنامج وضعه شعبة الطاقة البشرية في رئاسة الأركان، بهدف تفريغ الجنود لمهام ميدانية (رلا، ٢٥/٥). وتم للغرض نفسه توسيع دائرة المهام التي تشغلهما الفتيات في الجيش (المصدر نفسه ٧٥/٣/١٨).

ومن جهة أخرى، سيجري فحص جميع الذين كانوا معفيين في السابق لأسباب تتعلق بالحاجة إليهم في القطاعات الاقتصادية، وذلك لتحديد نسبة صلاحيتهم للخدمة، في ضوء احتياجات الوضع الاقتصادي في حالات الطوارئ. وبدأت مؤخرًا أيضًا عملية إجراء دراسة لأوضاع الجنود الاحتياط. إذ تم توزيع استثمارات على هؤلاء لتعبيتها، لاستيفاضة أي تغير طرأ على كل منهم، بما في ذلك المهن التي تعلمها أي منهم منذ تسريره من الجيش (هارتس، ٧٥/٣/١٠). وذكر أيضًا أن معالجة مسألة جنود الاحتياط الذين يعيشون خارج إسرائيل بدأت تعطي ثمارها، فقد تم حتى الآن تحديد طرق الاتصال بالجنود ذوي المهن الحيوية، الذين يعيشون بشكل مؤقت في مختلف الدول (المصدر نفسه).

أسلحة حتى التخمة:

ومن حيث التسلیح، استطاعت إسرائيل منذ وقف اطلاق النار تعريف كل ما فقدته في الحرب وتأمين كميات اضافية كبيرة، تشمل أنواعاً لم تكن تملکها قبل الحرب. وقد عبر رئيس وزرائها، اسحق رابين، عن ذلك (في رده على ممثلي كتل المعارضة في الكنيست) بقوله: «... ان سياسة الحكومة أتاحت استغلال الوقت لضمان استعداد جيش الدفاع الإسرائيلي وتعاظم قوته بسرعة لم نشهدها من قبل... ويضمن أسلوب تسليح الجيش، سواء بصفقات الأسلحة من الخارج أو بالإنتاج المحلي، أنه خلال سنة

١٩٧٥، حتى لو نفذت طلبات مصر من الاتحاد السوفيتي بأكملها، لن تبدل نحو الأسوأ نسب القوى بينا وبين الدول العربية، بوسائل القتال الأساسية، بالمقارنة مع نسب القوى عشية حرب يوم الغفران». وكانت نسبة الزيادة في المعدات التي حصلت عليها إسرائيل، كما ذكرها رابين كما يلي: بالدبابات - ٥٠٪، بالمجنزرات والمدرعات - ٢٥٪، بالطائرات المقاتلة - أكثر من ٢٠٪ وبالمدفعية - أكثر من ٨٥٪. وهذا بالإضافة إلى تحسين نوعية المعدات والقدرة التاربة والتنظيم والإدارة واستيعاب معدات جديدة (المصدر نفسه).

وذكر خبراء كبار في البتاغون بهذا الصدد أن كمية الأسلحة التي تملكها إسرائيل اليوم، تفوق ما تملكه أي دولة أخرى باستثناء بعض الدول الكبرى (دافار، ٢٨/١/٧٥). وبناء على تقديرات الخبراء تملك إسرائيل حالياً ٢٤٠٠ دبابة مقابل ١٧٠٠ دبابة في أكتوبر ١٩٧٣ و ٥٢٥ طائرة حربية مقابل ٤٨٠ طائرة عشية الحرب، كما ساعدت أميركا إسرائيل على إعداد احتياطي من السلاح يكفي ٢١ يوماً من القتال (يدعيوت أحرونوت، ١٨/٣/٧٥). واستمر تدفق السلاح الأمريكي على إسرائيل لدرجة أن قادة في جيش الولايات المتحدة اشتكوا وتذمروا من النقص في الطائرات والدبابات وحتى بالذخيرة، إذ بقيت وحدات كاملة من الجيش الأمريكي في وضع غير صالح للدخول معركة، وذلك بسبب تلبية طلبات إسرائيل، وتسليمها الأسلحة المعدة لتلك الوحدات (رإ، ١٤/١/٧٥).

مناورات عديدة:

وكان الجيش الإسرائيلي، منذ أن انتهت من إعادة بناء نفسه تنظيمياً، قد أخذ يخصص جهداً كبيراً للتدريبات التي تطبق فيها دروس الحرب الأخيرة. بينما يجري التشديد على شكل المعارك المتوقعة في الحرب القادمة، فقام خلال هذه الفترة بعشرات المناورات، كان آخرها ما قام به تشكيل مدرع في صحراء سيناء، وتم تنفيذها بالذخيرة الحية، وجرى التدريب على اختراق

سلسلة من المواقع تستند الى مانع مائي . وتم التشديد في المناورة على التنسيق مع وحدات أخرى مثل سلاح الجو، وسلاح الهندسة، ووحدات مدفعية كانت تتبع القوات في جميع مراحل التقدم، بالإضافة الى وحدات من سلاح المشاة والمظليين استخدمت في مهام خاصة (معاريف ٧٥ / ٢ / ٢١).

تحصينات جديدة:

كذلك انتهت منذ مدة عملية بناء التحصينات على الجبهات المختلفة، وهي العملية التي بدأت قبل أن تباشر اسرائيل بالانسحاب الى تلك الخطوط، والتي وضعت بها كل المعرفة والدروس التي استخلصت من الخطوط السابقة . وذكر أن اسرائيل أنفقت في هذا المجال أكثر من مليار ليرة على الجبهة السورية، ومبيناً مماثلاً على الجبهة المصرية، و٣٥٠ مليون ليرة على الجبهة الأردنية (معاريف، ١٨ / ١٢ / ٧٤)، وذلك بالإضافة الى السياج الأمني الذي أقيم على طول الحدود اللبنانية . ولكن بالإضافة الى هذه التحصينات، ومن ناحية ثانية، ذكر ضابط اسرائيلي «أن اسرائيل تركز دفاعها الآن على المدرعات والقوات الميكانيكية والمدافع ذاتية الحركة القادرة على الوصول بسرعة الى أي من نقاط الضعف». (يديعوت احرنوت، ١٧ / ٠ / ٧٥).

تنظيم جديد:

أما على صعيد استخلاص دروس حرب تشرين فقد انتهى الجيش منها منذ آب الماضي، عندما قدم أربعة من العمداء، هم قادة المخابرات والبحرية والجو ورئيس شعبة العمليات، تقريراً للحكومة حولها . وذكر، بمناسبة انتهاء لجنة اغرانات من تحقيقاتها، أن جميع التوصيات التي رفعتها على الصعيد العسكري - المهني، قد نفذت، حتى قبل صدور الجزء الأخير من التقرير (هارتس، ٢ / ٢ / ٧٥) ويجري العمل حالياً على تنفيذ التوصيات المتعلقة بطريقة عمل الحكومة وجهاز الحكم والعلاقة المتبادلة بين القيادة السياسية والعسكرية وإعادة تنظيم الجهاز الأمني بفروعه المختلفة . ومن بين ما تم تنفيذه حتى الآن تشكيل لجنة وزارة لشؤون الأمن، وتوزيع الصلاحيات

بين وزير الدفاع ورئيس الأركان والبدء ببحث القانون الأساسي للجيش (انظر أيضاً «قضايا اسرائيلية»، العدد ٥، ١٢/٣/٧٥، ص ١٥٧). وكان قد تم في وقت سابق إعادة تنظيم وزارة الدفاع، فقد أحاط وزير الدفاع نفسه بهيئة أدمغة تضم كلاً من يوفيل نشمان، سعاديا عميشل وبهوشفاط هرکابي، الذين سيعنون بالتنظيم الاستراتيجي على المدى البعيد. ومن الجدير بالذكر أن نشمان وعميشل عملاً في السابق في مجال الذرة. وتضم هذه الهيئة أيضاً «الجنرالان» يسرائيل طال وعاموس حوريب، كخبراء من الدرجة الأولى للتكنولوجيا الحديثة. وكلاهما... يستطيع توظيف تجاربه في مجال التخطيط العملي والاستراتيجي... أما هود فهو خبير في مجال الطيران، وهو الذي قاد سلاح الجو في حرب الأيام الستة وحرب الاستنزاف... (يدعى هود احرنوت، ٢٤/١/٧٥).

بالإضافة لهذا أقيمت في وزارة الدفاع أكثر من هيئة، منها ما يعني بدراسة نظريات القتال العربية، ومنها ما يعمل على تطوير التكنولوجيا وإدخال التحسينات على الأسلحة المستوردة والمصنوعة محلياً. والجدير بالذكر أن إسرائيل تعمل على تحسين أسلحتها باستمرار كتعديل تسليح الدبابات والطائرات وغيرها، أو توصية متوجّي هذه الأسلحة بإدخال التعديلات التي تريدها. وقد نجحت مؤخراً في إدخال عدد من هذه التحسينات على أسلحتها كأن منها مثلاً، نجاح الصناعة الجوية في تحسين جهاز لقيادة الطائرات المقاتلة، يعتبر بمثابة طيار أوتوماتيكي، يلعب دوراً في جميع مراحل قيادة تريدها. وقد نجحت مؤخراً في إدخال عدد من هذه التحسينات على أسلحتها. الطائرة مما يسمح للطيار بالتفريغ للمهام الرئيسية (دافار، ٤/٣/٧٥)، وأعلن أيضاً عن اختراع كندي اشتراه إسرائيل يزيد مدى إطلاق المدفعية بـ ٥٠٪ (ر.ل.ا، ٣/١/٧٥)، وعن بدلة يستخدمها جنود المدرعات لوقايتهم من الاحتراق (بمحانيه، ٩/٢/٧٥)، وعن أقنعة واقية للعيون مصنوعة من البلاستيك، وذلك بعد تزايد حالات هذا النوع من الاصابات وخطرتها.

(ر.ل.ا، ٢١/١/٧٥).

وتأخذ اسرائيل بالحسبان لدى تطوير أسلحتها وإدخال التحسينات عليها، مسألة التوفير في القوة البشرية. فاستطاعت، مثلاً، تشغيل نوع معين من المدفع بواسطة طاقم من ٩ جنود، في حين يتطلب تشغيل المدفع نفسه طاقماً من ١٣ جندياً في الجيش الأمريكي (دافار، ٧٥/٣٠).

خطط لتنمية الجيش الاسرائيلي :

بالرغم مما أنجزته اسرائيل في مجال تعزيز قوتها العسكرية، منذ توقيع اتفاقيات الفصل، فإن العمل لا يزال جارياً لتوسيع الجيش وتنميته، وذلك لعدة أهداف، لخصها وزير الدفاع، شمعون بيريس بقوله: «إن السياسة الاسرائيلية في المستقبل ستكون مستندة إلى أربعة مبادئ أساسية هي: المحافظة على ميزان القوى لمنع نشوب الحرب أو تحقيق الانتصار، اذا نشب، وتقليل ارتباطنا بالخارج قدر الإمكان، وتحقيق تفوق من الناحية التكنولوجية، وأن نوضح للعرب بأن من يريد حشد جيوش ضدنا، عليه أن يوزع جيشه في بلاده لكي يدافع عن ممتلكاته» (دافار، ٧٥/٢١). وذكر بيريس أيضاً أن اسرائيل ستخصص للأمن مبلغ ١٠٠ مليار ليرة في السنوات الخمس القادمة، هذا عدا ما تقدمه الولايات المتحدة من مساعدات اذ تقدر الطلبات الاسرائيلية للسنة القادمة بـ ٢,٥ مليار دولار، منها ١,٧٦ - ١,٩١ مليار دولار كمساعدات عسكرية. وعلم أيضاً أن المذكورة الاسرائيلية تضم طلبات لمشتريات تزيد بأكثر من ٢٠٪ عن كل من السنتين السابقتين (معاريف، ٧٥/٣١). وذكر أيضاً أن اسرائيل استطاعت الحصول على أنواع جديدة من الأسلحة أثناء زيارة وزير الخارجية، يفتاللون، الأخيرة الى واشنطن (رلا ، ٧٥/١٦)، اذ أعلن أن الولايات المتحدة وافقت على تسليمها قذائف موجهة باشعنة لايزر، وذلك بعد مقابلة شلزيينغر - اللون. وكانت هذه القذائف، بالإضافة الى صواريخ لانس على رأس قائمة الطلبات الاسرائيلية في السنة الماضية (دافار، ٧٥/١٢٨). ومن ناحية ثانية، ذكر أيضاً أن

بيريس قد يسافر الى فرنسا لشراء السلاح (يدعو احرونوت، ٢٠/٢/٧٥).
ومن جهة أخرى، وفي مقابل الارتفاع في مصاريف الجيش، انخفضت
أسعار الأعتدة الأمنية بعد قرار الغاء عمولات السمسارة عليها. ويصر وفد
وزارة الدفاع الإسرائيلي في الولايات المتحدة على الغاء العمولة في
الاتفاقات الجديدة أيضاً (ر١١، ١٤/١/٧٥). كما صادق رئيس الأركان،
اللواء مردخاي غور، على خطة شاملة، تهدف الى زيادة التوفير في
المصاريف الأمنية، اذ ستقلص وزارة الدفاع مشترياتها من السوق المحلية
بنسبة ٢٠ - ١٠٪، كما أن الجيش سيقلل من عدد المباني التي خطط
لإقامةها. وستتخذ خطوات جادة للتوفير في الأغذية والوقود والورق (ر١١،
١٩/١/٧٥). بالإضافة الى تخفيض مستوى الحياة لمختلف الرتب في
الجيش الإسرائيلي. وتدخل هذه الخطة حيز التنفيذ في بداية السنة المالية
الجديدة اعتباراً من الأول من نيسان/ابril ١٩٧٥ (معاريف، ٦/١/٧٥).

الاهتمام بسلاح الجو والبحرية:

يبدو أنه بعد إعادة بناء سلاح المدرعات على أحسن جديدة، هي دمج
الدبابات والمشاة والمدفعية في تشكيلات مدرعة (دفار، ٢٨/١/٧٥)
والانتهاء من المشروع الكبير لتصليح الدبابات التي أصيبت أثناء الحرب،
وبعد أن ازدادت قوة هذا السلاح «بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الجيش
الإسرائيلي» على حد قول قائده، العميد موشي بيليد، انتقل الاهتمام الى
سلاح الجو والبحرية. وتدور بين قيادة سلاح الجو وقادة القوات مجابهة
حول تحديد الميزانيات والأولوية في التعاظام، كما ولا يزال النقاش حول
مقدرة سلاح الجو على مواجهة قوات العدو البرية مستمراً، بينما يعلن قادة
سلاح الجو أنهم اذا أرادوا المحافظة على التفوق في المعارك الجوية فإن
عليهم تحسين نوعية الأسلحة التي بآيديهم. وسيعتمد سلاح الجو في الفترة
الانتقالية على ما لديه من طائرات، بالإضافة الى سربين من طائرات ف-

١٥ ، بينما ستصبح الطائرة ف - ١٦ الطائرة الأولى في قائمة المشتريات في نهاية السبعينيات (دافار، ٧٥/٣/٩) وذكر أن إسرائيل تستلم حالياً طائرات ميراج - ٥ ، التي توقفت عن استلامها منذ حزيران/يونيو ١٩٦٧ (معاريف، ٧٥/٣/١).

وبالرغم من أن سلاح الجو مقتنع بأنه غير قادر على تقديم الدعم للقوات البرية ، كما في السابق ، بسبب ظهور صواريخ سام والمدفع السوفياتي المضاد للطائرات ذاتي الحركة ، إلا أنه يسعى لتحقيق أكثر من مهمة ، وذلك في ضوء دروس تشرين وإزاء ازدياد قوة الدول العربية غير المواجهة لإسرائيل (يديعوت أحرونوت ، ٧٥/٣/١٣). ومن بين المهام التي ذكر أن سلاح الجو يسعى لتحقيقها تأمين استمرار التفوق الجوي عن طريق تحسين نوعية الطائرات وتحسين تسلیحها . وتم بهذا الصدد مثلاً ، استبدال المدفع ٢٠ ملم في طائرة السكايموك بمدفع ٣٠ ملم (معاريف ، ٧٥/٣/٩) وذكر أيضاً أن سلاح الجو يبذل جهوداً كبيرة ليتمكن من تدمير الصواريخ المضادة للطائرات المعادية في المراحل الأولى من أي صدام عسكري في المستقبل ، بالإضافة إلى ضرب الطائرات التي تطير على ارتفاعات منخفضة ، وذلك إزاء ما أنزلته هذه الطائرات من خسائر في صفوف القوات الإسرائيلية في ثغرة الدفرسوار (معاريف ، ٧٥/٣/٩). وهو ما دفع سلاح الجو الإسرائيلي إلى دراسة امكانية الحصول على رادار طائر . وعلم أن وزارة الدفاع الأمريكية تعد تفاصيل صفقة يتم بموجبها تزويد إسرائيل بطائرات إنذار متقدمة تبلغ قيمة كل منها ٢٠ - ٢٥ مليون دولار (المصدر نفسه). وتعمل إسرائيل أيضاً على زيادة مدى طائراتها باستبدال أسطول الطائرات الناقلة للوقود القديمة بطائرات بوينغ ٧٠٧ تم تحويلها لهذا الغرض . كما تعمل على إقامة شبكة إمدادات جوية واسعة ، وذلك بزيادة طائرات النقل العملاقة ، من أجل تقديم الإمدادات للقوات البرية ، والعمليات الجوية الأمامية ، وذلك بعد أن أثبتت حرب تشرين أن عملية نقل المعدات التي وصلت بواسطة الجسر الجوي الأميركي ، لم تكن سريعة بما فيه الكفاية . وكذلك يبذل سلاح الجو جهوداً كبيرة لزيادة قدرته

على القتال ضد الدبابات، والتي نقلصت جداً في حرب تشرين. وأعلن أيضاً أن إسرائيل حصلت على أعداد كبيرة من الطائرات بلا طيار، التي توجه من الأرض أو الطائرة الأم التي تستطيع اطلاق عدد منها لأهداف محددة (المصدر نفسه).

ويجري، جنباً إلى جنب مع تطوير سلاح الجو، تطوير سلاح البحرية وتكتلية بمهام جديدة وتحويله من قوة طابعها الدفاع عن الشواطئ إلى اسطول بعيد المدى، قادر على العمل بعيداً عن الموانئ الأم. وذكر ضابط كبير في هذا السلاح أن المهام الجديدة ستشمل مطاردة هجومية للعدو في قواعده وشواطئه، والقدرة على حماية السفن الإسرائيلية من صقلية حتى باب المندب. كذلك يشدد سلاح البحرية على احتمالات حرب برمانية على شواطئ مصر أو سوريا. ويركز لدى بنائه للسفن على الأطقم الصغيرة لأن أفراد الطاقم يصابون جميعاً، على الغالب، عندما تصيب القطعة البحرية بصاروخ (دافار، ٧٥/٣/٩).

ويقوم سلاح البحرية حالياً بتوسيع اسطول زوارق الصواريخ من طراز «ريشت»، التي يحمل كل منها ثمانية صواريغ غبريشيل، وهي معدة للعمل بشكل خاص في البحر الأحمر، ويبلغ مدى هذه الزوارق، التي خططت بكاملها في إسرائيل، ١٠٠٠ كم، وقد أقامت أحواض بناء السفن في إسرائيل خط انتاج آخر لبناء هذا الطراز من الزوارق، مما سيزيد من انتاجها ويقلص مدة بنائها بنصف سنة، ويبلغ ثمن الزورق الواحد ٤٠ مليون ليرة إسرائيلية تقريباً، كما تكلف الأسلحة التي يزود بها مبلغاً مماثلاً، (معاريف، ٧٥/٢/١٩). وتم أيضاً تدشين السفينة الأولى من طراز «دفور»، وهي طراز متطور عن الزوارق الأمريكية، تصنع في إسرائيل (دافار، ٧٥/٣/٩).

ومن جهة أخرى يدرس سلاح البحرية امكانية إدخال طائرات الهليوبكتر للقيام بمهام الهجوم والدورية، بدل طائرات الفاتوم التي يعتمد عليها حالياً، وكذلك سيسعى بالاطلول الأميركي للحصول على معدات للقتال ضد الغواصات.

إعداد الجبهة الداخلية:

لا تعمل اسرائيل على إيجاد الحلول لما برأ من مشاكل في الحرب الأخيرة فحسب، بل تبذل جهوداً واسعة للتغلب على المشاكل المتوقعة في الحرب القادمة وأهمها التبدل البارز في قدرة الجانبيين على ضرب المراكز المدنية المأهولة، ومشكلة صمود الاقتصاد الاسرائيلي في حالة الطوارئ،، بالإضافة الى احتمال فرض حصار اقتصادي على اسرائيل ، وإغلاق الطرق الجوية وربما البحرية . وقد ذكر وزير الداخلية، يوسف بورغ، أن جهاز الطوارئ للجبهة الداخلية في استعداد مستمر، كما أن جميع أدوات التنفيذ التابعة للحكومة مستعدة لإدارة اقتصاد الدولة في حالة الطوارئ . وأعلن بورغ أيضاً بأن تقدماً كبيراً تم في بناء الملاجيء العامة حيث بنيت حتى الآن ملاجيء تكفي لـ ٧٠٪ من السكان. كذلك أعدت وسائل دفاعية أخرى مثل الكمامات الواقية من الغاز السام وغيرها . وأوضح وزير الداخلية بأنه في حالة تجدد العمليات العربية فإن الجبهة الداخلية قد تتلقى ضربات بالصواريخ، وتعمل بهذا الصدد لجنة خاصة من المدراء العاملين لتنظيم الخدمات العامة في حالة الطوارئ . وبناء على اتفاق خاص مع الجيش لن يستدعي رؤساء السلطات المحلية الى الاحتياط، ليستطيعوا القيام بمهام رئاسة اللجان المحلية في حالة الطوارئ (دافار، ٢/١٩/٧٥).

وتحذر العميد يتسماق زايد، قائد الدفاع المدني ، عن وضع الجبهة الداخلية أمام المراسلين العسكريين فذكر بأنه تم تخصيص ٢,٥ مليار ليرة لإقامة الملاجيء والمنشآت الدفاعية الأخرى في السنوات الثلاث القادمة . وأعلن أيضاً أن لجنة أقيمت بعد حرب تشرين تمثل مختلف الوزارات برئاسة مثل وزارة المالية، للإشراف على هذه الأعمال ، وتم خلال سنة ١٩٧٤ بناء نحو ٦٠ ملجاً في جميع أنحاء البلاد، وتقي هذه الملاجيء من هجمات الصواريخ . وأشار العميد زايد، الى أنه خلال ستين أو ثلاث سنوات ستكتفي

الملاجيء لجميع سكان خطوط المواجهة و ٧٠ - ٨٠٪ من سكان المدن الكبيرة . وأضاف بأنه توجد في قيادة الدفاع المدني كمية من الكمامات الواقية من الغازات السامة تكفي لجميع سكان الدولة (دافار ، ١٧ / ٣ / ٧٥) .

وذكر مدير شعبة خدمات الطوارئ في بلدية تل أبيب ، المقدم نوريرت سومفاف ، أن البلدية اتخذت الخطوات المناسبة لمجابهة العقبات التي قد تبرز اذا نشب حرب جديدة ، وأشار الى أنه توجد اليوم في خدمات الطوارئ في المدينة قوائم دقيقة بأسماء المتطوعين وإمكانات لتشغيلهم . وتم أيضاً شراء كميات من صهاريج المياه والوقود وأعداد من المولدات الكهربائية لتكون بديلاً في حالة انقطاع المياه أو التيار الكهربائي (دافار ، ١٩ / ٢ / ٧٥) .

٤٧٦ رقم ملحق

نص قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بإدانة الصهيونية - في ت ٢ / ١٩٧٥ -

ان الجمعية العامة اذ تذكر بقرارها رقم ١٩٠٤ (الدورة ١٨) المؤرخ في ٢٠/١١/١٩٦٣ الذي أصدرت فيه اعلان الأمم المتحدة بشأن ازالة جميع اشكال التفرقة العنصرية وخاصة تأكيدها «ان النظرية القائمة على التفريق بين الأجناس أو على التفوق العرقي هي نظرية خاطئة علمًا ومدانة خلقياً وغير عادلة اجتماعياً، وهي خطيرة»، ثم تعيرها عن قلقها حيال «ظواهر التفرقة العنصرية التي ما زالت تلاحظ في العالم والتي يفرض بعضها من قبل بعض الحكومات بوساطة اجراءات تشريعية أو ادارية أو غيرها».

«وإذ تذكر أيضًا أنه بقرارها رقم ٣١٥١ ج (الدورة ٢٨) المؤرخ في ١٤/١٢/١٩٧٣، قد أدانت الجمعية العامة بصورة خاصة التحالف المستنكر ما بين العنصرية في جنوب أفريقيا والصهيونية».

«وإذ تأخذ علمًا بإعلان مكسيكو بشأن المساواة بين النساء ومساهمتهن في التنمية وفي السلام المشار إليها في المؤتمر العالمي للعام الدولي للمرأة الذي عقد بتاريخ ٢/٦/١٩٧٥ في مكسيكو والذي أعلن المبدأ القائل بأن التعاون والسلام العالميين يتطلبان التحرير والاستقلال الوطنيين وإزالة الاستعمار والاستعمار الجديد والاحتلال الأجنبي والصهيوني والأبارتايد

والتمييز العنصري بجميع أشكاله، وكذلك الاعتراف بكرامة الشعوب وحقها في تقرير مصيرها بنفسها».

«واذ تأخذ أيضاً علماً بالقرار رقم ٧٧ (٨٨*) الذي اتخذه مجلس رؤساء الدول والحكومات لمنظمة الوحدة الأفريقية المعقود في (كمبالا) بتاريخ ٢٨/١٩٧٥/٧ - ٢٨، والذي اعتبر أن للنظام العنصري في فلسطين المحتلة كما وللأنظمة العنصرية في زimbabوي وفي أفريقيا الجنوبية (منشأ) امبريالية مشتركة فضلاً عن تكوينها جميعاً لكل واحد له نفس البنية العنصرية وهي مترابطة فيما بينها بخط سياسي واحد يستهدف النيل من كرامة وكيان الشخصية الإنسانية».

«واذ تأخذ أيضاً علماً بالإعلان السياسي في سبيل تعزيز السلام والأمن الدوليين وتقوية التضامن والتعاون المتبادل فيما بين البلدان غير المنحازة، هذا الإعلان الذي أقره مؤتمر وزراء الخارجية لدول عدم الانحياز المعقود في ليما (البيرو) بتاريخ ٣٠/٨/١٩٧٥ - ٢٥ والذي أدان بشدة الصهيونية معتبراً إياها تهديداً للسلام والأمن في العالم وطالباً من جميع الدول أن تقف في وجه هذه النظرية العنصرية والأمبريالية «تعتبر الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري».

* العميد المتقاعد عبد الرزاق محمد أسود «الموسوعة الفلسطينية»، الجزء الأول، الدار العربية للموسوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٨، صفحة ١٥٩ - ١٦٠. وكذلك السلسلة الوثائقية رقم ٤٥ منشورات وزارة الإعلام - الجمهورية العراقية - دار الحرية للطباعة ببغداد ١٩٧٥، ص ٧ - ٩.

ازدهر مع حرب لبنان وصار قضية: الجنرال «حشيش» في الجيش الإسرائيلي

كانت اسرائيل تفخر دائمًا بأنها ليست دولة لها جيش وإنما هي جيش له دولة. وعلى ذلك كانت قيادات اسرائيل تنظر دائمًا الى الجيش كمؤسسة تتصدر وتذوب في اطارها معظم تناقضات المجتمع الاسرائيلي.

ولكن هل ظلت هذه النظرة بعيدة عن المستجدات والتطورات؟ بالتأكيد لا، فمثلاً كان الجيش في اسرائيل معنياً بتلقي معظم تناقضات المجتمع ليصهرها في اطاره العسكري في مرحلة من المراحل، فإنه أصبح في مراحل لاحقة عامل ارسال نكثير من الامراض، والنقائص الاجتماعية. فالقتلة، هم إما جنود احتياط في الجيش أو ضباط متقاعدون، وشبكات اللصوص وقطاع الطرق ومهربو السلاح هم أعضاء سابقون أو حاليون في الجيش، وظواهر التحشيش وتعاطي المخدرات بدأت بالانتشار في ثكنات الجيش لتنتقل بعد ذلك الى كثير من قنوات المجتمع الاسرائيلي.

وفي هذا الصدد يصف أحد الصحافيين المجتمع الاسرائيلي من باب الدعاية والدلالة الساخرة على «شعب الله المختار» بأنه مجتمع «المحسنين المختارين».

الاحصاءات الرسمية تؤكد أن هناك أكثر من ١٠٪ من جنود الجيش يتعاطون الحشيش والمخدرات، وأكثر من ٢٠٪ يتاجرون بها. لكن القلق الذي

يبيده القادة الاسرائيليون ازاء انتشار ظاهرة التحشيش في الجيش، يؤكد أن النسبة أكبر من ذلك بكثير، فقد اضطر قادة الجيش الى الضغط على القضاء العسكري لإإنزال أكبر العقوبات بالمتعاطفين والمهربيين والتجار على حد سواء وتشديد رقابة جهاز الأمن العسكري للحد من هذه الظاهرة. وقد تم في السياق نفسه اقرار عقوبة الحبس من ٣ الى ٦ سنوات ثم رفعت في ما بعد الى ١٠ سنوات لمدمني الحشيش والمهربيين مع تنزيل الرتبة والطرد من الجيش.

وعن تفشي هذه الظاهرة داخل أوساط الجيش الاسرائيلي ، كتبت احدى الصحف الصهيونية تحت عنوان «الجنرال حشيش يحارب في صفوف جيش اسرائيل»: «ان القيادة العليا للجيش الاسرائيلي تعلم أن هناك نسبة «كبيرة» من أفراد الجيش يتداهرون المخدرات ومنهم من يتاجرون بها.

وتعاطي المخدرات والاتجار بها أمر منتشر داخل قواعد الجيش انتشاراً كبيراً. ويشترك في هذا الأمر تجار موردون من القطاعين المدني والعسكري، ويتم التوزيع بطرق متعددة كالاماكن العامة (المقاهي ، الصالونات ، المطاعم) أو من خلال سائقي الضباط أو عن طريق السجانين في سجون الشرطة العسكرية ، والتي أبرزها السجن العسكري المعروف بالسجن رقم ٦ . ولا يستطيع الناطق بلسان جيش الدفاع الاسرائيلي ، بناء على تعليمات صادرة له من السلطات العليا ، اعطاء الرقم الصحيح للجنود المعروفين بتعاطي المخدرات . ويقال داخل أوساط القيادة العليا بأن الرقم الصحيح هو رقم خيالي^٤.

والامر لا يتوقف على الكبار، ظاهرة تعاطي الأطفال للمخدرات منتشرة أيضاً في المدارس عند الجنسين ، وعند عدد كبير من رموز المجتمع كفنانين ورجال أعمال ، ومنهم على سبيل المثال ملكة جمال اسرائيل التي قالت عن حالتها هذه: «كنت أنفق ٤٠٠ دولار يومياً على المخدرات وأحصل عليها من أعمال أخرجني الحديث عنها. انتخوني ملكة جمال اسرائيل عام ١٩٧٨ وأنا

أدمَن على تعاطي المُخدِّرات». وأدلى بيرس الرياضي الإسرائيلي المعروف، الذي القبض عليه هو الآخر بتهمة تهريب المُخدِّرات وتعاطيها.

ان انتشار هذه الظاهرة في أوساط الرياضيين يؤكد حقيقة أن الأزمات الاجتماعية داخل إسرائيل، ومنها الأزمة الاقتصادية، هي السبب الرئيسي في انتشار ظاهرة المُخدِّرات، للهرب من جحيم «جنة» إسرائيل. ولعل المهاجرين الجدد هم أول ضحايا هذه الظاهرة.

وهذه الظاهرة حظيت باهتمام الأوساط الثقافية، فالكاتب الصهيوني ميخائيل سيلع ذكر في مقال نشرته له صحيفة «гадشوت»، أن الأوساط الكبيرة في إسرائيل خصوصاً في الأشكناز أي اليهود الغربيين يتعاطون المُخدِّرات بشكل كبير إلى جانب السُّفَرَدِيْم الذين يتعرضون لاضطهاد كبير في إسرائيل في مجتمع يفتقر إلى الانسجام. والقضية بسيطة، تقول إحدى المدنات إنها رأت والدها مرة يدخن سيجارة حشيش فحاولت أن تقلله ثم أصبحت مدمنة. وليس سراً القول بأن هناك ضباطاً وقادة كباراً يتعاطون المُخدِّرات. بل أن هناك ضباطاً مرموقين وفي مناصب قيادية عليا يتعاطون المُخدِّرات، لكن هؤلاء لا يطولهم القضاء العسكري أبداً، بل يطول الصغار دائماً حيث يزوج يومياً بالعشرات بل وبالمئات منهم في السجن.

الضجة الكبيرة في هذه المسألة قامت ولم تتعقد داخل الأوساط الصهيونية عندما اكتشفت «ابنة رئيس الأركان الإسرائيلي الحالي (سيفل ليفي ١٧ سنة) عضوة في عصابة مسلحة وتعاطي المُخدِّرات، وألقت الشرطة القبض عليها مع أفراد العصابة، بعد تبادل لإطلاق النار في الشمال، وذلك حسب تقرير للشرطة الصهيونية في شهر تموز (يوليو) الماضي.

ويقول أحد المراسلين: «لا أعزف لماذا لاذ قائد الشرطة العسكرية الإسرائيلي (العميد أميل الميلع) بالصمت عندما سُئل عن حجم ظاهرة المُخدِّرات، لقد كان اجتماعاً مهمَا لو أجاب عن السؤال».

ان انتشار تعاطي المُخدِّرات داخل الجيش الإسرائيلي ينتشر كالنار في

الهشيم وهو لا يعرف صغيراً ولا كبيراً، فالضياء قبل الجنود يتعاطونه، لكن مع فارق في المادة المستخدمة حيث يتعاطى الكبار أنواعاً أرقى من الصغار الذين يتعاطون الحشيش عادة.

مفاجآت

ولقد أجمع أعضاء الكنيست في جلستهم التي عقدوها لمناقشة موضوع انتشار تعاطي المخدرات داخل الجيش على أن الأرقام التي اطلعوا عليها كانت احدى المفاجآت المرعبة بالنسبة إليهم.

فقد كانت «لجنة الكنيست لمحاسبة الدولة» هي أول المذهولين بما سمعته وما طرحته من حقائق، كان من بينها: «أن هناك حوالي ١٢٪ من مجمل الجنود (الذين شملتهم الفحوص الطبية) ثبت تعاطيهم المخدرات، وبالطبع لم يغرس الجيش بكماله فإن المفمومين هم بنسبة ٤٠٪ من مجمل عناصر الجيش.

وهناك حوالي ٨٠٠ جندي، من بين كل ٩٠٠٠ جندي في العام يفتح لهم ملفات تعاطي المخدرات، أي أن هناك ألف جندي من بين عشرة آلاف أو واحداً بين كل عشرة جنود، يتعاطون المخدرات، وهذه وحدتها نسبة مرعبة».

وقد ذكرت صحيفة هارتس في شهر حزيران (يونيو) الماضي أن التقارير أكدت بأن هناك تزايداً في عمليات تهريب وترويج المخدرات داخل البنية العسكرية الاسرائيلية، «في شهر واحد القبض على شبكتين محليتين متلبستان بتجارة المخدرات داخل اسرائيل، إحداهما تحمل ٢٠٠٠ وجبة هيروبين و ٢٤٠٠ جرعة حشيش. والثانية تحمل ٦٠٠٠ وجبة هيروبين، والتي بيعها لجنود اسرائيليين».

ويبذل الجيش وأجهزة الأمن المختلفة جهوداً كبيرة للحد من انتشار هذه الظاهرة ولكن دون جدوى. غير أن هذه الظاهرة تتسارع باستمرار، وذلك

لارتباطها بأسباب عديدة وجوهرية داخل الكيان الصهيوني ولا تزال قائمة.

أسباب مقنعة

ومن خلال استجواب المتعاطين الحشيش أو المتجرين داخل صفوف الجيش الإسرائيلي ، تبين أن هناك أسباباً رئيسية تقف وراء هذه الظاهرة:

١ - السبب النفسي : يقول الملازم الأول «برجيك» المتهم في قضايا تهريب المخدرات من لبنان الى اسرائيل ، والذي حكم عليه بالسجن لمدة طولية :

«لقد اشتربت في معركة في جنوب لبنان قبل أن أهرب المخدرات، وقد قتل قائدي وصديقي العقيد ابراهام هيدسماس وأصبت بجروح بالغة. وولدت هذه المعركة حالة من الاضطراب النفسي الذي جعلني أقدم على اقتراف هذه الجريمة».

٢ - البيئة : يقول الجندي «تيكفا غاورد» في إحدى الصحف في شهر تموز (يوليو) الماضي «ولدت في بيته متدينة محافظة. في قواود الجيش وجدت الانحلال الخلقي والفساد والرذيلة والاجرام البشع. خدمت في قاعدة رئيسها برتبة عقيد ركن يتعاطى المخدرات، ويعامل مع الجنود بشذوذ. وبعد انتقالي الى قاعدة أخرى وجدت الشيء نفسه، ثم أغرتني احدى صديقاتي فقررت التجربة ثم أصبحت مدمنة ثم مجرمة، أصبحت أسطرو للحصول على المال ولادخر ثمن المخدرات ولست وحدي فهناك غيري».

٣ - الحرب : يقول اللواء «يحزيقيال كارتي» رئيس قسم التحقيق في الشرطة الصهيونية في مؤتمر صحافي عقده مؤخراً «ان تورطنا في حرب لبنان أدى الى تحول كبير وخطير في موضوع المخدرات وفي موضوع الحشيش على الاخص. لقد غمرنا بالمخدرات من لبنان. في بينما يحقق التجار أرباحاً خالية، يعيش المدمنون وخصوصاً العسكريين، أوضاعاً مرضية سيئة. ان الحرب عامل ادمان أساسى بسبب ما فيها من ويلات».

٤ - الربع المادي : يقول اللواء كارتي : «كثير من المدميين الذين تقض عليهم نجدهم يتورطون في عمليات تجارة، خصوصاً العسكريين في لبنان، وذلك بقصد الربح المادي أو لتأمين ثمن ما يتعاطون».

٥ - المقاومة الفلسطينية : يقول الجنرال «اهaron Barati» قائد قوات حرس الحدود الإسرائيلي في حديث صحافي له : «ان جنود حرس الحدود يعيشون وضعًا مأساويًا نتيجة ما يلاقونه من مصاعب من جراء هجمات المخربين الفلسطينيين عليهم. لذا فما انهم يلتجأون للمخدرات أو للإجرام».

٦ - المصادر الخارجية : ويقول الجميع داخل اسرائيل أن مصادر المخدرات التي تصل للجيش هي من الخارج . فـ (الهيرويين) يأتي من تركيا والخشيش والأفيون من لبنان. أما الماريجوانا والحبوب الشديدة (L.S.D) وحبوب الهلوسة فهي من أميركا والكوكايين من هونغ كونغ.

أحد المحللين الاسرائيليين يقول إن الجيش ينقسم في تعاطيه للمخدرات إلى ثلاثة أقسام : فقسم يتعاطى المخدرات الدنيا ويشمل عموم الجنود والمجندات . وهذه المخدرات هي الخشيش والأفيون. أما القسم الثاني فيتعاطى الهيرويين ، وهذا القسم أرقى قليلاً من سابقه من الناحية الاجتماعية ويعاطى إلى جانبها (الماريجوانا) و(الحبوب). أما الضباط الكبار منهم يتعاطون (الكوكايين) ، ولقد اشتهر عن (موسي ديان) تعاطيه لهذا النوع من المخدرات.

الجنود يهربون الهيرويين والخشيش من لبنان ، ووصلهم من تركيا عبر تجار مختصين ، أما الكوكايين فيحصل من أوروبا عن طريق شبكات دولية ويقوم بترويجها بين الجنود تجار محليون صغار . لقد كشفت حوادث التحقيق عن كثير من مصادر طرق وصول المخدرات لأيدي العسكريين . لكن هناك الكثير من الطرق لم يتم معرفتها بعد .

طريقة اكتشافهم

يقول الصحافي «مأثير عميكان» في مقالة له نشرت في صحيفة «بديعوت أحرنوت» الاسرائيلية: «في السنة الماضية أخذت عينات بولية من ٩٥٦٩ جندياً وتبين أن ٧٧٨ منهم مشتبه بهم بتعاطي المخدرات وفتحت ملفات لهم كمتعاطين للمخدرات»: ومعرفة أنه يجري فحص طبي كل عام لأكثر من نصف الجيش، وخاصة المستجدين. وبالإمكان تلخيص مسائل اكتشاف الجنود داخل الجيش الاسرائيلي بالنقاط الآتية:

- الكشف الطبي، وهذه الوسيلة لها الأفضلية ونتائجها مضمونة.
- المخابرات العسكرية، ولها دور كبير في هذا المجال.
- تجار المخدرات الذين يلقى القبض عليهم ويعرفون بأسماء زبائنهم.
- مراكز الحدود ونقاط التفتيش العسكرية التي تلعب فيها الشرطة العسكرية الدور الأكبر.
- الشكاوى من المجندين والمجندات الذين يكتشفون عن موقع وأعداد المحسشين.

من هو صاحب المصلحة في انتشار ظاهرة التحشيش داخل الجيش الاسرائيلي؟ .

الحاخام «درغى الياهو» الحاخام الأكبر لمنطقة حيفا، يقول في فتواه التي أصدرها في شهر أيلول (سبتمبر) الماضي: «ان المخدرات تجعل متعاطيها أكثر تركيزاً على تبليغ تعاليم التوراة والتلمود، والشريعة اليهودية تسمح بالتحشيش اذا كان فيه خدمة للدين».

اما أحد القضاة العسكريين الاسرائيليين فيقول من جانبه لمراسل صحيفة «حادشوت»: «ان تعاطي المخدرات أثناء الخدمة في الجيش هو استمرار لعادات مألوفة قبل الخدمة ولا يمكن اجتنابها».

وفي حديث لمراسل الاذاعة الاسرائيلية يقول أحد قادة التشكيلات المدرعة: «أنتي أتغاضى عما يدور داخل الوحدة من تعاط للمخدرات، لأنني لا أريد مواجهة مشاكل مع قادتي، أو مع جنودي على حد سواء».

وعلى الجانب الآخر يقول أحد قادة المقاومة في الأرض المحتلة: «نقايض السلاح أحياناً بالحشيش... نحن بحاجة للسلاح وهم بحاجة للحشيش... كلا الأمرین مهم لتحرير أرضنا من الاحتلال، ولا نريد لهذا الجيش أن يصحر».

باريس - مكتب «الأسبوع العربي»^(*)

١٩٨٦/١٢/٨

(*) هذا التقرير يؤكد ما ذهب اليه تقرير رئيس الموساد الى رئيس الوزراء الاسرائيلي من حيث يبغى بقصد هذه المسائل (من. ز.).

الفهرس

ملف الاستخبارات الإسرائيلية.....	٥
الدبلوماسية اليهودية والإرهاب الصهيوني.....	٧
الخطبوط اليهودي وأسرار عملية اغتيال لنكولن	٢١
الفرد موند وأوسمة الشرف العربي.....	٣١
الخبيث الصهيوني وأسرار عملية تفجير السفينة "باتريا".....	٣٩
مؤامرة تقسيم فلسطين والمهزلة الدولية.....	٤٩
الخطبوط الصهيوني وأسرار عملية اغتيال الوسيط الدولي.....	٥٩
العدوان الثلاثي على مصر وأسرار عملية "حامل البن دقية".....	٦٧
قضية كستنر بين الحقيقة الصهيونية وادعاءاتها الزائفية.....	٧٧
الخطبوط الصهيوني وأسرار عملية التجسس الكهنوتي.....	٨٧
الحرباء الإسرائيلية وأسرار اختفاء الغواصة "داكار"	٩٧
الاغتصاب الصهيوني بين سرقة فلسطين وشحنة اليورانيوم.....	١٠٣
الخطبوط الصهيوني وأسرار عملية تغلغله في العراق.....	١١٣

غسان كنفاني : من العذاب الى الخلود.....	١٢٣
الخطبوط الصهيوني وأسرار إقالة "الدبلوماسي الزنجبي".....	١٣١
حرب الأذهان بين المخابرات المصرية والإسرائيلية.....	١٤١
أمينة الفتى بين الأمانة والخيانة	١٥١
تقرير سري جداً أو "عملية نشر الفسيل"	١٥٩
أسرار عملية اغتيال انديرا غاندي.....	١٧٥
مردحاي فانونو بين الدسينة والفضيحة.....	١٨٧
وجود إسرائيل بين الترسانة النووية ووحدة العرب.....	١٩٥

-وثائق وملحق ملف الاستخبارات الإسرائيلية..... ٢٠٦

١- الخطة التي اقترحها تيودور هرتزل لإقامة كيان صهيوني.....	٢٠٧
٢- شهادة فلاديمير جابوتينسكي ١٩٣٧	٢١١
٣- منظمة الأرغون تشرح أسباب قيامها.....	٢١٩
٤- إنذار صادر عن منظمة "شترين" الإرهابية عام ١٩٤٨.....	٢٢١
٥- مذكرة يسرائيل كينينج بشأن "الخطر الديمغرافي".....	٢٢٣
٦- سري للغاية.....	٢٤٨
أ- التدريب في القوات المسلحة الإسرائيلية	٢٤٨
ب- المعلقون الإسرائيليون يكشفون ثغرات التدريب	٢٥٨

- ج-التدريب ٢٦١
- د-اسرائيل مستمرة في دعم قوتها العسكرية ٢٧٩
- ٧-نص قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بإدانة اسرائيل ٢٩٠



المركز الثقافي اللبناني